شرح منازل السائرين





شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ۴۵

[الجزء الأول]

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرّحمن الرّحيم اللهمّ يسّر برحمتك قال سيّدنا و مولانا الشّيخ الإمام العلاّمة شيخ مشايخ الحقيقة و معدن الطّريقة مطلب العارفين عفيف الدّين سليمان بن عليّ بن عبد الله العابديّ:

الحمد لله الّذي أوجب الحمد لنفسه من الأزل إلى الأبد، و اتّصف بالواحد لنفي الشّريك و لنفي العدديّة بالأحد، و الصّلاة و السّلام على من دعا إلى الله على بصيرة هو و من اتّبعه، أعني خير الرّسل محمّدا صلّى الله عليه و سلم، صلاة ليس لها انقضاء و لا أمد.

أمّا بعد، فإنّني استخرت الله تعالى، و سارعت إلى امتثال من أعدّ امتثال أمره من أجلّ الفرض، و اعتدّ به من الذخائر ليوم العرض، و هو الشيخ الإمام الورع النّاسك الحبيب ناصر الدّين أبو بكر بن قليج، أعاد الله تعالى من بركته، في شرح بعض مقاصد الشيخ العارف المحقّق أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري المعروف بالهرويّ رضي الله عنه، و هو من أصدق النّاطقين في الحقيقة، و أدلّهم على جادّة الطّريقة، و من الله الجواد أسأل المدد، و سؤاله هو العتاد في كلّ خير و العدد،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ۴۶

و هو المغيث من به استغاث، و العمدة لمن عليه اعتمد، و هو حسبنا و نعم الوكيل. و ها أنا ذا مبتدئ بحسب ما يلقيه علي القلم الرّحمن الذي علّم الإنسان ما لم يعلم جلّت قدرته.

قال الشيخ الإمام المحقّق علم الهداية أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري رضي الله عنه: **الحمد لله**، الحمد هو الثناء المطلق، فأمّا الشّكر فإنّه يفتقر إلى تقدّم إحسان، بخلاف الحمد، تقول: حمدت الرّجل إذا وجدته محمودا، و شكرته إذا كان منه إحسان إليك. و الحمد هو حقّ سابق لله تعالى على عباده، و لذلك كان الحمد هو الفاتحة لكلّ أمر ذي بال من كلّ ناطق فلا جرم.

قال الشيخ رضي الله عنه في أوّل كتابه هذا: الحمد لله، الله هو اسم للذّات العليّة الشريفة، لا باعتبار صفة فيها عند الأكثر، و لم يتّسم به غيره تعالى، و لمّا حماه جلّ جلاله عن الاشتراك فيه، استدللنا على شرفه و علوّ مرتبته في الأسماء الحسنى، و لذلك قدّمه.

قوله: الواحد، أي المنزّه عن الشريك،/ هذا هو المعنى المعتبر فيه، و إن كان يحتمل معاني أخر.

الأحد، أي الذي وحدانيّته لا باعتبار مضايف له، بل وحدانيّته لذاته من ذاته، و في ذلك رفع لتوهّم العدديّة، فإنّ الواحد العدديّ يقبل الثاني المماثل، و الحقّ تعالى منزّه عن ذلك، فبقوله الأحد علمنا أنّ المراد بالواحد لا واحد العدد، بل واحديّة تصحبها الأحديّة المنزّهة عن كلّ ثنويّة و انقسام، باعتبارات كلّ النّزاهات، و بنزاهات كلّ الاعتبارات.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ۴٧

القيّوم، أي الذي به قامت السماوات و الأرض و ما فيهنّ، و كلّ ما سوى الله تعالى، و في هذا الاسم الكريم إشارة إلى أنّ نزاهة الواحديّة و الأحديّة المذكورين لا تنافي إقامة الأشياء بأمره، و فيه إيناس بقرب الله تعالى من عباده على ما يليق بجلاله.

الصّمد، الذي يصمد إليه في الحوائج، أي يقصد، و قيل: الصّمد هو الذي لا جوف له، فبالمعنى الأوّل فيه إيناس كالاسم القيّوم، و بالمعنى الثاني فيه تنزيه كالاسم الأحد.

اللّطيف، الذي يوصل اللّطائف إلى عباده تبارك و تعالى، و اللّطائف كالهدايا التي يحسن موقعها عند من أهديت إليه، و هي من الله تعالى نعمه

الظاهرة و الباطنة، قال تعالى: **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها**.

القريب، قرب الله تعالى من عباده بالإجابة، و لذلك قرنها بالاسم القرب في قوله جلّ جلاله: **فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ**.

و للقرب معان أخر بالعلم و غيره، و لي في معاني الأسماء الحسنى كلام معجب لأهل القلوب المنوّرة بالحقّ، المؤيّدة بالإيمان و الصدق.

و لمّا رأى الشيخ رحمه الله أنّ القرب من اللّطف، جعل الاسم القريب بعد الاسم اللّطيف، و لمّا كان اللّطف هو ممّن يصمد إليه في الحوائج، جعل الاسم اللّطيف بعد الاسم الصّمد، و لمّا كان صمود الخلائق إلى الله تعالى في الحوائج هو بقيّوميّة الله تعالى، جعل الاسم الصّمد بعد الاسم القيّوم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ۴٨

و لمّا كان الاسم القيّوم مستندا إلى الأحد الحقّ و الواحد الحقّ جعل الاسم القيّوم بعدهما، و الجميع بعد الاسم الله، إذ هو اسم الذّات، و ما عداه ففيها لمح للصّفات،/ فلذلك قدّم هذا الاسم الأعظم، و جعل ما عداه بعده، كترتيب الصّفات بعد الأسماء، فقد أحكم رضي الله عنه هذا النظام.

الذي أمطر سرائر العارفين كرائم الكلم (من غمائم الحكم)، لمّا ذكر الاسم القريب أردفه بذكر ثمرة القرب، و هي كلمات المعارف، و من هناك خصّها بأسرار العارفين، و لم يقل سرائر العابدين، فإنّ أولئك لهم الذكرى، قال تعالى: **وَذِكْرى لِلْعابِدِينَ** و سمّاها أيضا كرائم، إذ هي من الحكم، و الحكمة هي الخير، قال تعالى: **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً** و استعار لذلك لفظة أمطر، إعلاما لنا أنّ واردات الحكم العرفانيّة هي من عين المنّة و من الموهبة لا بطريق الاكتساب، فإنّ المطر لا يكون باكتساب، بل هو رحمة من الله تعالى و منّة، و سمّاها كلما إعلاما أنّ لفظها أيضا غير مكتسب، بل اللّفظ و المعنى كلاهما من الموهبة، و تلقّي اللّفظ و المعنى معا من الغيب هو قبول التّنزيل الصّحيح، لا الذي يحصل معناه بالتفكّر، و يعيّن له لفظ بالتدبّر، فإن ذلك من عالم النّفس.

و ألاح لهم لوائح القدم في صفائح العدم، أي كشف للعارفين فرأوا أنوار عزّه القديم سبحانه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ۴٩

و قوله: في صفائح العدم، أي و هم معدومون عن وجود إحساسهم لما يستولي عليهم من سلطان قهر الوحدانيّة التي تنفي الأغيار، ولي من جملة أبيات تشير إلى هذا المعنى:

كيف لا نشرب الّتي تشرب العقل و تنفي الأغيار ذاتا و وصفا و ذلك لأنّ العقل عندهم عقال، و الانسلاخ عنه إلى الفناء في التّوحيد هو مطلوب الرّجال.

و دلّهم على أقرب السبل إلى المنهج الأوّل، أي هداهم، يعني العارفين إلى أقرب السّبل، و السّبل جمع سبيل، و هي الطّريق، و أقرب طرق العارفين أن يوقفهم الحقّ تعالى على كيفيّة فناء حدودهم و رسومهم حدّا بعد حدّ، و رسما بعد رسم، ذاهبين إلى حضرة المحو، و بقدر ما يفنى منهم، يكون قربهم من الأنس بالعزّة الإلهيّة، و سيأتي بيان هذا في موضعه إن قدّر ذلك.

و المنهج الأوّل هو حركة الإيجاد، فإنّ التّحليل يدلّ على التّركيب و هو الإيجاد، و المعنى بالتّحليل هنا المحو المذكور.

و ردّهم من تفرّق العلل / إلى عين الأزل، أي صرف إدراكهم إلى أنفسهم، فرأوا وجودهم المركّب كيف ينحلّ و يرجع القهقرى إلى البساطة بما يبدو لهم، و كيف ينقض عقود التّركيب بالتّحليل تركيبا بعد تركيب، و حدّا بعد حدّ، و رسما بعد رسم، حتّى ينتهي إلى مبدأ ما ورائه، إلاّ الأزل جلّت عظمته، و هذه التّراكيب و الحدود و الرّسوم هي العلل و الأمراض التي تفرّق عقول المحجوبين حتّى تعمى عن ملاحظة القرب، فإذا وقف العارفون على حقيقة هذه التّراكيب، و كيفيّة تحليلها

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ۵٠

حين يكشفها نور التجلّي، و شاهدوا رجوع النهاية إلى مبديها، فقد زال عنهم التفرّق بالعلل، فكأنّهم رجعوا إلى عين الأزل حيث يكون الثبت للحقّ، و المحو لما سواه، و هو رجوع بالعرفان لا بذهاب الأعيان.

و **بثّ فيهم ذخائره**، و **أودعهم سرائره**، أي بثّ فيهم حقائق العرفان الدّالة عليه، فراوا ذواتهم كنوز ذخائره التي ادّخرها لهم، و رأوها أسرارا لا يجوز كشفها لغير أهلها، فلذلك قال: و أودعهم سرائره، فهم أمناء الله تعالى على أسراره، و حملة علمه، و ورثة أنبيائه، و معنى بثّ أوجد و نشر، قال تعالى: **وَ بَثَّ فِيهٰا مِنْ كُلِّ دٰابَّةٍ**.

و **أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له الأوّل الآخر الظّاهر الباطن**، هذه الشّهادة منه شهادة عيان، و شهادة من دون مقامه شهادة إيمان، و دليل شهادته بالعيان كونه قرنها بقوله: الأوّل الآخر الظاهر الباطن، فإنّ الكشف التامّ يشهد فيه أنّ هذه الأربعة الأسماء مهيمنة على سائر الصّفات العلا، إذ هي محيطة بها و مهيمنة على مراتب سائر الأفعال أيضا، فإنّ العلم الأوّل و التّقدير: و ما في اللّوح المحفوظ و أمّ الكتاب يتعلّق بالاسم الأوّل و يستند إليه. و أمّا ما بعد فناء الخلق و قهرهم بإعادتهم إلى العدم، و ظهور حكم الوحدانيّة بعد مصيرهم إليه في حضرة قوله:

لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ، بعد استيفاء حضرة، **أَلاٰ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**، فهذا كلّه و أمثاله يستند إلى الاسم الآخر، ثمّ إنّ الّذي بعد هذين ممّا بينهما، فأمّا ما ظهر فالاسم الظّاهر، و أمّا ما بطن فالاسم الباطن، فمن شهد لله تعالى بالوحدانيّة في هذه المواطن

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٥١

الأربعة، فشهادته/عن العيان، و لا يقدر على ذلك غيره، و من صدّق بقلبه، فشهادته شهادة إيمان، و من أقرّ بذلك لسانه، فذلك من شهادة الإسلام، و من كان كأنّه يرى ذلك، فشهادته شهادة مقام إحسان، و من لاحت له بوارق ذلك الإحسان لا غير، فشهادته شهادة مقام السّكينة، و الكشف فوق ذلك كلّه، و هو شهادة أولي العلم باللّه تعالى، و شهادة الملائكة فوق ذلك، و شهادته تعالى لنفسه فوق كلّ ذلك، و محيطة بكلّ ذلك، و الله بكلّ شيء محيط.

الذي مدّ ظلّ التّكوين على الخليقة مدّا طويلا، استعار رضي الله عنه للتّكوين لفظ الظلّ إعلاما لنا أنّ المكوّنات بمنزلة الظلال في عدم استقلالها بأنفسها، إذ لا يتحرّك الظلّ إلاّ بحركة صاحبه، فأهل شهود الحقيقة يرجعون إلى الله تعالى فيما يرونه من أفعال خلقه حين رأوا أنّ الكائنات ظلال لا يستطيعون لأنفسهم ضرّا و لا نفعا، و لا يملكون موتا و لا حياة و لا نشورا، و أمّا قوله: مدّا طويلا، فإشارة إلى أنّه تعالى يخلق ما لا يتناهى لسعة قدرته، و في ذلك يقول بعض أهل الكشف:

العرش و الكرسيّ يتلوهما	غيرهما من غير ما عالم
حبابه في بحر إطلاقه	ما أيسر المحدود في الدّائم

ثمّ إنّ حقيقة الظلّ هي عدم الشمس في بقعة ما لساتر سترها، فحقيقة الظلّ يرجع إلى لا شيء، و لا يتعيّن بنفسه لكن بالشمس، فكذلك التّكوين، إنّما يتعيّن بالكون تعالى، شهد بذلك أهل التّمكين، فلذلك قال: **ثمّ جعل شمس التّمكين لصفوته عليه دليلا**، و لكثرة تفرقته احتجنا فيه إلى دليل، ثمّ جعل شمس التّمكين هي التّوحيد الجامع بنوره قلوب الصفوة عن التفرّق في شعار ظلّ التّكوين، و ذلك لعناية الله تعالى بهم،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٥٢

و اختصاصه إيّاهم، و أشار رضي الله عنه بلفظ الصّفوة إلى الصفاء من كدر الأغيار.

ثمّ قبض ظلّ التّفرقة عنهم إليه قبضا يسيرا، أي أخذ ظلّ التّفرقة عنهم أخذا تدريجيّا سهلا، و ذلك بأن أشهدهم كيف يعود الظلّ المذكور/الذي هو التّكوين إليه بنسبة قوله تعالى: **وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ**، فبذلك الإشهاد يجتمعون في نور التّوحيد، فإنّ ذلك الظلّ هو ظلّ التفرقة، و نور

التّوحيد هو شمس التّمكين، و محطّه في هذه الألفاظ على قوله تعالى: **أَلَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ، وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً، ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً**، و لم يقصد تفسيرها، بل الاعتبار و الإشارة تجاري عادة الصوفيّة.

قال الشيخ رضي الله عنه بعد ذكره سبب إنشاء هذا الكتاب و ما لحق ذلك.

[قسم البدايات و هي عشرة أبواب]

ثمّ إنّي رتّبته لهم مائة مقام، مقسومة عشرة أقسام:

قسم البدايات، ثمّ قسم الأبواب، ثمّ قسم المعاملات، ثمّ قسم الأخلاق، ثمّ قسم الأصول، ثمّ قسم الأودية، ثمّ قسم الأحوال، ثمّ قسم الولايات، ثمّ قسم الحقائق، ثمّ قسم النهايات.

فأمّا قسم البدايات فهي عشرة أبواب:

اليقظة. و التّوبة. و المحاسبة. و الإنابة. و التفكّر. و التذكّر.

و الاعتصام. و الفرار. و الرياضة. و السّماع.

ما ذكر من التّرتيب مفهوم المعنى، و نحن نتبع أبوابه بذكر ما تيسّر ذكره فيها إن شاء الله تعالى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۵۳

[باب اليقظة]

باب اليقظة قال الله تعالى: قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ.

القومة للّه تعالى هي اليقظة من سنة الغفلة، و النهوض عن ورطة الفترة، و هي أوّل ما يستنير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التّنبيه، فإنّ الشيخ رضي الله عنه لمّا ذكر أنّ أكثر علماء هذه الطائفة اتّفقوا على أنّ النّهايات لا تصحّ إلاّ بتصحيح البدايات، قدّم ذكر البدايات، و جعله أوّل مقام تكلّم عليه.

و لمّا كانت اليقظة هي أوّل درجة في البدايات، قدّمها على جميع أبواب البدايات.

و لمّا كان الموجب لهذه اليقظة هو واعظ الله تعالى في قلب كلّ مؤمن، استشهد بالآية التي فيها ذكر الوعظ في قوله تعالى: **قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ**، و لمّا كان واعظ الله تعالى في قلب كلّ مؤمن، هو واحدا، وحّد ذلك في الآية بنفسها، فاستشهد به، و ذلك قوله تعالى: **قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ**، قال تعالى: **وَ ما أَمْرُنا إِلاَّ واحِدَةٌ**، و هي

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۵۴

تأثير الاسم الهادي جلّ جلاله في قلوب المؤمنين و هو نور، قال تعالى:

اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ،/ و لذلك قال الشيخ و هي أوّل ما يستنير قلب العبد بالحياة، فوصف القلب بالاستنارة، و أكّد ذلك بقوله لرؤية نور التّنبيه، فجعل التّنبيه عن النّور، و جعل اليقظة هي القومة اتّباعا للآية، و لأن القومة لمن أراد السير إذا استيقظ واجبة، لأنّه إذا استيقظ قام، و إذا قام سار، فالقومة أوّل العزم على السير، فالمستيقظ من سنة الغفلة يجب أن يكون كذلك، فإذا القومة هي أوّل عزم السائرين إلى الله تعالى، و هي اليقظة، أو مقارنة اليقظة، فترتيبه رضي الله عنه محكم، و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا.

[اليقظة ثلاثة أشياء]

[الأول لحظ القلب إلى النعمة على الإياس من عدّها،]

قال الشيخ رضي الله عنه: و اليقظة هي ثلاثة أشياء: لحظ القلب إلى النعمة على الإياس من عدّها، و الوقوف على حدّها، و التفرّغ إلى معرفة المنّة بها، و العلم بالتّقصير في حقّها.

هذه الثلاثة أشياء هي ملازمة لليقظة، فعبّر الشيخ بها عن اليقظة، و تسمية الشيء بما يلازمه فصيح في كلام العرب، و مثل ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى: **وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ**، و تقديره و اسأل أهل القرية، فعبّر بالقرية عن أهل القرية، و تقدير كلام الشيخ: و أحكام اليقظة ثلاثة أشياء، فأوّلها: ملاحظة القلب نعمة الله تعالى الظاهرة و الباطنة، قال جلّ جلاله: **وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً**، ثمّ صحبه الإياس من عدّها، أي من إحصاء عدّها. قال تعالى: **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لا تُحْصُوها**.، و صحبه الإياس أيضا من الوقوف

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۵۵

على حدّها، لأنّ من حدّها فقد عدّها، و كما لا سبيل إلى عدّها، فكذلك لا سبيل إلى حدّها، فالوقوف على حدّها متعذّر ميؤوس منه، و التفرّغ إلى معرفة المنّة بها، و المنّة هي الموهبة، أي يعرف العبد أنّ نعم الله عليه بغير استحقاق، و لكنّ الله يمنّ على من يشاء من عباده، و كذلك العلم بالتّقصير في حقّها، أي في حقّ شكرها، لأنّ من عجز عن إحصاء عدّها عجز عن شكرها ضرورة.

و هذه الأحكام تقوى بها اليقظة و تدوم، ألا ترى إلى رسول الله صلّى الله عليه و سلم كيف قام حتّى تورّمت قدماه، فقيل له: «أ ليس قد غفر الله لك **ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ**؟ قال: أ فلا أكون عبدا شكورا؟»، أي إنّ هذا القيام شكرا لله تعالى على بعض تلك النّعم التي أنعم بها.

و أصل هذا الفصل الرّغبة، و الذي بعده الرّهبة.

[الثاني: مطالعة الجناية]

الثاني: مطالعة الجناية، و الوقوف على الخطر فيها، و التّشمير لتداركها، و التّخلّص من رقّها، و طلب النجاة بتمحيصها.

الفصل الذي (قبل هذا هو من) أحكام الاسم المنعم، فقدّمه لكونه محبوبا مطلوبا. و هذا الفصل من أحكام الاسم المنتقم، فأخّره لكونه محذورا مرهوبا.

فأمّا أحكام الاسم في الآخرة فهي من مراتب الاسم الهادي جلّ جلاله.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۵۶

و أمّا أحكام الاسم المنتقم في الآخرة فهي من غمرات الاسم المضلّ، عصمنا الله منها، قال تعالى: **كَذٰلِكَ يُضِلُّ الله مَن يَشاءُ وَ يَهْدِي مَن يَشاءُ**.

قوله: مطالعة الجناية، أي النّظر إلى ما سلف منه الإساءة و هي الخطايا.

قوله: و الوقوف على الخطر فيها، أي وقوف الجاني، يعني معرفته أنّه أشرف على الهلاك، و هو المؤاخذة بها، و ذلك لأن الاسم المنتقم هو المستولي على أهل الجناية.

قوله: و التّشمير لتداركها، أي و النّشاط لاستدراك الفارط فيها، و التّشمير هنا طلب الهداية بالاعتصام باللّه تعالى. و كذلك قال: **وَ من يَعْتَصِمْ بِالله فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيم**، بالتّشمير يستدعي حكم الاسم الهادي جلّ جلاله.

قوله: و التخلّص من رقّها، أي من رقّ الجناية، و الرقّ هو الملك، و الخلاص من رقّ الجناية يكون بالاستغفار، فإذا استغفر الله تعالى أجابه اسمه الغفّار، و تبعه في ذلك الاسم الرّحيم، و قد نصّ الكتاب العزيز على ذلك في قوله تعالى: **ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يَجِدِ الله غَفُوراً رَحِيماً**، فذكر الاسمين في ترتيب ما ذكرناه.

و من أدركه الغفران و الرّحمة فقد تخلّص من رقّ الجناية، أي من ملكها.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۵۷

قوله: و طلب النجاة بتمحيصها، تمحيص الجناية و هو تفريقها بالمغفرة، تقول: محّصت الذهب إذا فرّقت بينه و بين ما خالطه، و هذا الفصل هو من أحكام الرّهبة، و الذي قبله هو من أحكام الرّغبة، فالرّغبة و الرّهبة لا زمان لليقظة. فانظر ما أحسن ترتيب الشيخ في هذا الكتاب.

[الثالث: الانتباه لمعرفة الزّيادة و النّقصان من الأيّام]

الثالث:/ الانتباه لمعرفة الزّيادة و النّقصان من الأيّام، و التنصّل من تضييعها، و النّظر إلى الضنّ بها لتدارك فائتها و تعمير باقيها.

أراد بهذا الفصل أنّه يعتبر الأيّام، فيعرف ما فاته فيها من الفرائض و السنن و الخير، و فوات ذلك هو النّقصان المذكور، و يعرف أيضا ما حصّله فيها من التطوّع، و ذلك هو الزّيادة، فيتدارك الفائت منه في بقيّة العمر، و يعمّر الأيام بوظائف الخدمة لله تعالى بأداء حقوقه، و هو في ذلك كلّه متنصّل عن تضييع ما بقي من أيّامه، و التنصّل هو الخروج عن الشيء، كما تقول: نصل الخضاب عن الشّيب، و نصل الحافر، و نصل السّيف، و شبه ذلك، و المراد هنا التخلّص من تضييع الأيّام في البطالة.

قوله: و **الضنّ بها**، أي البخل بها عن الضياع، لأنّ الضنّ بالضّاد الساقطة هو البخل، و مثله قراءة من قرأ: **وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**، بالضّاد أي ببخيل.

و هذا الفصل هو من أحكام التفكّر، لأنّ التفكّر يتبع اليقظة، و قد تضمّن ذلك قوله تعالى: **قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى‏ وَ فُرادى‏ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**، و الوقوف في التلاوة على تتفكّروا، إذ به يتمّ الكلام، و المعنى أنّهم إذا استيقظوا تفكّروا في أيّام العمر، و ما جرت به أقلام الكتبة الكرام عليهم. و هذا التفكّر هنا حسن.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۵۸

و أمّا في مقامات أخرى فوق هذه، فإنّ التفكّر في الحسنة و السيّئة شغل عن المراقبة، و سيأتي الكلام عليه في موضعه، و قد أشار هنا إلى أحد أقسام اليقظة الثلاثة.

قال الشيخ رضي الله عنه: فأمّا معرفة النّعمة، فإنّها تصفو بثلاثة أشياء: بنور العقل، و شيم برق المنّة، و الاعتبار بأهل البلاء.

الشيخ لمّا ذكر أحكام اليقظة شرع في ذكر الأسباب التي بها تصفو، فقد ذكر النّور، و هو الذي به ينوّر الله تعالى القلوب و العقول، و ذلك النّور هو واعظ الله تعالى في قلب كلّ مؤمن، و به تكون اليقظة، و عليه مدار المعاملة، إذ هو السبب فيها، و هو في آخر الأمر يكون الرّافع للحجب، و به يكون الإشهاد، فإذا معرفة النعمة/ به تصفو، و به أيضا يتهيّأ شيم برق المنّة، و شيم البرق هو النّظر إليه من خلال السحاب ليعلم أين ينزل مطره.

و أمّا النّظر إلى أهل البلاء بالاعتبار، فهو ممّا يؤكّد تعظيم النّعمة، فإذا به يصفو أيضا، و مراده تفصيل ما ذكر من أحكام اليقظة، فهذا هو الحكم الأوّل، ثمّ يذكر بعده الحكم الثاني، و هو مطالعة الجناية، و هذا الذي ذكره هو القسم الأوّل من اليقظة.

و أمّا مطالعة الجناية، فإنّها تصحّ بثلاثة أشياء: بتعظيم الحقّ، و معرفة النّفس، و تصديق الوعيد.

أراد رضي الله عنه أنّ من تمّت عظمة الحقّ تعالى في قلبه عظمت عنده مخالفته، فأخذ في التّشمير، لأنّ مخالفة العظيم عظيمة، و هذه أحد الثلاثة الأشياء.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۵۹

الثاني: أنّ من عرف حقارة نفسه عظمت عنده المخالفة أيضا، لأنّ تجرّي الحقير على العظيم أعظم و أقبح، فإذا عرف حقارة نفسه استقبح الجناية جدّا، فعزم على التخلّص من رقّها، فهذا هو القسم الثاني.

الثالث: أنّ من صدّق الوعيد، و هو التّهديد بالعقوبة على الذنوب، طلب النّجاة بتمحيصها، ليسلم من العقوبة، و هذا هو الثالث، فإذا مطالعة الجناية تصحّ بهذه الثلاثة أشياء. و هذا هو القسم الثاني من اليقظة.

قال الشيخ: و أمّا معرفة الزيادة و النقصان من الأيّام، فإنّها تستقيم بثلاثة أشياء: سماع العلم، و إجابة دواعي الحرمة، و صحبة الصّالحين.

أراد رضي الله عنه بسماع العلم، الحضور في مجالس العلماء لتعلّم أحكام العبادات، و هذا هو الشّرط الأوّل.

الثاني: إجابة دواعي الحرمة، و أمّا إجابة دواعي الحرمة فتعظيم حرمات الله تعالى، و أنّ التّعظيم يوجب التّوبة، و الحرمة هنا العظمة.

الثالث: صحبة الصّالحين، و اشترط ذلك لما فيه من التأدّب بآدابهم، و التخلّق بأخلاقهم، و ليدخل أيضا في الجماعة، فقد ورد: يد الله مع الجماعة. و ورد عنه صلى الله عليه و سلم: «إنّ الذئب لا يأكل إلاّ القاصية»، إشارة إلى الفرد. و ورد عنه صلى الله عليه و سلم أنّه قال: الواحد شيطان،/ و الاثنان شيطانان، و الثلاثة وكب، و مثله الجماعة رحمة، و هذا هو القسم الثالث من اليقظة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٦٠

قال الشيخ: و **ملاك ذلك كلّه وجوب خلع العادات**، الملاك هو ما يملك به الشيء، و ملاك الأمر هو ما يدور الأمر عليه.

و قوله: وجوب خلع العادات، أي يوجب على نفسه خلع العادات وجوبا لا رخصة فيه، و بالجملة أن يترك الغفلة و جميع لواحقها من الاسترسال في البطالة، فإنّ الغفلة نوم، و اليقظة هي نقيض النّوم، فيغيّر أحكام النوم بأحكام اليقظة تغييرا يوجبه على نفسه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٦١

[باب التّوبة]

باب التّوبة قال الله تعالى: وَ مَن لَمْ يَتُبْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.

فأسقط اسم الظّلم على التائب.

التّوبة في اللّغة هي الرّجوع، تقول: تاب على أثره، أي رجع على أثره، و هي هنا الرّجوع عن المخالفة إلى الموافقة، و الظّلم في اللّغة وضع الشيء في غير محلّه، و هو هنا وضع الأفعال في موضع لا يحلّ وضعها فيه، و سقوط اسم الظّلم عن التّائب في قوله تعالى: **وَ مَن لَمْ يَتُبْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**، ظاهر، و رجوع التّائب يكون عن طريق المغضوب عليهم، و الضّالين إلى الصّراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم، و ذلك لا يكون إلاّ بالهداية، و لذلك يقول العبد: **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**، إلى آخر السورة.

[التّوبة لا تصحّ إلاّ بعد معرفة الذّنب]

قال الشيخ رحمه الله:

و التّوبة لا تصحّ إلاّ بعد معرفة الذّنب، و هي أن تنظر في الذّنب إلى ثلاثة أشياء: إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه، و فرحك عند الظّفر به، و قعودك على الإصرار عن تداركه مع يقينك بنظر الحقّ إليك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٦٢

قوله رضي الله عنه: التّوبة لا تصحّ إلاّ بعد معرفة الذّنب، يوهم أنّ من تاب و لم يعرف ذنوبه كلّها لم تصحّ توبته، و ليس المقصود هذا، بل المقصود، أن يعرف أنّه قد صدرت منه المخالفة، فالألف و اللام في الذّنب هي للجنس الذي يراد به تعيين الحقيقة، اللّهم إلاّ أن يكون قد أراد توبة عن ذنب معيّن، فذلك ظاهر، لكن الغالب أنّ مقصوده إنّما هو المخالفة مطلقا،/ لأنّ المعنى إنّما يصحّ بذلك.

ثمّ فسّر معرفة الذّنب بثلاثة أشياء:

أحدها: النّظر في المخالفة، إلى الانخلاع عن العصمة، و هي الهداية، قال تعالى: **وَ مَن يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**، فيعظم عليه هذا الانخلاع إذا نظر إليه، فيرجع بالتّوبة إلى العصمة منه.

الثاني: قوله: و فرحك عند الظّفر به، و ذلك لأنّ الفرح بالمعصية دليل شدّة الرّغبة فيها، فيرجع بالتّوبة عن ذلك الفرح إلى الحزن عليها، و إلى الفرح بالإعراض عنها.

الثالث: قوله: و قعودك، إلى آخر الفصل، و يعني بالإصرار الاستقرار على المخالفة و الطمأنينة بها، و ذلك لأنّ الطمأنينة بالمعصية معصية أخرى. قال تعالى: **رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اطْمَأَنُّوا بِهَا**.

فجعل الرّضا بالحياة الدّنيا من الآخرة ذنبا، و جعل الطمأنينة بذلك ذنبا آخر، فالقعود عن تدارك الفارط من المعصية إصرار، و هو ذنب آخر.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۶۳

ثمّ أشار إلى شرط صحيح و هو قوله: مع يقينك بنظر الحقّ إليك، و ذلك لأنّه إذ لم يكن مستيقنا بذلك كان شاكّا، و من كان شاكّا كان كافرا، و الكافر لا تصحّ توبته حتّى يؤمن، فإذا شرط صحّة التّوبة تيقّن العاصي أنّ الله تعالى ينظر إليه، فإن استمرّ بعد ذلك فهو مصرّ، فالتّوبة في حقّه أن يرجع عن هذا الإصرار إلى تدارك التّوبة بالرّجوع إلى الموافقة.

[شرائط التّوبة ثلاثة أشياء]

و شرائط التّوبة ثلاثة أشياء: النّدم، و الاعتذار، و الإقلاع.

الشرائط هي العلامات، و أشراط السّاعة علاماتها، هكذا ورد في الحديث الصّحيح، و النّدم معلوم، و كذلك الاعتذار.

و أمّا الإقلاع فهو ترك ما كان عليه، و الكفّ عن أفعاله و أقواله الّتي كان يفعلها.

فأمّا النّدم فهو من أفعال القلب. و أمّا الاعتذار فهو من أفعال اللّسان.

و أمّا الإقلاع فهو من أفعال حملة الإنسان، لكنّه في الأشهر من أفعال الجوارح، فالنّدم و الاعتذار و الإقلاع بجمع أحكام النّفس و القول و الفعل، فيحصل كمال التّوبة، و الإقلاع عن النّاس هو أصل كبير في هذا الباب، أي تركهم.

[حقائق التّوبة ثلاثة أشياء]

قال رضي الله عنه: و حقائق التّوبة / ثلاثة أشياء:

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۶۴

تعظيم الجناية، و اتّهام التّوبة، و طلب إعذار الخليقة.

الحقيقة ضدّ المجاز، قال صلّى الله عليه و سلم: إنّ لكلّ حقّ حقيقة، و حقيقة كلّ شيء زبدته و خلاصته.

فأمّا تعظيم الجناية فهو استعظام قبح الذّنب، و ذلك ممّا يقوّي النّدم الذي هو أحد الشّرائط المذكورة في التّوبة.

و أمّا اتّهام التّوبة، فهو أن يتوهّم أنّه ما وفّاها حقّها، و أنّ من الجائز أن لا تقبل، فيصحبه الخوف دائما، و هذا القسم يقوّي الشّرط الثاني من شرائط التّوبة.

و هذا الاعتذار إلى الله تعالى من التّقصير في التّوبة.

و أمّا طلب إعذار الخليقة، فهو أن يعتذر من كلّ من يتعدّى عليه، فيكون قد أسقط حقّه عن النّاس، و هذا القسم يوجب الهروب منهم، فهذا يقوّي الإقلاع، و هو الشّرط الثالث من شرائط التّوبة.

[سرائر حقيقة التّوبة ثلاثة أشياء]

قال الشيخ: و سرائر حقيقة التّوبة ثلاثة أشياء:

تمييز التقيّة من العزّة، و نسيان الجناية، و التّوبة من التّوبة أبدا، لأنّ التّائب داخل في الجميع من قوله تعالى: وَ تُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فأمر التّائب بالتّوبة.

السّرائر هي البواطن، يعني حقيقة التّوبة لها بواطن غير ظواهرها المذكورة قبل، فإنّ بواطنها تمييز التقيّة من العزّة، و التّمييز هو التّفريق بين الأشياء المختلطة، ليجعل كلّ جنس مع جنسه.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۶۵

و أمّا التقيّة فهي التّقوى. و أمّا العزّة فهي الجاه، و المراد بالتّمييز هنا، هو أن يفرّق التّائب بين التقيّة الخالصة من الرّياء، و بين صورة التقيّة الّتي

يقصد بها العزّة و الجاه بين النّاس، فإنّ كثيرا من المتّقين يتلبّس عليهم حالهم، لأنّهم يفعلون التقيّة و نفوسهم تطلب بها الجاه و العزّة، و هم يظنّون أنّهم أخلصوا العمل، فمن لم يميّز بين التقيّة و العزّة لم يحصل له باطن حقيقة التّوبة.

و أمّا نسيان الجناية، فهو الاشتغال عن ذكر الذّنب بصفاء الوقت مع الله تعالى. و قد قال المشايخ رضي الله عنهم: ذكر الجفاء في وقت الصّفاء جفاء، فمن لم يشغله صفو وقته مع الله تعالى عن ذكر الذنوب لم يحصل له باطن حقيقة التّوبة.

و أمّا التّوبة من التّوبة، فهي/أيضا لصفاء الوقت، فإنّ التّوبة كما قال الشيخ: لا تصحّ إلاّ بعد معرفة الذّنب، فهي تحتاج إلى ذكر الذّنب.

و قد قلنا: إنّ ذكر الجفاء في وقت الصّفاء جفاء، فيتوب من هذه التّوبة التي هي سبب ذكر الذّنب.

قال الشيخ رحمه الله:

و الدّليل على صحّة وجود التّوبة من التّوبة قوله تعالى: **وَ تُوبُوا إِلَى الله جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ**. و من جملة المؤمنين التّائبون، فقد وقع الأمر للتّائبين بأن يتوبوا، و ليس لهم ذنوب يتوبون عنها، لأنّهم قد تابوا، فبقي أن يتوبوا من التّوبة، أي من ذكر الجفاء الذي يصحب التّوبة، و في ذلك يقول بعضهم:

تاب من الذّنب أناس و ما تاب من التّوبة إلاّ أنا

و ما ذاك إلاّ لحرصهم على الجمعيّة و صفاء الوقت مع الله تعالى

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۶۶

[لطائف أسرار التّوبة ثلاثة أشياء]

قال الشيخ رضي الله عنه: و لطائف أسرار التّوبة ثلاثة أشياء:

أوّلها: أن تنظر إلى الجناية و القضيّة، فتعرف مراد الله فيها إذ خلاّك و إتيانها، فإنّ الله عزّ و جلّ إنّما يخلّي العبد و الذّنب لأحد معنيين، أحدهما: أن يعرف عزّته في قضائه، و برّه في ستره، و حلمه في إمهال راكبه، و كرمه في قبول العذر منه، و فضله في مغفرته.

و الثاني: أن يقيم على عبده حجّة عدله، فيعاقبه على ذنبه بحجّته.

[أوّلها: أن تنظر إلى الجناية و القضيّة فتعرف مراد الله فيها]

هذه اللّطيفة الأولى من الثلاثة لطائف قد فصّلها الشيخ تفصيلا يستغني عن الشّرح، فإنّها واضحة، و حاصلها الاشتغال بما من الله تعالى به عن ذكر الخطيئة، فإنّ العبد إذا نظر إلى أنّ الله تعالى هو الذي مكّنه من الخطيئة، كان ملاحظا لمراداته تعالى، مستأنسا به، لأنّه لا ينازع الله تعالى في ملكه.

و هذه اللّطيفة على معنيين.

و معنى قوله: إذ خلاّك و إتيانها، أي إذ مكّنك من فعلها، فإنّ الإتيان هو الفعل، قال الله تعالى: **وَ اللاَّتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ**، أي يفعلنها من نسائكم.

فأمّا قوله: أن يعرف عزّته في قضائه، أي إنّه عزّ فحكم، أي حكم.

على العبد بما لا يقدر على ردّه، و ذاك لكمال عزّه، إذ من/عزّ حكم، فيعرف العبد عزّة سيّده، فيشتغل بمشاهدتها عن ذلّ المعصية، فيكون مع الله تعالى لا مع نفسه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۶۷

و أمّا أن يعرف برّه في ستره، فإنّ البرّ هو الإحسان، فينظر العبد إلى كون سيّده ستره في المعصية و لم يفضحه بين خلقه، فيشتغل بمشاهدة هذه النّعمة، فيذهل عن ذكر الخطيئة، فيكون مع المنعم سبحانه، فيكون أشرف له من حضوره مع ذلّ المعصية، فإنّ الحضور مع الله تعالى و

الغفلة عمّا سواه هو مطلوب القوم.

و أمّا قوله: و حلمه في إمهال راكبه، أي في إمهال راكب الذّنب، فيعني أنّ العبد يشتغل بمشاهدة حلم الله تعالى عنه في كونه أمهله حتّى يتوب من ذنبه، و لو شاء لأعجله بالعقوبة، فيشتغل بمشاهدة الحليم سبحانه عن ذكر ذنبه، فيكون مع الله تعالى، لا مع الأغيار.

و أمّا قوله: و كرمه في قبول العذر منه، فإنّ العبد إذا اشتغل بشكر سيّده في كونه قبل منه العذر الذي لو شاء لما قبله، فيكون بذلك مع سيّده لا مع سواه، و هو المطلوب.

و أمّا قوله: و فضله في مغفرته، أي إنّ المغفرة فضل من الله من غير استحقاق، و المغفرة هي الستر، و المراد بها هنا هو ستر العقوبة بالعفو عنها، و الفضل هو الزّيادة، و هو هنا الموهبة الحاصلة من الله تعالى بلا سبب من العبد، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

المعنى الثاني من معاني لطائف أسرار التّوبة ممّا يختصّ باللّطيفة الأولى و هو قوله: ليقيم على العبد حجّة عدله، فيعاقبه على ذنبه بحجّته، و هذا المعنى هو من معاني اللّطائف، لأنّ العبد إذا كان مع مراد الله تعالى لا مع مراده لنفسه، فقد آثر الله تعالى على نفسه، و لم ينازعه في ملكه، و هذا من لطائف معاملات القلوب التي اعترفت بظهور حجّة الله تعالى عليها، فإذا هذان المعنيان شريفان، و هما اللّطيفة الأولى من سرائر التّوبة.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۶۸

[اللّطيفة الثانية: أن تعلم أنّ نظر البصير الصّادق في سيّئته لم تبق له حسنة بحال]

قال رضي الله عنه: اللّطيفة الثانية:

أن تعلم أنّ نظر البصير الصّادق / في سيّئته لم تبق له حسنة بحال، لأنّه يسير بين مشاهدة المنّة و تطلّب عيب النّفس و العمل.

البصير هو الذي له بصيرة نفس يفتّش بها عيوب نفسه و عيوب عمله، فإن رأى حسناته خالصة لوجه الله تعالى شاهدها منّة من الله تعالى عليه، فليس له فيها شيء. و إن رأى حسناته ما خلصت لله تعالى، بل كانت رياء و طلبا للجاه، فليس له فيها شيء لأجل العيوب التي فيها و في نفسه من النّفاق و الرّياء، فعلى الحالتين لم تبق له حسنة لكثرة طلبه لعيوب نفسه و عيوب عمله، و لمشاهدته أنّ الحسنة السالمة من العيوب هي من المنّة الإلهية لا منه، فأيّ حسنة تبقى للبصير الصّادق، و الصّادق هو الذي يشهد فعله بصحّة قوله.

[اللّطيفة الثالثة: إنّ مشاهدة العبد الحكم لم تدع له استحسان حسنة، و لا استقباح سيّئة]

اللّطيفة الثالثة:

إنّ مشاهدة العبد الحكم لم تدع له استحسان حسنة، و لا استقباح سيّئة لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم.

الحكم هو نسبة الأفعال إلى الله تعالى من غير أثر لسواه فيها، و هذا المعنى يوجب ألّا يكون للعبد حسنة يستحسنها، و لا سيّئة يستقبحها، لصعود جميع المعاني إلى معنى الحكم المذكور، و تأمّل قوله تعالى:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ، أي نفى كلّ شيء إلاّ وجهه، فله الحكم، و أهل المعرفة يحملون لفظ الفناء على الكائن الحادث أزلا و أبدا لقهر سلطان الوحدانيّة دائما، و إن عمي عن شهودها المحجوبون، فإذا شهدها العبد فني عن الاستحسان و الاستقباح

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۶۹

[فتوبة العامّة لاستكثار الطّاعة تدعو إلى ثلاثة أشياء]

قال رضي الله عنه: فتوبة العامّة لاستكثار الطّاعة تدعو إلى ثلاثة أشياء:

إلى جحود نعمة السّتر و الإمهال، و رؤية الحقّ على الله تعالى، و الاستغناء الذي هو عين الجبروت و التوثّب على الله تعالى.

يقول: إنّ توبة العامّة هي لاستكثار الحسنات، و في طلب ذلك سوء أدب عند الخواصّ، أمّا من جهة جحود نعمة السّتر و الإمهال، فإنّ

حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين، و إذا كانت سيّئات و قد سترهم الله تعالى فيها، و هم يظنّون أنّها حسنات لا يحتاجون فيها إلى ستر الله تعالى إيّاهم و إمهاله لهم، (و هذا القدر هو جحود لنعمة السّتر و الإمهال).

الثاني: رؤية أنّ لهم حقّا على الله تعالى في مجازاتهم/على تلك الحسنات بالجنان و النعيم و الرّضوان، و هم لا حقّ لهم في تلك الأعمال، (و لا) يجب على الله تعالى مجازاتهم عليها إلاّ رحمة منه.

الثالث: إظهار الاستغناء عن مغفرة الله تعالى لهم، إذ يرون أنّهم أهل طاعة لا أهل معصية، و لو فتّشوا لوجدوا إحسانهم سيّئات لأمور يعرفها المقرّبون، و لا شكّ أنّ إظهار الاستغناء هو جبروت و توثّب على الله تعالى.

[توبة الأوساط من استقلال المعصية]

و توبة الأوساط من استقلال المعصية، و هو عين الجرأة و المبارزة، و محض التزيّن بالحميّة، و الاسترسال للقطيعة.

الأوساط (هم) المتوسّطون في الطريق، و توبتهم هي من استقلال قدر المعصية و استصغارها حين يرون أنّها حكم الله تعالى فيهم، و ينسبونها إلى سعة عفو الله تعالى فتصغر عندهم، و هذا سوء أدب يجب

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۷۰

التّوبة منه، و فيه جرأة على الله تعالى و مبارزة له، و محض التزيّن بالحميّة، أي بالمحاماة للنّفس حين يقول من هذه حاله: مالي ذنب، فإنّ الله تعالى حكم عليّ و قدّر و قضى، ثمّ إنّه يسترسل مع القطيعة، أي المقاطعة لله تعالى بكونه لا يعترف، و يرجع إلى الله تعالى بالتّوبة، و هذا أكثر من يقع فيه الذين يسلكون بأنفسهم، من غير أن يكون لهم مربّ أو شيخ يؤدّبهم، و ربّما كانت جرأتهم عن وارد بسط و هو حقّ، فتؤدّيهم حقيقته إلى الانبساط الخارج عن الحدّ، و توبة هؤلاء هي بوارد آخر يمنعهم من الانبساط، و ليس كتوبة العامّة، فإنّ توبتهم بأنفسهم.

[توبة الخواصّ من تضييع الوقت]

و توبة الخواصّ من تضييع الوقت، فإنّه يدعو إلى درك النقيصة، و يطفي نور المراقبة، و يكدّر عين الصحبة.

يقول: إنّ توبة الخواصّ هي من تضييع الوقت في غير المراقبة، فإنّ ذلك يدعو إلى الدّرك الأسفل، و هي النّقيصة، لأنّه يعوق عن الكمال، فيحصل النّقص، و الدّرك إلى أسفل بمنزلة الدّرج إلى فوق، قال الله تعالى: **إِنَّ الْمُنٰافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّٰارِ**.

و قوله: و يطفي نور المراقبة، يعني أنّ المراقبة تعطي النّور الكاشف للحقائق، و تضييع الوقت يقتضي ترك المراقبة، فينطفئ ذلك النّور (بالغفلة).

قوله: و يكدّر عين الصّحبة،/أي و يكدّر الصّحبة مع الله تعالى، قال عليه السّلام: «اللّهمّ أنت الصّاحب في السّفر»، فأثبت الصّحبة. و لا شكّ أنّ تضييع الوقت يكدّرها، فإذا توبة الخواصّ من تضييع الوقت الدّاعي إلى هذه الأمور و النّقائص و الشّرور.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۷۱

[لا يتم مقام التّوبة إلا بالانتهاء إلى التّوبة ممّا دون الحقّ]

و لا يتم مقام التّوبة إلا بالانتهاء إلى التّوبة ممّا دون الحقّ، ثمّ رؤية علّة التّوبة، ثمّ التّوبة (من تلك العلّة).

التّوبة ممّا دون الله تعالى هي أن يخرج العبد بقلبه عمّا سوى الله تعالى، ثمّ إنّه يعبد الله بالعبادة التي تليق بمقامه، فلا يعبده خوفا من النّار، و لا رغبة في الجنّة، و هذا أمر لا يصحّ إلاّ لمن غلبه الشّوق و القلق، حتّى بطلت حواسّه الظّاهرة و الباطنة، و انقهر تحت سلطان الوجد، ثمّ إنّه إذا صحّ له ذلك يرى في هذه التّوبة علّة أخرى، و هو كونه أحسّ، إذ لو لا الإحساس لما اهتدى إلى هذه التّوبة، فإذا رؤيته لهذه التّوبة هي علّة لها، فيتوب عن رؤية تلك العلّة، صدق رضي الله عنه، و كلامه يدلّ على أنّه بلغ من الصّفاء إلى هذا الحدّ، فإنّه لا يعرف هذا الأمر إلاّ من باشره.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۷۳

[باب المحاسبة]

باب المحاسبة قال الله تعالى: **يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ**.

شاهد المحاسبة في هذه الآية هو قوله تعالى: **وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ**، فالنّظر فيما قدّمت لغد هو المحاسبة.

و **إنّما يسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التّوبة**، يعني إنّ المحاسبة عند هذه الطّائفة لا تكون إلاّ بعد الاستمرار على حفظ التّوبة حتّى يسلم عقدها، و العقد هو العهد، قال الله تعالى: **يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**، أي بالعهود

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۷۴

[العزيمة لها ثلاثة أركان]

و العزيمة لها ثلاثة أركان:

[أحدها: أن تقيس بين نعمته و جنايتك]

أحدها:

أن تقيس بين نعمته و جنايتك.

أشار رضي الله عنه إلى أنّ المحاسبة هي التقييس بين نعمة الله عليك و جنايتك عليه، فتعلم ما منه و ما منك، ثمّ تقيس الحسنات إلى السيّئات، فتتبيّن أيّهما أرجح و أكثر، فتتميّز لك حالك بمحاسبتك للنّفس.

و هذا يشقّ على من ليس له ثلاثة أشياء: نور الحكمة، و سوء الظنّ بالنّفس، و تمييز النّعمة من الفتنة.

أوّل هذه الأشياء نور الحكمة، و يحتاج إليه لأجل التّمييز بين الحقّ و الباطل على مقتضى الحكمة الشرعيّة، و نور الحكمة هنا تحصيل العلم الظّاهر.

الثاني: سوء الظنّ بالنّفس، و يحتاج إليه، لأنّ حسن الظنّ يمنع من إتقان التقييس، و معنى سوء الظنّ بالنّفس، هو أن لا يعتقد أنّها تفعل خيرا خالصا أصلا، و هو الحزم.

الثالث: تمييز النّعمة من الفتنة، و يحتاج إليه حتّى يفرّق بين النّعمة التي يراد بها الإحسان، و بين النّعمة التي يراد بها الاستدراج، فإذا كملت هذه الأشياء الثلاثة أمكن أن يحاسب النّفس بالتقييس، و معنى التّمييز المذكور و هو أن تنظر، فإن كان ما أنعم عليك به من الدّنيا يجمعك على الله تعالى فهو نعمة، و إن فرّقك فهو فتنة.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۷۵

[الثاني: أن تميّز ما للحقّ عليك ممّا لك أو منك]

الثاني:

أن تميّز ما للحقّ عليك ممّا لك أو منك، فتعلم أنّ الجناية عليك حجّة، و الطّاعة عليك منّة، و الحكم حجّة ما هي لكم معذرة.

قال رضي الله عنه: الرّكن الثاني من أركان العزيمة، هو أن تميّز ما للحقّ عليك من وجوب العبوديّة، و التزام الطّاعة و اجتناب المعصية، و بين ما لك و الذي لك هو المباح الشرعيّ كالطّعام الحلال، و النّكاح الحلال، من غير إكثار من الرّخص، فتعرف قدرك، و تعلم ما منك أيضا، أي ما يصدر منك، فتتحقّق أنّ الجناية حجّة عليك في وجوب العقاب، و أنّ الطّاعة صدقة من الله تعالى عليك و منّة منه، فلا تستحقّ عليها أجرا، و أنّ الحكم و هو نسبة جنايتك و أفعالك إلى قضائه و قدره و فعله هي أيضا حجّة عليك، و ليس فيها معذرة لك، و إن ظننت أنّ في القضاء و القدر عذرا لك فلست من أهل هذا المقام.

[الثالث أن تعرف أنّ كلّ طاعة رضيتها منك فهي عليك، و كلّ معصية عيّرت بها أخاك فهي إليك]

الثالث:

أن تعرف أنّ كلّ طاعة رضيتها منك فهي عليك، و كلّ معصية عيّرت بها أخاك فهي إليك، فلا تضيّع ميزان وقتك من يديك.

الرّكن الثالث من أركان العزيمة و هو أنّ تعرف أنّ كلّ طاعة رضيت بها فكأنّك قنعت بها و رضيتها لربّك، و أيّ طاعة منك تليق بسيّدك حتّى ترضاها له، فإن رضيتها فهي عليك لا لك، و كلّ معصية عيّرت بها أخاك فكأنّك شكرت نفسك على الطّاعة، فصارت معصيتك في شكر نفسك/ أشدّ من معصية أخيك، فالمعصية إذا إليك، ثمّ إنّه رضي الله عنه وصّاك فقال: لا تضيّع ميزانك من يديك، أي ميّز هذه الأشياء، وزنها بميزان محاسبة نفسك حتّى لا تضيّع وقتك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۷۷

[باب الإنابة]

باب الإنابة قال الله عزّ و جلّ: وَ أَنِيبُوا إِلىٰ رَبِّكُمْ.

الإنابة في اللّغة هي الرّجوع، و هي هنا الرّجوع إلى الحقّ الإنابة ثلاثة أشياء:

الرّجوع إلى الحقّ إصلاحا، كما رجع إليه اعتذارا، و الرجوع إليه وفاء، كما رجع إليه عهدا، و الرّجوع إليه حالا، كما رجع إليه إجابة.

أي الرّجوع إلى الله تعالى في إصلاح الطّاعة كما رجعت إليه في الاعتذار عن المعصية عند التّوبة، و كذلك الرّجوع أيضا إليه في الوفاء بالوعد كما رجعت إليه في التّوبة بالعهد لكي تفي بما عاهدته عليه، **وَ مَنْ أَوْفىٰ بِمٰا عٰاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**، و الرّجوع أيضا إليه حالا كما رجعت إليه مقالا عند التّوبة، أي يشهد لك صحّة حالك بصدق مقالك عند ما أقررت بالتّوبة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۷۸

و إنّما يستقيم الرّجوع إليه إصلاحا بثلاثة أشياء:

بالخروج من التّبعات، و التوجّع للعثرات، و استدراك الفائتات.

الخروج من التّبعات هو بالاستغفار من الذّنوب التي بينك و بين الله تعالى، و بردّ مظالم العباد، حتّى لا يبقى لأحد عليك مطالبة.

و التوجّع للعثرات، و هو أن تقيل عثرة أخيك، و تتوجّع له إذا أصابته نائبة.

و استدراك الفائتات مثل قضاء الصّلوات الفائتات، و إخراج الزّكوات المتروكات، و شبه ذلك. فبهذه الثلاثة يستقيم الرّجوع إليه تعالى بالإصلاح.

و إنّما يستقيم الرّجوع إليه وفاء بثلاثة أشياء:

بالخلاص من لذّة الذّنب. و بترك استهانة أهل الغفلة تخوّفا عليهم مع الرّجاء لنفسك. و بالاستقصاء في رؤية علل الخدمة.

الأوّل: الخلاص من لذّة الذّنب، و هو أنّ النّفس إذا كانت تتلذّذ بالتفكّر في الذّنب تعود تتألّم بذكره، و الذّكر فيه لصفاء الإنابة إلى الله تعالى.

الثاني: ترك الاستهانة بأهل الغفلة، الاستهانة هي الاحتقار، أي لا ترجو لنفسك الرّحمة، و تخشى على أهل الغفلة النّقمة، و لكن اخش على نفسك النّقمة، و ارج/ لأهل الغفلة الرّحمة، و لا تحقرهم.

الثالث: قوله: و بالاستقصاء في رؤية علل الخدمة، أي تستقصي عن أمراض خدمتك لله تعالى و للإخوان و عللها، حتّى تعرف كيف تخلّصها من حظّ النّفس.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۷۹

و إنّما يستقيم الرّجوع إليه حالا بثلاثة أشياء:

بالإياس من عملك. و بمعاينة اضطرارك. و شيم برق لطفه بك.

الإياس من العمل سببه مشاهدة الفاعل الحقّ، فينتسب الفعل إليه، فيبقى لك الإياس من العمل، يعني من رؤية العمل، فلا يرى أنّ له عملا.

و معاينة الاضطرار، يعني أنّه لمّا لم يبق له عمل، ظهر له افتقاره إلى الله تعالى و اضطراره.

قوله: و شيم برق لطفه بك، يعني: إنّ من أصبح فقيرا من عمله، مضطرًا إلى ربّه، لاحت له بوارق لطف سيّده به. و هكذا جرت سنّة الله تعالى مع أهل السّلوك، لا يلوح لهم بارق المعرفة حتّى يفنوا عن رؤية العمل، و يتحقّقوا بالاضطرار إلى الله تعالى، ولي من أبيات نظمتها:

و بذلك المغنى غنيّ ملاحة　　　بالفقر في حبّي له أتوسّل

فقد استوفى رضي الله عنه ذكر الرّجوع إلى الله تعالى من الوجوه الثلاثة، و ذكر بما ذا يستقيم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۸۱

[باب التفكّر]

باب التفكّر قال الله تعالى: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.

الذّكر هو الكتاب العزيز، أنزله تعالى على محمّد صلى الله عليه و سلم ليبيّن للنّاس الحلال و الحرام و سائر الأحكام، لعلّهم يتفكّرون في معانيها، فيعرفون طريق النجاة.

اعلم أنّ التفكّر تلمّس البصيرة لاستدراك البغية.

قال: التفكّر هو التماس العقل، و هو تفتيشه لكي يدرك البغية، و البغية هي المطلوب الذي يبتغيه المتفكّر.

و هو على ثلاثة أنواع: فكرة في عين التّوحيد. و فكرة في لطائف الصّنعة. و فكرة في معاني الأحوال و الأعمال.

التّوحيد هو تنزيه الله تعالى من الشّرك، و لطائف الصّنعة هي محاسن الصّنعة و إتقانها، و يعني صنعة الله تعالى في مخلوقاته، تبارك الله أحسن الخالقين.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۸۲

و أمّا معاني الأعمال، فهي حدود الله تعالى في عباده، **وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**.

/ فأمّا معاني الأحوال، فهي المعاني الواردة على قلوب المتوسّطين من البسط و القبض، و إشارات التّوحيد و تجليّات أنواره.

و قد فسّر ذلك بقوله: **و أمّا الفكرة في عين التّوحيد فهي اقتحام بحر الجحود، و لا ينجي منه إلاّ الاعتصام بضياء الكشف، و التمسّك بالعلم الظّاهر.**

لمّا رأى الشيخ أنّ الفكرة في عين التّوحيد تبعد العبد عن التّوحيد الصّحيح، لأنّ التّوحيد الصّحيح عنده لا يكون إلاّ بعد فناء الفكر و المتفكّر، فالفكرة تدلّ على بقاء الرّسم، و التّوحيد لا يكون مع بقاء رسم أصلا، فالفكرة إذا علامة الجحود، فلذلك قال: فأمّا الفكرة في عين التّوحيد فهي اقتحام بحر الجحود، و قد ذكر الشيخ هذا المعنى في شعر له، و هو آخر شيء في هذا الكتاب، و هو باب التّوحيد فانظره هناك.

قوله: و لا ينجي منه، يعني من بحر الجحود إلاّ الاعتصام بضياء الكشف، يعني لا يحصل التّوحيد إلاّ بضياء الكشف لا بالفكرة.

قوله: و التمسّك بالعلم الظّاهر، يعني أنّ يقرّ لله تعالى بالوحدانيّة تقليدا من غير فكر، بل تصديقا و إيمانا، و ذلك هو توحيد العوامّ، و مستنده النّقل، مثل قوله تعالى: **لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتا**. و شبه ذلك كثير، و توحيد الخواصّ من لدنه تعالى،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۸۳

قال عزّ و جلّ: **وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً**، و علامته غيبة الحدوث في القدم، و هذا أمر يعجز العقل عن إدراكه. و لهذا قال الشيخ في هذا الباب: إنّ العبد لا يتخلّص هنا إلاّ بمعرفة عجز العقل.

و أمّا الفكرة في لطائف الصّنعة، فهو ما يسقي زرع الحكمة.

يقول رضي الله عنه: إنّ الفكرة في لطائف الصّنعة، و هي صنعة الله تعالى في مخلوقاته. و من أحسن من الله صنعة، فإنّها تقوّي إدراك رحمة الله في قلب المتفكّر و تثبتها، و تحيي زرع الحكمة، كما يحيي الماء الزّرع، غير أنّ الفكرة في لطائف الصّنعة من أوصاف أهل البداية، و الملاحظة للطائف الأحوال، و التجلّيات و الواردات العرفانيّة هي من أوصاف المتوسّطين، و الفناء في التّوحيد من أوصاف أهل النهاية التي أشار إليها الشيخ،/ و فوقها نهايات أخرى، و الترقّي لا يتناهى في الدّنيا و لا في الآخرة، و سيأتي ذكر ذلك.

و أمّا الفكرة في معاني الأعمال و الأحوال، فهو تسهيل طريق الحقيقة.

يقول: إنّ الفكرة في معاني الأفعال هي ملاحظة العبد أنّ الأعمال الصّالحة هي من من الله تعالى، و إنّها منه لا من العبد، فيتنبّه إلى توحيد الأفعال، و هو أوّل مقامات الوصول، فقد صحّ أنّ الفكرة في معاني الأعمال تسهّل سلوك طريق الحقيقة، و أمّا النظر في معاني الأحوال، فهي أنّ الأحوال هي بوارق التّوحيد و إشارات التّفريد، فمعانيها تدعو إلى حضرة الحقيقة، فمن أجاب دواعي تلك الأحوال (أوصلته)، فقد صحّ بهذا أنّ الفكرة في معاني الأحوال تسهّل سلوك طريق الحقيقة

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۸۴

و إنّما يتخلّص من الفكرة في عين التّوحيد بثلاثة أشياء:

بمعرفة عجز العقل. و الإياس من الوقوف على الغاية، و بالاعتصام بحبل التّعظيم.

يقول رضي الله عنه: إنّ من أطلعه الله تعالى على عجز العقول عن إدراك عين التّوحيد، فقد تخلّص من الفكرة فيه، فهذا هو أحد الثلاثة أشياء التي يتخلّص العبد بها من الفكرة في عين التّوحيد.

الثاني، هو قوله: و الإياس من الوقوف على الغاية، يعني أنّ من انقطع طمعه عن إدراك غاية يحصل بها التّوحيد بالتفكّر، فقد تخلّص من الفكرة في عين التّوحيد أيضا.

الثالث، قوله: و الاعتصام بحبل التّعظيم، أي من عرف العجز، و يئس من الغاية، اعتصم بتعظيم الله تعالى، أي عظّم الله تعالى عن أن يدركه عقل أو فكر، فيخلص بذلك التّعظيم عن التعرّض إلى الفكرة في عين التّوحيد، فصحّ بذلك أنّ هذه الثلاثة بها يتخلّص العبد من الفكر في عين التّوحيد.

و إنّما تدرك لطائف الصّنعة بثلاثة أشياء:

بحسن النّظر في مبادئ المنن. و بالإجابة لدواعي الإشارات.

و بالخلاص من رقّ إتيان الشّهوات.

يقول رضي الله عنه: إنّ إدراك لطائف الصّنعة يحصل بحسن النّظر في مبادئ المنن، و المنن هي المواهب، و ذلك بأن ينظر العبد فيما/ قبل التّكوين، فيرى أنّ المخلوقات قبل خلقها ما كانت تستحقّ على الله تعالى أن يخلقها، و لا أن يخرجها إلى الوجود، و لا أن يرزقها،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۸۵

و لا أن يوصل إليها هذه النّعم الظّاهرة و الباطنة، ثمّ إنّه تبارك و تعالى فعل ذلك منّة منه و فضلا ابتداء، فهذا هو النّظر في مبادئ المنن، و هو أحد ما يدرك به لطائف الصّنعة.

الثاني، قوله: و بالإجابة لدواعي الإشارات، أي إذا نظر في مبادئ المنن فأدرك لطائف الصّنعة رآها إشارات دالاّت على وجوب حقّ الله تعالى على عباده، و تلك الإشارات دائما تدعو إلى طاعة ربّها تبارك و تعالى، فإذا أجاب العبد دواعيها أطاع الله تعالى و اتّقاه، قال تعالى:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقٰاناً، أي نورا تفرّقون به بين الحقّ و الباطل، فإذا بإجابة دواعي الإشارات يحصل الفرقان،

و بالفرقان يقوى إدراك ما غاب من لطائف الصّنعة، و هذا هو القسم الثاني.

الثالث، قوله: و بالخلاص من رقّ إتيان الشّهوات، هو فعل الشّهوات، و معنى هذا الكلام، أنّ من لم يشغله حبّ الشّهوات الّتي زيّنت للنّاس حتّى ملكت رقّهم، بل أعرض عنها حتّى صار حرّا، أمكنه أن يتفرّغ لإدراك لطائف صنعة الله تعالى، لأنّه بذلك يصفو وقته، و ينجمع خاطره، و يستنير قلبه لأجل مفارقته لظلمة الشّهوات، و ملازمته لأنوار المجاهدات، فبهذا أيضا (يحصل) إدراك لطائف الصّنعة.

فصحّ أنّ بهذه الثلاثة أشياء تدرك لطائف الصّنعة.

و إنّما يوقف بالفكرة على مراتب الأعمال و الأحوال بثلاثة أشياء:

باستصحاب العلم. و إبهام المرسومات. و معرفة مواقع العبر.

الوقوف على الشيء هو معرفته، فمعرفته الأعمال هي باستصحاب العلم، لأنّ العمل لا يعرف إلاّ بالعلم، و معرفة الأحوال هي بإبهام

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۸۶

المرسومات، و المرسومات هي الكثرة، فإنّ الأحوال تمحو الكثرة بأنوار الوحدانيّة، و هذا ممّا يشرح مشافهة.

و أمّا مواقع العبر، فهي معاني الواردات التي تغيّر حكم الشخص، فتنقله من حال إلى ما هو أعلى منها، و تنقله من أحكام العلوم إلى أحكام المعارف الخاصّة/ بالأحوال، فإنّ معاني العلم ما هي المقصود، و لكن هي في طريق المقصود، و مواقع العبر بالعين غير معجمة، هي الاعتبارات الّتي مطالعة الفكر لها ترشد إلى الترقّي، مثل الوارد يثبت عند السّالك أنّ فعله هو من الله تعالى لا منه بمنزلة قوله تعالى: **وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ الله رَمىٰ**. و هو رفع الفعل عن واحد فواحد، و نسبته إلى الله تعالى، فاعتبر الفكر ذلك، فوجد رفعه عن الواحد يقتضي رفعه عن الكلّ، و إثباته للحقّ تعالى، فاعتبر ذلك فصحّ عنده، فانتقل عن الحكم للواحد إلى الحكم للكلّ بشهادة الكتاب العزيز في مثل قوله تعالى: **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لٰكِنَّ الله قَتَلَهُمْ**، فهذا اعتبار للكثير بالواحد في الأحوال، فمن عرف مواقع الاعتبار وقف بالفكرة على مراتب الأحوال.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۸۷

[باب التذكّر]

باب التذكّر قال الله تعالى: وَ ما يَتَذَكَّرُ إِلاّ من يُنِيبُ.

الآية تدلّ على أنّ التذكّر بعد الإنابة، و ينيب بمعنى يرجع، و قد تقدّم ذكر الإنابة.

قال رضي الله عنه: التذكّر فوق التفكّر، فإنّ التفكّر طلب، و التذكّر وجود وافق كونه جعل التفكّر طلبا أنّه ذكر في باب التفكّر أنّ التفكّر تلمّس البصيرة لاستدراك البغية، و التلمّس هو الطّلب.

و أمّا قوله: إنّ التذكّر وجود، لأنّ التذكّر يكون فيما قد حصل بالتفكّر ثمّ نسيه، فهو يتذكّره فيجده في ذهنه موجودا، فلهذا قال: و التذكّر وجود.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۸۸

و أبنية التذكّر ثلاثة أشياء:

الانتفاع بالعظة. و الإستبصار للعبرة. و الظفر بثمرة الفكرة.

الانتفاع بالعظة، هو أن تؤثّر العظة في القلب الخوف و الرّجاء، فيتحرّك للعمل طلبا للخلاص من الخوف، و تحصيل المرجوّ، و العظة هي الوعظ، و الإستبصار هو زيادة البصيرة عمّا كانت عليه في مقام التفكّر بقوّة الاستحضار، لأنّ التذكّر يصقل المعاني التي حصلت بالتفكّر في مواقع العبر كما تقدّم، و يقوّي العزم على السير، لأنّه تحديد النّظر فيما يحرّك الطلب.

/ قوله: و الظّفر بثمرة الفكرة، يعني أنّ العقل حال التفكّر كان قد كلّ بتحصيل المعاني، فلمّا تخمّرت المعاني في القلب، و استراح العقل و عاد

فتذكّر ما كان حصّله، أدرك المطلوب تماما، و صحّح ما كان فاته في حالة التفكّر، لأنّه قد أشرف على مقام التفكّر من المقام الذي فوقه فصحّحه، و شرع في العمل الصّالح، فحصل له بذلك ثمرة الفكرة، لأنّ العمل الصّالح هو ثمرة الفكرة الصّالحة، و بالتذكّر يكمل حصول هذه الثمرة، و يتمّ الظّفر بها.

و إنّما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء:

بشدّة الافتقار إليها. و بالعمى عن عيب الواعظ. و تذكّر الوعد و الوعيد.

العظة هي الوعظ، و الأوّل من الثلاثة أشياء هو الافتقار إلى الوعظ، فكلّ من كان ضعيفا في الإنابة و التفكّر اشتدّ افتقاره إلى الوعظ ليتذكّر ما قد نسيه فينتفع بالتذكّر.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۸۹

الثاني: أنّ كلّ من عمي عن عيب الواعظ، و اشتغل بعيوب نفسه انتفع بقول الواعظ.

و قوله: عمي عن عيب الواعظ، أي لا ينظر إلى عيوب الواعظ، فكأنّه قد عمي عنها، و لذلك أنّ كلّ من أبصر عيوب الواعظ فإنّ وعظه لا يؤثّر في قلبه، و لا يحصل له منه خشوع، و كذلك كلّ من نظر إلى عيوب شيخه لم ينتفع به، و قد قال الشاعر: في هذا المعنى:

اسمع مقالي و لا تنظر إلى عملي ينفعك وعظي و لا يضرك تقصيري الثالث: تذكّر الوعد و الوعيد، الوعد هو بالخير، مثل الجنّة و نعيم المشاهدة، و الوعيد هو بالشرّ، مثل النّار و غضب الجبّار، أعاذنا الله من ذلك، فإذا تذكّر الوعد و الوعيد انتفع بالتذكّر، و جدّ في السير.

و إنّما يستبصر العبرة بثلاثة أشياء:

بحياة العقل. و معرفة الأيّام. و السّلامة من الأغراض.

يستبصر العبرة أي يميّزها و يحقّقها، و العبرة هي الاعتبار بأهل البلاء، و بآثار من سلف من الأمم، و غير ذلك.

و الأوّل من الثلاثة:

هو حياة العقل،/ و حياة العقل هو صحّة الإدراك، و فهم ما ينفعك فتفعله، و ما يضرّك فتتركه، و قد جرّب القوم أنّ حياة العقل تحصل لمن أكثر ذكر: يا حيّ يا قيّوم، لا إله إلاّ أنت. و من حصل له حياة العقل نفعه التذكّر.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۹۰

الثاني:

معرفة الأيّام، و قد تقدّم شرح معرفة الأيّام في باب اليقظة، و حاصله هنا تذكّر زيادة العمل الصّالح و نقصانه في أيّام العمر، و أن لا يضيّع العمر بل يبخل به، فلا يصرفه إلاّ في طاعة الله عزّ و جلّ، و في السير إلى منازل المقرّبين، و بذلك يحصل تمام الانتقاع بالتذكّر.

الثالث: السّلامة من الأغراض، يعني السّلامة من الرّياء و مقاصد الدّنيا، فإنّ ذلك يميت العقل، فإذا سلم من ذلك انتفع بالتذكّر، و أيضا فالأغراض هي من الهوى، و الهوى يفسد الرأي، و يعني بالهوى غرض النّفس الأمّارة، فمن كان مطاوعا لها تفقّهت عليه، حتّى تجعل له القبيح حسنا، فيتلبّس عليه الحقّ بالباطل، فلا ينتفع بالتذكّر.

و إنّما تجتنى ثمرة الفكرة بثلاثة أشياء:

بقصر الأمل. و التأمّل في القرآن. و قلّة الخلطة. و التمنّي.

و التعلّق. و الشبع. و المنام.

يقول رضي الله عنه: إنّ في مقام التذكّر ثمرة مقام الفكرة، لأنّه قد قرّر فيما سبق من كلامه أنّ كلّ مقام يصحّح ما قبله، ثمّ ذكر أنّ ثمرة الفكرة تجتنى بثلاثة أشياء:

الأوّل منها:

هو قصر الأمل، و هو أنّ العبد يستقرب الموت، فيشغله ذلك عن مطالب الدّنيا، و لا يزال يتذكّر الموت و قربه، فلا يزال قصير الأمل، و ذلك دليل على أنّه قد اجتنى ثمرة الفكرة، و لا تكون هذه الحالة إلاّ

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۹۱

لمن آثر جوار الله تعالى، و زهد في مجاورة المخلوقين، و أحبّ الآخرة الهنيّة، و كره الدّنيا الدنيّة، فاجتنى ثمرة الفكرة، و استبصر للعبرة، و انتفع بالعظة، فاستوفى شروط مقام التذكّر، فتحقّق فيه.

الثاني:

التأمّل في القرآن، أي في معاني القرآن التي هي التّرغيب و التّرهيب و الأمر و النهي، و الحلال و الحرام، و الحكم، و القصص،/ و الأمثال.

فالتّرغيب ينهض العبد بالوعد الجميل، و التّرهيب و هو التّخويف يحذّره من الويل الطّويل، و الأمر يهديه إلى سواء السّبيل، و النهي يصدّه عن طرق الأضاليل، و معرفة الحلال تنبّهه على شكر نعم ربّه الجليل، و معرفة الحرام توقفه عند الحدود خوفا من المآل الوبيل، و الحكم تثبّت قلبه عن الميل و التّحويل. و قصص من سلف من الأمم تناديه بلسان الحال: الرّحيل الرّحيل. و الأمثال تسهّل عليه الفهم إذا احتاج إلى التّسهيل، و في الكتاب العزيز لمتأمّله من الخيرات ما يعجز الحصر عن عدّها و بلوغ حدّها، و كلّ هذه تحقّق صاحبها بمقام التذكّر.

الثالث:

و هو التقليل من خمسة أشياء قد عدّها.

أحدها: الخلطة، فتأخذ منها قدر الحاجة، و هو صحبة الصّالحين، و ترك من عداهم، فإنّ خلطة من سواهم إن كانت في مباح أوجبت حقوق الإخوان التي تشغل صاحبها عن عبادة الرّحمن، و إن كانت في حرم، فهي من جملة الفسوق و العصيان.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۹۲

الثاني:

التمنّي، و هو مواعيد الشّيطان الّتي هي كذب و بهتان.

الثالث:

التعلّق بغير الله عزّ و جلّ، و هو عندهم شرك، فإنّ القلب بيت الربّ، فمن علّقه بسواه فقد اجترى على الله.

الرابع:

الشبع، و هو ممّا يقوّي شهوة الإنسان، فيدعوه إلى التنقّل من مكان إلى مكان، و يضيع عليه الزمان.

الخامس:

المنام، و هو ممّا يوجب النّسيان، و يميت القلب عن المطالب الحسان.

فمن قلّل من هذه الخمسة، و جمع إليها ما سبق شرحه، حصّل مقام التذكّر، و معنى التّقليل إنّه لا يفعل منها إلاّ القدر الضروريّ، و يترك ما زاد، و إن كان في تركه الجهاد.

و بمجموع ما ذكر يصحّ مقام التذكّر، و الله الهادي.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۹۳

[باب الاعتصام]

باب الاعتصام قال الله عزّ و جلّ: **وَ اعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاٰكُمْ**.

العصمة هي الحماية، و الاعتصام هو الاحتماء، و معنى اعتصموا باللّه، أي التجئوا إلى الله ليحميكم.

و أمّا قوله: **اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله**، فمعناه اعتصموا بطاعة الله يحميكم./ و يجوز أن يكون حبل الله هو عهده، و قيل في القرآن:

إنّه حبل الله تعالى فمن تمسّك به اعتصم و احتمى.

قال رضي الله عنه: الاعتصام بحبل الله تعالى هو المحافظة على طاعته، مراقبا لأمره.

أشار إلى أنّ الاعتصام بحبل الله هو غير الاعتصام باللّه، ثمّ إنّه قدّم ذكر الاعتصام بحبل الله، لأنّه هو حال أهل البداية، فابتدأ به، و قال:

هو المحافظة على طاعته، و المحافظة على الطّاعة مفهومة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۹۴

و قوله: مراقبا لأمره، إشارة إلى أنّ العبد ينبغي أن يعبد الله لا لأجل شيء يرجوه، و لا لأجل شيء يخافه، بل امتثالا لأمر الله تعالى، هذا معنى قوله: مراقبا لأمره، و المراقبة هي ملازمة نظر القلب في الأمر بصفة الامتثال. و قد ورد في كلام المواقف هذا المعنى و هو قوله: أوقفني و قال لي: إذا أمرتك بأمر فامض لما أمرتك به، و لا تنتظر به علمك، إنّك إن تنتظر بأمري علم أمري تعص أمري، و إنّك إن لم تمض لما أمرتك به حتّى يبدو لك علمه، فلعلم الأمر أطعت لا للأمر، فالقوم يرون الاعتصام بحبل الله هو مراقبة الأمر في أداء الطّاعة و المحافظة على ذلك.

ثمّ شرع في ذكر الاعتصام باللّه فقال: **و الاعتصام باللّه هو الترقّي عن كلّ موهوم، و التخلّص عن كلّ تردّد.**

أشار إلى أنّ مقام الاعتصام باللّه هو فوق مقام الاعتصام بحبل الله تعالى، فلا جرم ترقّى إلى ذكر الاعتصام باللّه فقال: هو الترقّي عن كلّ موهوم، و معنى هذا الترقّي أنّ العبد يشهد الحقّ بفناء ما سواه، فلا يرى غيره إلاّ موهوما، و يرى المحقّق هو وجود الله تعالى، فمن شهد هذا التجلّي العزيز، فقد ترقّى عن كلّ موهوم، لكن شرط صحّة هذا المشهد أن يخلص صاحبه من الظنون و الشكوك و الأوهام، و إن لا يبقى عنده تردّد في شيء منه، فما ترقّى عن كلّ موهوم، هذا معنى كلامه، و الله أعلم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۹۵

و هذا على اصطلاحه هو حال خاصّة الخاصّة، و لم يذكر هنا حالة المتوسّطين، لكنّه سيذكره.

/ و أمّا اصطلاح غيره، فهذا حال الخاصّة، و حال خاصّة الخاصّة فوق هذا، و الله أعلم.

و الاعتصام على ثلاث درجات:

اعتصام العامّة بالخبر استسلاما و إذعانا بتصديق الوعد و الوعيد.

و تعظيم الأمر و النهي. و تأسيس المعاملة على اليقين و الإنصاف، و هو الاعتصام بحبل الله.

شرع رضي الله عنه في شرح الفصلين الذين قدّم ذكرهما، أحدهما:

الاعتصام بحبل الله. و الآخر الاعتصام باللّه، فقدّم ذكر الاعتصام بحبل الله فقال:

هو حال العامّة، اعتصموا بالخبر الوارد عن الله عزّ و جلّ استسلاما من غير منازعة، بل إيمانا و تقليدا، و الاستسلام هو ضدّ التأهّب للحرب، و الإذعان هو الانقياد، و هو هاهنا الانقياد إلى التّصديق بالوعد و الوعيد، و إلى تعظيم الأمر و النهي الواردين عن الحقّ تعالى، و تعظيمهما هو خوف العقوبة على ترك امتثالهما و تعظيم حقّ الأمر.

قوله: و تأسيس المعاملة على اليقين، أي يجعل اليقين أساسا يبنى عليه العمل، و اليقين هو ضدّ الشكّ هنا.

قوله: و الإنصاف إنصاف على قسمين: إنصاف العبد لربّه عزّ و جلّ، و هو أن يرى الأمر نصفين العزّ و الذلّ، و يترك العزّ لصاحبه، فهذا هو إنصافه لربّه، لأنّ اشتقاق الإنصاف من لفظ النّصف.

و أمّا إنصاف العبد للخلق، فهو الخروج من مظالم العباد.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۹۶

و كلا هذين الوصفين هو من حال أهل البداية، و هو حال أهل الاعتصام بحبل اللّه عزّ و جلّ.

و اعتصام الخاصّة بالانقطاع، و هو صون الإرادة قبضا، و إسبال الخلق على الخلق بسطا، و رفض العلائق حزما، و هو التمسّك بالعروة الوثقى.

قوله: و اعتصام الخاصّة بالانقطاع، الخاصّة هم المتوسّطون في السّلوك.

قوله: بالانقطاع، يعني بانقطاع النّفس عن أغراضها من الوجوه الثلاثة الّتي ذكرها.

أحدها: انقطاعها عن غرض الإرادات، فلا تبقى لها إرادة، و يشبه ذلك حال أبي يزيد/ البسطاميّ فيما أخبر به عن نفسه عند ما طلب هذا المقام فقال: قيل لي، يا أبا يزيد، ما تريد؟، فقلت: أريد ألاّ أريد، و هذا هو صون الإرادة قبضا، أي يقبضها و يمنعها عمّا تتعلّق به من سوى اللّه عزّ و جلّ من الأغراض، و هذا هو أحد أوصاف الانقطاع المذكور.

الثاني:

إسبال الخلق على الخلق بسطا، أسبل رداءه إذا أرخاه، و كذلك الستر و البسط هو التوسّع، و هذه استعارات لحقيقة التصوّف، فإنّ التصوّف هو حسن الخلق و تزكية النفس بمكارم الأخلاق، و صاحب هذا المقام

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۹۷

يبسط خلقه لعباد اللّه تعالى، فلا يؤاخذهم، و في هذا الوصف يدخل حمل الأذى و كفّ الأذى، و إيجاد الرّاحة.

و قد قال السيّد المسيح صلوات اللّه عليه: من لطمك على خدّك، فأدر له الخدّ الآخر، و من أخذ قميصك فزده رداءك، و من سخّرك ميلا فامض معه ميلين، و هذا أيضا أحد أوصاف الانقطاع المذكور، لأنّه انقطع فيه عن حظوظ نفسه و أغراضها.

الثالث:

رفض العلائق عزما، أي يعزم عزما ماضيا على ترك العلائق، فلا يترك له علاقة لا في ظاهره و لا في باطنه، و الأصل قطع علائق الباطن، و هذا أيضا أحد أوصاف الانقطاع المذكور، انقطع فيه عن أغراض العلائق، فصحّ ما قال رضي اللّه عنه من أنّ اعتصام الخاصّة هو بالانقطاع، و فسّره بالوجوه الثلاثة المشروحة، و سمّى ذلك عروة وثقى، فمن تمسّك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها إذا ساعدته معونة اللّه عزّ و جلّ.

و العلائق هي كلّ ما تعلّق بالقلب من أحوال الدّنيا و الآخرة، بل كلّ ما سوى اللّه تعالى.

و اعتصام خاصّة الخاصّة بالاتّصال، و هو شهود الحقّ تفريدا بعد الاستحذاء له تعظيما، و الاشتغال به قربا، و هو الاعتصام باللّه تعالى.

خاصّة الخاصّة هم أهل الوصول إلى الحضرة، و لذلك وصفهم بالاتّصال، و قد كان وصف الخاصّة بالانقطاع، و لو لا ذلك الانقطاع لما حصل هذا الاتّصال، و معنى/ الاتّصال هو ما ذكره الشيخ أنّه شهود الحقّ تفريدا، أي يشهد الحقّ و لا شيء معه، و هذا معنى التّفريد، أي

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۹۸

يشهده منفردا، و ذلك لفناء الشّاهد في المشهود، و سنرى ذلك إن شاء اللّه تعالى كشفا، إذ قد آمنت به وصفا، ولي في معنى الفناء:

يا بديع الجمال فاز محبّ	بلذيذ الوصال منك يهني
كيف يرجو الحياة و هو مع الهجر	قتيل و عند رؤياك يفني

و محلّ الاستشهاد هو آخر البيت الثاني.

قال رضي اللّه عنه: بعد الاستحذاء له تعظيما، الاستحذاء و المحاذاة متقاربان في المعنى، غير أنّ الاستحذاء يكون من الحقّ تعالى للعبد، و ليس يكون من العبد للحقّ تعالى، و معناه أنّ الحقّ يقرّب عبده قربا لا يبقى فيه بينه و بينه واسطة، و هذا معنى المحاذاة، لكن بوصف يكون

فيه الحقّ تعالى منزّها عن التّشبيه، و ذلك أمر يجده الواجد، و يقلّ فيه من العبارة الشّاهد.

و أنسب ما يعبّر به عن هذا المعنى أن يقال: إنّه التّقريب برفع الوسائط التي بارتفاعها يكمل للعبد حقيقة التّعظيم، و من هذا المقام يؤخذ العبد إلى الفناء، لأنّه إذا رفع عنه وسائط خطاب الهواتف إلى مشاهدة الملائكة الكرام و تسبيحهم و خطابهم نوما و يقظة، ثمّ يرفع ذلك بالتنزّل و التدلّي المعلومين عند هذه الطّائفة، ثمّ رفع ذلك بتجليّات الأفعال، ثمّ رفع ذلك بتجليّات الصّفات، ثمّ يرتقي إلى التجليّات الأسمائيّة، و يدخل الصّفات فيها، ثمّ يترقّى إلى الاستحذاء المذكور برفع وسائط الأسماء، ثمّ يسلب بوصف الفناء، فيفنى من لم يكن، و يبقى من لم يزل، لأنّ هويّة الحقّ تعالى لا سبيل إلى معيّتها مع شيء، و إنّما يتعيّن عند اضمحلال الرّسم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۹۹

و أمّا المعيّة التي في قوله تعالى: **وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ**، فهي مقيّدة بالأين، و هي إمّا معيّة العلم المحيط، و إمّا معيّة لطفه بنا، و إمّا غير ذلك، مثل القيّوميّة الّتي بها قام كلّ شيء، و إمّا من حيث اسم من أسمائه العلى.

و أمّا التجلّي الذّاتي فتعالى عن الإثنينيّة، و تقدّس/ عن صفات شاهد و مشهود، و ذلك هو التّفريد المذكور.

و قد تبيّن لك معنى الاستحذاء، و أنّ شهود التّفريد بعده، و هذا المقام هو موقف الوقفة في اصطلاح النّفري، و منه يتبيّن لك أحكامه، و فيه يكون الاعتصام باللّه لا بحبل الله، و العبد يكون فيه مسارعا للفناء طوعا و رغبة لا كرها، لأنّ تعظيم هذا المقام ممزوج بالمحبّة الذاتيّة الأولى، و فيه ينتهي سفر الطّالبين إلى الظّفر بنفوسهم.

قال رضي الله عنه: و الاشتغال به قربا، أي يشغله قرب الحقّ بصفة الاستيلاء و الغلبة، و الله غالب على أمره، و العبد يصير إذ ذاك من أمر الله، ليس فيه لسواه حكم و لا إضافة و لا اعتبار، فيشغله الحقّ بصفة القرب المذكور.

و مجموع ما ذكرناه، هو الاعتصام باللّه، عصمك الله يا سيّدي منك، ليكون هو لا أنت، و لست أقول: تكون به، فإنّ به رسما باقيا، أعاذنا الله من حدودنا، و حقّقنا بمشهودنا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۰۱

[باب الفرار]

باب الفرار قال الله تعالى: فَفِرُّوا إِلَى اللهِ.

الفرار هو الهرب ممّا لم يكن إلى من لم يزل.

و هو على ثلاث درجات: فرار العامّة من الجهل إلى العلم عقدا و سعيا. و من الكسل إلى التّشمير جدّا و عزما. و من الضّيق إلى السعة ثقة و رجاء.

ما لم يكن هو الخلق، و من لم يزل هو الحقّ تعالى. ثمّ إنّ الشيخ رضي الله عنه قسّم الفرار إلى ثلاثة أقسام على عادته في كلّ مقام، فجعل الأوّل فرار العامّة و قدّمه لأنّ البداية به في السّلوك، فالفرار من الجهل إلى العلم هو ترك طريق الجهّال، و اتّباع طريق العلماء العاملين.

و قوله: عقدا، أي يتبع العلماء عقيدة، فإنّ العقد و العقيدة بمعنى واحد، و يعني بالعلماء علماء الشريعة المحمّديّة، و بالعقد عقيدتهم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۰۲

قوله: و سعيا، أي و يتبع العلماء العاملين في العمل بالجوارح، كما اتّبعهم في العقد، قال الله تعالى: **وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏**.

قوله: و من الكسل إلى التّشمير، أي يهرب من مطاوعة الكسل إلى مطاوعة النّهضة، و عبّر بالتّشمير عن النّهضة، لأنّ من العادة أنّ من عزم على فعل شيء مهمّ/ أن يشمّر أثوابه، و يحتزم لفعله، و ذلك علامة النّشاط الذي هو ضدّ الكسل.

قوله: جدّا، أي يفعل ذلك مجدّا لا لاعبا، و يعني بالجدّ هنا صدق العزم و إخلاصه من فتور التّسويف و التّهاون.

قوله: و عزما، أي يهرب من الكسل إلى النّشاط في العمل بعزم قويّ لا بفتور و ضعف، كما قال تعالى: **يٰا يَحْيىٰ خُذِ الْكِتٰابَ بِقُوَّةٍ**.

قوله: و من الضّيق، أي من ضيق الصدر بحمل همّ العيال، و جمع حطام المال، و خوف الفقر، و ذلّ الفاقة و السؤال، فيهرب من ذلك الضيّق إلى سعة الثّقة بلطف ربّه عزّ و جلّ الذي ضمن رزقه من حيث لا يحتسب، قال تعالى: **وَ مَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، وَ مَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**، أي فهو كافية، و يكون حسن الظنّ باللّه تعالى، قويّ الرّجاء في إحسانه، فإنّه لا يخيب من أمّله.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۰۳

و عبّر عن الثّقة و حسن الظنّ بالسعة، فإنّ السعة تقتضي انبساط النّفس بحصول المقصود، كما إنّ اتّساع المكان يبسط النّفس، و قد يعبّر بالسعة عن كثرة الرّزق، قال تعالى: **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ**.

وصيّة:

إن كنت من أهل هذه الدّرجة فعليك الحضور بقلبك مع الله تعالى، ثمّ بالمناجاة و الملق يعطك الأنس، و اذكره باسمه الحيّ القيّوم يحيي قلبك بالمحبّة، فإذا حصلت لك محبّته ففيها دواء دائك.

و **فرار الخاصّة من الخبر إلى الشهود، و من الرّسوم إلى الأصول، و من الحظوظ إلى التّجريد**. يعني إنّه يفرّ إلى الله من الخبر الذي هو النّقل عن الغائب إلى الحصول على العيان الحاضر الذي هو التجلّي، و هو يدعوهم إلى الفناء حالا بعد حال بالتّدريج، و هؤلاء هم أرباب الأحوال. و أمّا الذين ذكرهم قبل، فهم أرباب الأعمال.

فأمّا فرار أرباب الأحوال، فهو تمسّكهم بمواجيد القلوب، و إجابة واردات الغيوب، فإنّهم أهل الأخذ عن الله تعالى.

قوله: و من الرّسوم إلى الأصول، يعني من أحكام العلم و العمل إلى خشوع السرّ للعرفان الحاصل من التجليّات/، فإنّه لا يقبل منهم من العمل إلاّ ما أثبته لهم التعرّف الإلهيّ، إذ هو نصيبهم من السنّة، و التعرّف الإلهيّ لا يطالب بفراق السنّة، و لكن ينقل من سنّة إلى سنّة، و من عزيمة إلى عزيمة، و ذلك هو عمل أهل المعارف.

و سمّى هذه التعرّفات أصولا، لأنّ المعرفة هي الأصل الذي لأجله أمرنا بالعلم و العمل، ألا ترى إلى ما ورد من قوله تعالى: **وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ**، كيف فسّره بعضهم يعرفون،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۰۴

و يقال: إنّ الذي فسّر هذا التفسير هو ابن عبّاس رضي الله عنه، و يسمّى ترجمان القرآن، و كذلك قوله: كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف.

قوله: و من الحظوظ إلى التّجريد، الحظوظ هي أغراض النفوس في حقّ العباد، و شطحات التّوحيد في حقّ أرباب الأحوال، فإنّها من هفواتهم، و المراد هنا هو الثاني.

و أمّا التّجريد، فهو التّجريد عن الحظوظ المذكورة، أي مفارقة أحكامها و الخلاص منها.

وصيّة

: إن كنت من أهل هذه الدّرجة، فإيّاك أن تقنع من الله تعالى بأمر تسكن إليه دون الله تعالى، و إيّاك الفرح و الطّرب بما حصل لك، و كن فقيرا أبدا، و إيّاك أن تستغني برتبة شريفة و إن عظمت عندك أو عند العارفين، و اعلم أنّ لله تعالى قلوبا لا تقف في شيء، و لا يقف فيها شيء هي بيوته، و فيها يتكلّم بحكمته، و منها يتعرّف إلى خليقته.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۰۵

و فرار خاصّة الخاصّة ممّا دون الحقّ إلى الحقّ، ثمّ من شهود الفرار إلى الحقّ، ثمّ الفرار من شهود الفرار إلى الحقّ.

يعني إنّه يفرّ أولا من الخلق إلى الحقّ، فيشهد بهذا الفرار انفراد مشهور، لكن تبقى معه ملاحظة أنّه فرّ من الخلق، فيكون قد بقي له بعد إحساس بالخلق، فيفرّ فرارا ثانيا من شهود فراره من الخلق، فتنقطع النّسبة التي بينه و بين الخلق بهذا الفرار الثاني، فلا تبقى فيه بقيّة إلاّ ملاحظة الفرار الثاني المذكور، فيفرّ باللّه إلى الله منه، فتنقطع النّسب كلّها.

و اعلم أنّ هذا الفرار المذكور لخاصّة الخاصّة ليس هو بالتعمّد و لا بالتكسّب، فإنّ الكسب ليس له مدخل في هذا المقام، لأنّ الأنانيّة/الكاسبة تنفقد في هذه الأطوار المذكورة.

وصيّة

: يجب على صاحب هذا المقام عند دخوله فيه أن يستحلي العدم و يستوطنه و يحنّ إليه بموجب الفناء، على أنّ حقيقة هذا المقام تقتضي أنّ صاحبه لا يكون إلاّ كذلك، فلا حاجة إلى وصيّة، لكن ليعلم هذا من لم يصل إلى هذا المقام.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١٠٧

باب الرياضة

قال الله تعالى: وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ.

استشهاد الشيخ بهذه الآية يدلّ على أنّه أراد بالرّياضة الاعتياد بالصّدق، فإنّه يرفع الشكّ، فإنّ معنى قوله: وجلة، أي خائفة، إنّ ما أتوه لا يقبل، و هذا شكّ ينبغي ألاّ يعتمد إبقاؤه، بل يرتاض حتّى يحصل له حسن الظنّ باللّه بالعلم الصّحيح و اليقين الصّريح أنّه لا يضيع عمل عامل، و لو استشهد بقوله تعالى: **وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا**، على أن يفهم من الجهاد جهاد النّفس، و هو أحد مفهومات الجهاد الّتي يصدق عليها لكان أحسن.

و اصطلاح هذه الطّائفة على المجاهدة هو بهذا المعنى.

الرّياضة تمرين النّفس على قبول الصّدق.

تمرين النّفس تعويدها، فإنّ التمرّن هو التعوّد.

و أمّا قبول الصّدق فهو بمعنيين:

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١٠٨

أحدهما: قبولك للصّدق إذا أخبرك به غيرك، و هو من قبيل الإيمان.

و الثاني: هو قبول صدور الصّدق منك في الأخبار و في الأوصاف النفسانيّة، و من صدق في نفسه صدّق غيره، و من كان في نفسه كاذبا كان لغيره مكذّبا، فيحتاج المبتدي إلى قبول الصّدق بالمعنيين المذكورين.

وصيّة

: يجب أن يكون قلبك في الرّياضة حاضرا مع الله تعالى، فإنّ ذلك يهوّنها و **هو على ثلاث درجات:**

رياضة العامّة و هي تهذيب الأخلاق بالعلم. و تصفية الأعمال بالإخلاص. و توفير الحقوق في المعاملة.

تهذيب الأخلاق بالعلم هو التأدّب بآداب العلماء، بمعنى إنّك لا تتحرّك حركة خارجة عمّا يسوّغه الشّرع في القول و الفعل.

و أمّا تصفية الأعمال بالإخلاص، فهو أن يخلص/قلبك عند العمل من الرّياء، و من الرئاسة، و من العجب، و شبه ذلك.

و أمّا توفير الحقوق في المعاملة، فهو أن تنصف الخالق و تنصف الخلق.

فأمّا إنصافك للخالق جلّ و علا، فهو بالخروج من العزّ الذي هو وصفه إلى الذلّ الذي هو وصفك و أمّا إنصاف مخلوقاته، فهو بحسن المعاملة لهم في القول و الفعل، حتّى تلقى الله و ليس لأحد منهم عندك مطالبة.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۱، ص ۱۰۹

وصيّة

: اعتمد في تهذيب الأخلاق بالعلم على التّقليد، و لا تطلب حكمته حتّى ترد عليك في العمل بالتّقوى، قال تعالى: **إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً**، أي يبيّن حكمة العلم.

و اعتمد في تصفية الأعمال بالإخلاص على ذكر عيوب نفسك، حتّى تشغلها بعيوبها عن محاسن أعمالها، و اذكر قوله تعالى: **وَ اللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ**.

و اعتمد في توفير الحقوق في المعاملة على قوله تعالى: **أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**، أي لا قوّة لك على إنصاف ربّك تعالى و إنصاف خلقه إلاّ به، فتحصل لك معونته، و النّشاط لأجل حضورك مع سيّدك، فإنّ العبد يعمل بحضور سيّده أكثر من عمله وحده، و معنى توفير الحقوق سلامتها من النّقص، و بذلك تكثر.

و لمّا كانت هذه الثلاثة المذكورة أوّلا تشقّ على النّفس، سمّي تكلّفها رياضة.

و رياضة الخاصّة حسم التفرّق، و قطع الالتفات إلى المقام الذي جاوزه، و إبقاء العلم يجري مجراه.

الحسم هو القطع، تقول: حسمت المادّة أي قطعتها، و قطع التفرّق هو تجمّع القلب بالحضور مع الله تعالى حتّى لا يتفرّق الخاطر.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۱، ص ۱۱۰

و أمّا قطع الالتفات إلى المقام الذي جاوزه، فهو أن لا تشتغل باستجلاء علوم ذلك المقام و استحسانها، بل يعرض عنها بالإقبال على الله تعالى ليحصل الأدب و الزيادة.

و قد قيل: إنّ الفقير لا ينظر إلى وراء، و لا يسمع النداء من خلف القفا.

و أمّا إبقاء العلم يجري مجراه، فهو أنّ العارفين تتعيّن لهم أحكام أخرى في العلم، يطلعهم الله تعالى على أنّها مقصود الشّرع حقيقة، فيريد بعضهم أن يطلع النّاس عليها، فيعاقبهم مشايخهم على ذلك، و يرون أنّه سوء أدب حين صرّحوا بما لم يصرّح به الرّسول صلّى الله عليه و سلم.

و لمّا كان حسم التفرّق صعبا، سمّي تعاطيه رياضة، و كذلك قطع الالتفات و إبقاء العلم أيضا صعب على أهل المعارف، لأنّ الحال يغلبهم فيشطحون بالقول، و قد نرى أنّ حفظ السرّ يغلب كثيرا من عقله حاضر، فكيف من استولت على عقله بوادي الحقيقة، فهو إلى أن ينسى التحفّظ من النّاس أقرب، لأنّه قد ارتاض في قطع الالتفات عنهم، حتّى كاد أن ينسى وجودهم، فضلا عن مراعاة خواطرهم، هذا مع ما يشغله من سلطان الواردات و تلوينات الأحوال، فيراد لأجل ذلك منه التيقّظ لأدب كتمان سرّ الحقيقة، و أن لا يعارض بها العلم، بل يتركه يجري مجراه كما قال الشيخ.

وصيّة

: ينبغي في حسم التفرّق أن يبالغ فيه بجمع القلب عمّا سوى الله تعالى، و لا يقع بما دون ذلك، و ينبغي في قطع الالتفات ألاّ يلتفت إلى أشرف رتبة عند الله ينالها المقرّبون، فكيف إلى ما دون ذلك، بل

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۱، ص ۱۱۱

يكون خاليا من المطالب حتّى لا يعبد الله تعالى لعلّة شيء، و إن كان عظيما، أو أعظم من كلّ عظيم.

و ينبغي في إجراء العلم يجري مجراه أن يعلم أنّ التفرّق الإلهيّ لا يطالب بفراق السنّة، و لكن ينقل من سنّة إلى سنّة، و من عزيمة إلى عزيمة، و يعني بالعزيمة الفرض.

و رياضة خاصّة الخاصّة تجريد الشّهود. و الصعود إلى الجمع.

و رفض المعارضات. و قطع المعاوضات.

تجريد الشّهود هو تخليصه، أي إنّ خاصّة الخاصّة تتجرّد شهودهم من علائق الأسماء و الصّفات، فإنّ ذلك شأن المتوسّطين.

و أمّا الصعود إلى الجمع، فهو صعود الشّهود إلى الفناء في الذّات، فإنّ شهود الذّات يسمّى حضرة الجمع عند هذه الطّائفة.

و أمّا رفض المعارضات، فإنّ المعارضات تقع بين الأسماء، مثل إنّ معنى الاسم الباسط يعارضه معنى الاسم القابض، و الاسم المعطي يعارضه الاسم المانع، و الاسم الجبّار يعارض معناه الاسم اللّطيف، و معنى رفض أمثال هذه المعارضات أنّ شهود الذّات ينقل صاحبه إلى حضرة الجمع/ بصفة الفناء عن نسبة شاهد و مشهود لما فيها من الثنويّة، فكيف يبقى من هذه صفته مع معارضات الأسماء و الصّفات.

و أمّا قطع المعاوضات فهو شهوده أنّ الحقّ تعالى ما أعطاه شيئا عوضا عن شيء، و ما أبقى له رسما يتعلّق بعوض و لا بغيره.

و اعلم أنّ أحوال خاصّة الخاصّة لا يكون باكتساب و لا بتعمّل أصلا، و نحن نستغني بهذا المقدار عن تكرار القول في هذا المعنى، و لكون

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۱۲

أحوال هؤلاء لا اكتساب فيها، يناسب أن لا يذكر لهم وصيّة تختصّ بهم، كما ذكرناها للخاصّة، و للذين قبلهم و هم العامّة.

و إنّما سمّي هذا القسم رياضة تجوّزا، و لأنّهم ربّما ردّوا بل ارتقوا إلى البقاء الذي يكون بعد الفناء، فيرتاضون في كتمان سرّ هذه الحضرة، و في ردّ بواطنهم إلى شهودها دائما، فإنّها الوطن الأوّل و المآل الآخر.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۱۳

باب السّماع

قال الله تعالى: وَ لَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ.

محلّ الاستشهاد بهذه الآية هو أن يكون سماعهم باللّه تعالى لا بأنفسهم، و ذلك يفهم من قوله: **لَأَسْمَعَهُمْ**، و كان شيخنا رضي اللـه عنه إذا حضر السّماع يقول: اللّهم أسمعنا خيرا، و أطلعنا على خير.

نكتة السّماع حقيقة الانتباه، الانتباه على قدر المتنبّه، فإذا سمع معنى تنبّه على نصيبه من ذلك.

و قد قيل: السّماع حاد يحدو بكلّ أحد إلى وطنه، أي يتنبّه منه كلّ أحد إلى المقصود الخاصّ به.

و هو على ثلاث درجات:

سماع العامّة، ثلاثة أشياء:

إجابة زجر الوعيد رغبة. و إجابة دعوة الوعد جهدا. و بلوغ مشاهدة المنّة استبصارا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۱۴

إجابة زجر الوعيد رغبة، هي العمل بالطّاعة امتثالا لكون الحقّ تعالى زجر و استوعد، و الزّجر هو الانتهار، و الوعيد هو التّهديد.

و قوله: رغبة، يعني رغبة من العبيد في امتثال الأمر لا كرها، فإنّ الذي يمتثل الأمر و هو راغب في ذلك، هو أفضل ممّن يمتثل الأمر كرها و قلبه مخالف لظاهره.

و سماع صاحب هذا الوصف يكون في الفراق، و في معاني الهجران و التّعذيب و الصدّ و البعد، و شبه ذلك، و يصحبه الاعتذار كثيرا.

و أمّا إجابة دعوة الوعد جهدا، فهو امتثال الأمر طلبا للوصول إلى الموعود به/ بحيث يبذل في ذلك جهده، و هو معنى قوله: جهدا، و سماع صاحب هذا الوصف هو في استنجاز الوعود، و لمع البروق، و انتظار الخيال الطروق، و يصحبه التملّق كثيرا.

و أمّا بلوغ مشاهدة المنّة استبصارا، فهو أن يتنبّه السّامع في سماعه إلى أنّ جميع ما لحقه من خير فإنّه من نعم ربّه عزّ و جلّ من غير استحقاق،

بل و جميع ما لحقه من ضرّ فهو أيضا نعمة من الله تعالى عليه، حيث اختصّه بالامتحان، فإنّه لو أهمله لكان أبلغ في الهوان، و في مثل ذلك يقول الشاعر:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرّني أنّي خطرت ببالك

و يصحب صاحب هذا السّماع كثيرا التواضع للمحبوب و الرّضا برضاه، و لو كان فيما يخالف المطلوب.

وصيّة

: يجب على صاحب هذا المقام أن يحترز من القيام بغير وجد غالب، فإنّ ذلك ممّا يفسد عليه مقامه، و يمنع عنه مطلوبه و مرامه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۱۵

و للسّماع شروط ذكرها صاحب المحكم، و نبّه عليها و فهّم.

و سماع الخاصّة ثلاثة أشياء:

شهود المقصود في كلّ رمز. و الوقوف على الغاية في كلّ حين.

و الخلاص من التلذّذ بالفرق.

شهود المقصود في كلّ زمن، يعني بالمقصود محبوبنا الحقّ جلّ اسمه، فيكون سماعه به، و فيه، و له، و منه.

أمّا قولنا: به، فلأنّه لا يسمع و فيه بقيّة من عالم النّفس، و إن كانت فيه بقيّة قطعها و أراد السّماع للتعلّق بالمسموع الحقّ، فيكون سماعه بقيوميّة الحقّ تعالى عاريا عن أحكام النّفس.

و أمّا قولنا: فيه، فهو أنّ جميع ما يسمع من الكمالات اللائقة بجلاله تبارك و تعالى يتنبّه إليها السّامع، فيشهدها في مطلوبه الحقّ.

و أمّا قولنا: له، فإنّ جميع ما يسمعه في بذل النّفس و العرض و المال و غير ذلك يشهده مبذولا للحقّ تعالى لا لسواه.

و أمّا قولنا: منه، فهو أن يأخذ الخطاب من الله تعالى أخذا لائقا بالمشروع، و على الحدّ السّائغ قبوله من الوجه الذي يسمعه منه أهل سماع الحقيقة من غير مخالفة لما يشهد به الكتاب العزيز، فلا يأتيك السّماع إلاّ منه، و لله درّ القائل:

من كلّ معنى لطيف أجتلي قدحا و كلّ ناطقة في الكون تطربني.

و إنّما أطربته كلّ ناطقة لكونه سمعها من محبوبه الحقّ.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۱۶

و أمّا قوله: و الوقوف على الغاية في كلّ حين، فهو أن يقف في كلّ مسموع على ملاحظة الغاية التي يطلبها الطّالبون، و هي الحقّ تعالى، ليس وراء الله مرمى، و لا دونه مستقرّ.

و أمّا قوله: و الخلاص من التلذّذ بالتفرّق، فمعناه أنّه ربّما التذّ بالسّماع، فيشغله التلذّذ عن حسن الأدب مع مسموعه الحقّ، فينبغي أن يتفرّق من لذّة السّماع، أو يفارق تلك الجماعة ليخلص من غلبة لذّة السّماع، فإنّها من الأغيار المستعبدة للأحرار، و ليس يليق أن يحمل ذلك على لذّة مفارقة الحقّ، و لا لذّة معصيته، فإنّ الخاصّة منزّهون عن ذلك.

و سماع خاصّة الخاصّة، سماع يغسل العلل عن الكشف، و يصل الأبد إلى الأزل، و يردّ النهايات إلى الأوّل.

ينفي العلل عن الكشف أي عن موجب الكشف، و يجوز أن يكون بمعنى ينفي الشبه عنه، فإنّ منه الريّ من كلّ عطش، و الهداية من كلّ دهش، فلا تبقى شبهة سابقة و لا لاحقة إلاّ حصل جوابها دفعة واحدة.

و أمّا قوله: و يصل الأبد إلى الأزل، فهو أن ينتهي حكم الزمان فكيف المكان؟ و قد قيل: الوقفة وراء اللّيل و النّهار و وراء ما فيهما من الأقدار.

و أمّا ردّ النهايات إلى الأوّل، فهو أن يشهد أنّ الخاتمة هي عين السّابقة، و ذلك لانتهاء خطّ الدائرة، أي نقطة مبدئها، فيصير الآخر هو الأوّل، و الأبد هو الأزل، و الحقّ و لا شيء سواه. و ليس في هذا المقام وصيّة فتذكر.

تمّ قسم البدايات، يتلوه قسم الأبواب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١١٧

[قسم الأبواب فهو عشرة أبواب]

قال رضي الله عنه:

و أمّا قسم الأبواب، فهو عشرة أبواب و هي:

الحزن و الخوف و الإشفاق و الخشوع و الإخبات و الزّهد و الورع و التبتّل و الرّجاء و الرّغبة

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١١٩

[باب الحزن]

باب الحزن قال الله تعالى: تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً محلّ الاستشهاد بهذه الآية هو كون الحقّ تعالى أثنى على هؤلاء المذكورين في الآية من أجل حزنهم، فدلّ على أنّ الحزن فضيلة، و أنّه مقام شريف.

[درجات الحزن]

الحزن توجّع لفائت، أو تأسّف على ممتنع، و له ثلاث درجات:

[الأولى حزن العامّة]

الأولى:

حزن العامّة و هو حزن على التّفريط في الخدمة، و على التورّط في الجفاء، و على ضياع الأيّام.

التّفريط في الخدمة غير التّفريط في العمل، فإنّ الأبواب فوق البدايات، فالخدمة من باب الأخلاق، لا من باب الأفعال، و لذلك ذكر مع التّفريط في الخدمة التورّط في الجفاء، فإنّ معنى الجفاء فوق معنى المعصية، فالمعصية من مقام البدايات، و الجفاء من مقام الأبواب، لأنّ الجفاء يكون قرين أنس سابق. و أمّا المعصية فهي قرين الوحشة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١٢٠

و كذلك ضياع الأيّام المذكورة هنا، هي ضياع الأيّام بخلوّها عن الأنس. و أمّا ضياع الأيّام المذكورة في قسم البدايات فإنّها من التّفريط في العمل.

[الدرجة الثانية حزن أهل الإرادة]

الدرجة الثانية حزن أهل الإرادة، و هو حزن على تعلّق القلب بالتفرقة، و على اشتغال النّفس عن الشّهود، و على التسلّي عن الحزن.

تعلّق القلب بالتفرقة هو عدم الجمعيّة في الحضور مع الله تعالى، و تشتّت الخواطر، و اشتغال النّفس عن الشّهود، أي عن الذّكر الذي هو سبب الشّهود، فإنّ الشّهود يقهر النّفس فلا تتمكّن من التّشاغل عنه.

قوله: و على التسلّي عن الحزن، يعني أنّ الحزن شريف بالنسبة إلى صاحبه، فإذا فقد الحزن و تسلّى عنه، حزن على التسلّي عن الحزن.

و ليست الخاصّة من مقام الحزن في شيء.

الحزن فقد، و الخاصّة أهل وجدان، فلا جرم ليس للخاصّة في مقام الحزن شيء.

[الدرجة الثالثة من الحزن التحزّن للمعارضات دون الخواطر]

لكنّ الدرجة الثالثة من الحزن التحزّن للمعارضات دون الخواطر.

المعارضات يعني معارضات معاني التجلّيات، فإنّ من حصل له تجلّ من عالم الجمال فتعلّق بالبسط، فإنّ المعارضة في حقّه تكون من تجلّ آخر من عالم الجمال، فيعلق بالقبض، و ينحصر تحت قهر الانقباض فيحزن ضرورة على عالم الجمال.

و قد كان حال السيّد المسيح صلوات الله على نبيّنا و عليه عالم الجمال و البسط، و حال ابن خالته يحيى صلوات الله عليه القبض، فكانا يتجاذبان

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۲۱

في المعارضة، فيقول للسيّد المسيح: أ تضحك كأنّك آمن؟، فيجيبه المسيح عليهما السّلام: أ تبكي كأنّك آيس؟،/ فقد عرض حزن المعارضات ليحيى عليه السّلام.

و ليست هذه المعارضات من قبيل الخواطر، بل من التجلّيات، فلذلك قال: دون الخواطر. و ليس في هذا وصيّة لقهر التجلّيات.

و معارضات القصود.

معارضات القصود، هو أن يقصد في سلوكه إلى الله تعالى طريقا يختارها أو يتوهّمها، و تكون شريفة، فيسلك به الحقّ تعالى غيرها لأنّه أعلم بما يليق به منه، فيحزن على أن لم يكن قد حصل له قصده.

وصيّة

: ينبغي أن لا يختار شيئا، بل يكل الأمر إلى شيخه إن كان ذا شيخ، فإنّه خليفة الله تعالى عليه، و إن لم يكن له شيخ فليخل باطنه من المقاصد، و اعلم أنّ هذه المقاصد للمعارف لا للأعمال.

و الاعتراضات على الأحكام.

الاعتراضات تقع من أرباب الأحوال على الأحكام الجارية عليهم شهودا و غلبة، فيحزنون عند إدراكهم لما صدر منهم من سوء الأدب، و قد يعترضون على بعض أحكام العلم الظّاهر ببادئ الرأي من هجوم المعرفة عليهم، فإذا تمكّنوا أدركوا صحّة العلم الظّاهر في طوره، و صحّة المعارف في طورها، فيحزنون على تسرّعهم في الاعتراضات، و على ما فاتهم من فضيلة تسليمهم للعلم أولا. و هذه أمور يجدها أهل المواجيد الحالية.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۲۲

وصيّة

: يجب التّسليم للعلم تقليدا حتّى يهجم اليقين الذي به تنكشف الشبه من جانب الحقّ، فإنّ وارد الحقّ يقذف به على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۲۳

باب الخوف

قال الله تعالى: يَخافُونَ رَبَّهُمْ من فَوْقِهِمْ.

الاستشهاد بهذه الآية تامّ في هذا المقام، فإنّ الخوف من الله تعالى هو الخوف الصّحيح، لا الخوف على حظّ من حظوظ الدّنيا أو الآخرة يخشى فواته، بل الخوف من إعراض الحقّ تعالى.

الخوف هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر.

الطمأنينة هي السّكون، و منه قوله عليه السّلام: «اركع حتّى تطمئنّ راكعا، و ارفع حتّى تطمئنّ رافعا». و مطالعة الخبر هو استحضار الخبر في

الذهن، و يعني بالخبر الخبر الوارد من قبل الله تعالى على لسان رسوله عليه السّلام بأنواع التّرهيب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۲۴

[درجات الخوف]

و هو ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى الخوف من العقوبة]

الدّرجة الأولى:

الخوف من العقوبة، و هو الخوف الذي يصحّ به الإيمان، / و هو خوف العامّة.

قوله: يصحّ به الإيمان، الإيمان هو التّصديق، فلو لا أنّ الخائف قد صدّق لما خاف، فالخوف يدلّ على صحّة إيمان الخائف.

قوله: و هو خوف العامّة، يعني أنّ الخوف لا يكون للخاصّة، و سيأتي الكلام على ذلك.

و هو يتولّد من تصديق الوعيد، و ذكر الجناية، و مراقبة العاقبة.

تصديق الوعيد تقدّم شرحه، و الوعيد هو التّهديد، و الجناية هي المعصية، و العاقبة يعني الآخرة، و المراقبة دوام حضور الذهن مع ما راقبه.

[الدّرجة الثانية خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة المشوبة بالحلاوة]

الدّرجة الثانية:

خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة المشوبة بالحلاوة.

يقول: إنّ من حصلت له اليقظة بلا غفلة، و استغرقت أنفاسه فيها، و استحلى ذلك، فإنّ الحضور في اليقظة حلو، فإنّ صاحب هذا المقام يعرض له الخوف من المكر، فيخاف أن يسلب هذه الحلاوة، و هذه هي الدّرجة الثانية.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۲۵

و ليس في مقام أهل الخصوص وحشة الخوف إلاّ هيبة الجلال، و هي أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف.

الخوف يكون مع الانقطاع، و أمّا أهل الخصوص فإنّهم أهل وصول، و الحقّ تعالى معهم بصفة الإقبال عليهم و هم يشاهدون ذلك.

و أمّا الجلال، فهو تعظيم الجناب الأقدس، و ليس هو من الخوف، و قد قال بعضهم في هذا المعنى:

أشتاقه فإذا بدا / أطرقت من إجلاله

لا خيفة بل هيبة / و صيانة لجماله

و هي هيبة تعارض المكاشف أوقات المناجاة، و تصون المشاهدة أحيان المسامرة، و تقصم المعاين بصدمة العزّة.

يقول: أكثر ما تكون الهيبة في وقت المناجاة، و هو التملّق للحقّ، و مبادي تنزّل الوارد.

قوله: و تصون المشاهدة، أي تمنعه من الانبساط، بل تجمعه على حفظ الأدب، فإنّ المسامرة توجب الإدلال، و الهيبة تصون المشاهدة من الإدلال.

قوله: و تقصم المعاين، أي تكاد أن تقتله.

قوله: بصدمة العزّة، أي بالفناء، فإنّ هذا المقام يقتضي أن يطلب صاحبه روية الحقّ بالمعاينة الحسنة، فعند التجلّي / يسرع إليه الفناء، فتظهر له عزّة الحقّ، و هي الامتناع و الغلبة، و شبه ذلك حالة الكليم عليه السّلام في قوله: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ الآية.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۲۷

باب الإشفاق

قال الله تعالى: إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ.

الآية تدلّ على أنّ معنى مشفقين أي خائفين و هو الحذر. و أمّا الإشفاق بمعنى الشّفقة فما هو في مضمون الآية.

فباب الإشفاق على هذا الحكم هو من نسبة باب الخوف.

الإشفاق دوام الحذر مقرونا بالترحّم.

الشيخ يرى أنّ الإشفاق هو دوام الحذر و الترحّم معا، و ذلك ممّا لعلّه ينقله ممّا اصطلح عليه القوم،

[درجات الإشفاق]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى إشفاق على النّفس أن تجنح إلى العناد]

الدّرجة الأولى:

إشفاق على النّفس أن تجنح إلى العناد.

أي تميل و تذهب في طريق الهوى و العصيان، و منه يقال: فهو جموح.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۲۸

و أمّا العناد، فهو الخروج عن الطّريق معترضا، و المراد به هنا المخالفة.

و إشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع.

أي، يخاف أن يضيع عمله بأن لا يقبل، أو يحذر من التّفريط في العمل.

و إشفاق على الخليقة لمعرفة معاذرها.

أي يحذر على الخليقة من المؤاخذة و العقوبة، مع أنّه يعلم أنّه لا يتحرّك ذرّة إلاّ بإذن الله تعالى، فهم من حيث تحقّق العذر معذورون.

[الدّرجة الثانية إشفاق على الوقت أن يشوبه تفرّق.]

الدّرجة الثانية:

إشفاق على الوقت أن يشوبه تفرّق.

أي يحذر على وقته من تفرقه قلبه عن الحضور مع الحقّ تعالى، و هو عند هذه الطّائفة يسمّى التفرّق، و قوله: يشوبه يعني يمازجه.

و على القلب أن يزاحمه عارض.

العارض هو إمّا الفترة و الملال، و أمّا شبهة و إرادة تناقض الحال، و بالجملة فالعارض هو شيء يعوق السّالك.

و على اليقين أن يداخله سبب.

اليقين، هو اليقين في الله تعالى أنّه يأتيه رزقه، فإنّه ضمنه، و السبب هو تناقض هذا اليقين، فإنّ صاحب هذا اليقين متوكّل على الله، و أمّا المتسبّب فقد يتّكل على سببه، فهو يحذر على ما عاهد عليه الله تعالى من اليقين في التوكّل أن يرجع عنه إلى السّبب، و هو عود عن التّجريد إلى السّبب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۲۹

[الدّرجة الثالثة إشفاق يصون سعيه عن العجب]

الدّرجة الثالثة:

إشفاق يصون سعيه عن العجب، و يكفّ صاحبه عن مخاصمة الخلق، و يحمل المريد على حفظ الجدّ.

و يصون سعيه، أي يحذر على عمله أن يعجب به، و يفتخر على النّاس بسببه.

الثاني:

أن يحذر على أخلاقه ممّا يفسدها حتّى تفضي إلى مخاصمة الخلق، و يحمل المريد على حفظ الجدّ، أي يحذر أن يغلبه الهزل، فيعتمد ملازمة الجدّ.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۳۱

[باب الخشوع]

باب الخشوع قال الله تعالى: أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وَ ما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ.

دلالة هذه الآية على الخشوع الصّحيح المعتبر بين هذه الطّائفة دلالة واضحة، لأنّ الخشوع من ذكر الله تعالى هو خشوع بأقرب أسباب القربات و هو الذّكر، و ذلك هو المؤدّي إلى اليقين، قال الله تعالى: **أَلاٰ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**. و الطمأنينة هي اليقين.

و أمّا الخشوع لما نزل من الحقّ، فقد يكون دون الأوّل لما يشتمل عليه الكتاب العزيز من ذكر الكفّار، و ذكر أفعالهم القبيحة، و الكتاب العزيز كلّه يوجب الخشوع، غير أنّ ذكر الله تعالى أشرف من ذكر السوي.

الخشوع خمود النّفس و همود الطّباع لمتعاظم أو مفزع.

الخشوع هو الخضوع مع محبّة لمن خشع له أو خوف منه.

قوله: خمود النّفس، يعني إمساكها عن الانبساط.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۳۲

قوله: همود الطّباع، أي سكونها، و المراد بالطّباع هنا قوى النّفس. و المتعاظم هنا، هو الذي له عظمة و مهابة في القلوب. و المفزع هنا هو الذي له سطوة تخشى، و نقمة تتّقى.

[درجات الخشوع]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى التذلّل للأمر]

الدّرجة الأولى:

التذلّل للأمر، و الاستسلام للحكم، و الاتّضاع لنظر الحقّ.

الاستسلام و التذلّل متقاربان في المعنى، فالتذلّل هو الإقبال عليه بالطّاعة التامّة و الامتثال، و موافقة الباطن للظّاهر في ذلك، مع إظهار الضعف عن المقاومة أو المراجعة، و الاستسلام للحكم كذلك مع مزيد إظهار عبوديّة القهر، و انقياد المسكنة في الدخول تحت الأحكام.

و الاتّضاع لنظر الحقّ هو فوق الذي ذكر، و هو على قسمين:

أمّا نظر الحقّ بالإيمان، فهو مقام الإحسان، و هو أن تعبد الله كأنّك تراه. و إمّا بالعيان، فهو قهر بعض تجلّيات/ الأسماء لباطن المكاشف. إلاّ أنّ القسم الأوّل هو أليق بالدّرجة الأولى من الخشوع.

[الدّرجة الثانية ترقّب آفات النّفس و العمل]

الدّرجة الثانية:

ترقّب آفات النّفس و العمل، و رؤية فضل كلّ ذي فضل عليك، و تنسّم نسيم الفناء.

ترقّب آفات النّفس هو انتظار ظهور نقائصها، و ذلك يقتضي أن يكون العبد خاشعا ذليلا لعلمه بنقائص نفسه.

و ترقّب آفات العمل هو أن يداخله إمّا الرّياء و العجب، و إمّا الفتور، و إمّا تشتّت النيّة و عدم القيام بالشروط المصحّحة للعمل، و شبه ذلك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۳۳

الثاني:

رؤية فضل كلّ ذي فضل عليك، هو أن يراعي حقوق النّاس فيؤدّيها، و لا يطالب بحقوق نفسه، و يعترف بفضل غيره، و ينسى فضل نفسه، و ذلك من جملة تزكية النّفس بحسن الأخلاق.

الثالث:

تنسّم نسيم الفناء، و هو مبادئ ظهور التجلّي الإلهيّ على أسرار المكاشف، فإنّ ذلك يدعوه إلى الإحساس بالفناء، و الفناء هو باب التّوحيد. و عبّر عنه بالنّسيم للطف النّسيم و حسن موقعه، فذكر ذلك استعارة على إفادة لطف موقع التجلّي، و هذا التنسّم المذكور يوجبه الخشوع، و ربّما أوجب الخشوع.

[الدّرجة الثالثة حفظ الحرمة عند المكاشفة]

الدّرجة الثالثة:

حفظ الحرمة عند المكاشفة، و تصفية الوقت من مراياة الخلق، و تجريد رؤية الفضل.

خشوع حفظ الحرمة هو معارضة البسط الذي يوجب الإدلال بالقبض الذي يحفظ الحرمة، فإنّ تجلّي الاسم الباسط يوجب الشّطح، و حفظ الحرمة هو إخفاء ذلك الحكم بالخشوع.

الثاني:

تصفية الوقت في مراياة الخلق، أي تخفى كراماته بالخشوع عن رؤية النّاس إيّاه لئلاّ يؤدّيه إلى الرّياء، فإنّه متى استحلى تعظيم النّاس له، دعاه ذلك إلى المراياة، فيرجع عن ذلك إلى الخشوع، و هو إظهار المسكنة و الفاقة، و أنّه لا شيء.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۳۴

الثالث:

تجريد رؤية الفضل عن شهود توحيد الأفعال، فلا يرى إحسانا إلاّ من فضل الله تعالى لا من سواه. و التّجريد هو تخليص الفضل لصاحبه حتّى لا ينسبه لغيره، و معنى الخشوع في هذا أن يشهد أنّ ما حصل له إنّما هو بالله لا بعمل و لا استحقاق، و لا غير ذلك من أحوال النّفس.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۳۵

باب الإخبات

قال الله تعالى: وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ.

الإخبات من أوائل مقامات الطمأنينة.

الإخبات هو السّكون إلى الله تعالى، و منه الآية: **وَ أَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ**، أي سكنوا إليه.

قوله: هو من أوائل مقامات الطمأنينة، يعني المقام الذي يلي مقام الإحسان، و قد يسمّى مقام السّكينة، و هو عند أوّل ما يحسّ القلب بالواردات من قبل الغيب، و الطمأنينة و السّكون واحد، أو متقاربان.

و هو ورود المسافر من الرجوع و التردّد.

ورود المسافر يعني به ورود السّالك إلى الله تعالى.

قوله: من الرّجوع و التردّد، يعني وروده إلى مشرب الأنس بالوارد و الخطاب، فشبّهه بالمورد الذي يرد إليه المسافر، فيصادف فيه ماء طيّبا

عذبا، و لمّا كان هو أوّل مقام يتخلّص فيه السّالك من التردّد الذي هو

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ١، ص ١٣۶

الشكّ، و الرّجوع الذي هو الغفلة قال: ورود المسافر من الرّجوع و التردّد، أي خلاصه منهما لهذا الورود الشريف، يعني الخلاص من الغيبة إلى مورد المناجاة و الخطاب و التنزّلات.

[درجات الإخبات]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى أن تستغرق العصمة الشهوة]

الدّرجة الأولى:

أن تستغرق العصمة الشهوة.

العصمة هي الحماية و الحفظ عن المعاصي، و الشهوة هي الميل إلى اللذّات الجسمانيّة مثل الأكل و النّكاح و شبه ذلك، و الاستغراق هنا معناه الغلبة، فكأنّه يقول: إنّ العصمة تغلب الشهوة و تستوفي جميع أجزائها، فإنّ الاستغراق هو الاحتواء على الشيء كلّه، بحيث لا يبقى منه شيء، فإذا استوفت العصمة جميع أجزاء الشهوة، فذلك دليل على الدخول في مقام السّكينة و هي الإخبات، و أوّل مقام السّكينة هو الخلاص من تردّد الخواطر بين الإقبال و الإدبار إلى الاستقامة و الدوام على الحضور و الخدمة.

و تستدرك الإرادة الغفلة.

أي إنّ الإرادة لله تعالى تستدرك فارط الغفلة، و الإرادة هي التي بها يسمّى الطّالب مريدا، و المريد عندهم هو الذي عزفت نفسه عن الدّنيا، و أعرضت عن لذّاتها، و التذّ بخدمة الصّالحين، و تأنّس بطلب الحقّ.

و الاستدراك هو الإدراك، لكن بتدريج كما يقول: استدرج استدراجا.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ١، ص ١٣٧

و يستهوي الطّلب السلوة.

يريد بالطّلب/ هنا المحبّة، و لذلك قابل لفظ الطّلب بلفظ السلوة الذي يدلّ على المحبّة، و معنى تستهوى تغلب، فشبّه الطّلب بالبئر أو الهوّة و هي الحفرة، و شبّه السلوة بالشيء الذي يهوي أي يقع في الهوّة، و هذا استعارة لغلبة المحبّة على السلوّ.

[الدّرجة الثانية أن لا ينقض إرادته سبب، و لا يوحش قلبه عارض]

الدّرجة الثانية: أن لا ينقض إرادته سبب، و لا يوحش قلبه عارض، و لا تقطع عليه الطريق فتنة.

الإرادة هي صحّة الطّلب لله تعالى، و صدق النيّة فيها، فإذا قويت بحيث لا ينقضها سبب، فهي من جملة الدّرجة الثانية من الإخبات، و المراد بالنقض هنا الرّجوع عن الإرادة.

قوله: و لا يوحش قلبه عارض، يعني لا تبقى فيه بقيّة توحش قلبه بعد الأنس بالله تعالى في المناجاة و الحضور، و أراد بالعارض هنا سببا شاغلا للقلب، أيّ شيء كان، و أصل العارض المخالف، كالشيء الذي يجيء في عرض الطريق، فهو مخالف لمن يمشي في طولها.

و قوله: و لا تقطع الطريق عليه فتنة، أي إنّه تمكّن من صحّة الإرادة، فإذا فتن لا تؤثّر فيه الفتنة، و الفتنة في الأصل هي الاختبار.

و اعلم أنّ هذه الصّفات لا تصحّ إلاّ لمن علق ببعض شهود التجلّيات التي هي حقّ، فإنّه من اغترف العلم من عين العلم ثبت، و من اغترف العلم من جريان العلم أخذته الشّبه، و ميّلته العبارات، و يشبه هذا المعنى قولي:

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ١، ص ١٣٨

فمل طربا و اشرب و طب ثمّ غب فما نعيمك إلاّ سكرة من هوى نعم

(فمهما بقي للصحو فيك) بقيّة يجد نحوك اللاّحي سبيلا إلى الظلم

و محلّ الاستشهاد هو البيت الثاني، على أنّ هذه الدّرجة، أعني درجة الإخبات المذكورة هي دون هذا المقام، لأنّ السّكينة هي من وراء حجاب.

[الدّرجة الثالثة أن يستوي عنده المدح و الذمّ]

الدّرجة الثالثة:

أن يستوي عنده المدح و الذمّ، و تدوم لائمته لنفسه، و يعمى عن نقصان الخلق عن درجته.

يعني لا يفرح بالمدح، و لا يحزن بالذمّ، و هذا وصف من خرج عن حظّ نفسه، و تأهّل للفناء في شهود نور ربّه.

قوله: و تدوم لائمته لنفسه، أي يلوم نفسه دائما، و المقصود هنا أن يبغض نفسه و يريد فراقها، و ليس مقصوده أن يلومها على التّفريط،/ فإنّ صاحب هذا الوصف هو فوق مقام المفرّطين، و كلّ من بذل نفسه للّه تعالى بصدق كره بقاءه معها، لأنّه يريد أن يقبلها من بذلت له، فإنّ من قرّب قربانا فتقبّل منه، ليس كمن قرّب قربانا فلم يتقبّل منه، اللّهم عوّضنا عن أنفسنا فناء يذهب عنّا عالم الخلق بعالم الأمر، فإنّ لك الخلق و الأمر تباركت.

قوله: و يعمى عن نقصان الخلق عن درجته، معناه أنّه و إن كان أعلى من المخلوقات درجة، أعني المخلوقات النّاقصين عن رتبته، إلاّ أنّه لاشتغاله باللّه تعالى يعمى عن نسبة حاله، و عن اعتبار أحوال الخلق بالنسبة إليه لاستغراقه في الحضور مع خالقه تبارك و تعالى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۳۹

باب الزّهد

قال اللّه تعالى: بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

هذه الآية تدلّ على اعتبار أنّ الزّهد في الدّنيا إنّما يكون لأجل الرّغبة في الآخرة، و ربّما اعتبر فيها معنى فوق هذا.

الزّهد هو إسقاط الرّغبة عن الشيء بالكلّية.

قوله: عن الشيء، يعني عن القلب.

قوله: بالكلّية أي مع ترك التشوّق إليه و عدم الالتفات، فإنّ ذلك شاهد بالإعراض عن الدّنيا حقيقة.

و هو للعامّة قربة، و للمريد ضرورة، و للخاصّة خشية.

الزّهد قربة، أي حسنة تقرّب إلى الجنّة، لأنّ القربة بضمّ القاف هي ما يتقرّب به، قال تعالى: **وَ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللهِ.**

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۴۰

قوله: و للمريد ضرورة، يعني أنّ الضرورة تدعو المريد إلى الزّهد، لأنّه لا يحصل له التجلّي إلى ما هو بصدده، إلاّ بإسقاط الرّغبة عمّا سوى مطلوبه، و ذلك هو الزّهد، فالمريد مضطرّ إلى الزّهد في تحقيق مقامه.

قوله: و للخاصّة خشية، الخاصّة هم المتوسّطون، و يعني بالخشية الخوف على ما حصل لهم من القرب أن يتكدّر صفوه، لأنّهم بعد لم يتمكّنوا في مقام الخصوص، و لا يحصل لهم التمكّن إلاّ بالانتقال إلى مقام خاصّة الخاصّة.

[درجات الزهد]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى الزّهد في الشبهة بعد ترك الحرام بالحذر من المعتبة]

الدّرجة الأولى:

الزّهد في الشبهة بعد ترك الحرام بالحذر من المعتبة، و الأنفة من المنقصة، و كراهيّة مشاركة الفسّاق.

الزّهد في الشبهة هو ترك ما يشتبه عليك هل هو حلال أم حرام، و قد ورد في الحديث النبويّ:/ «الحلال بيّن و الحرام بيّن و بينهما متشابه، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

قوله: بعد ترك الحرام، أي إنّ ترك الشبهة لا يكون إلاّ بعد ترك الحرام.

قوله: بالحذر من المعتبة، يعني أن يكون سبب تركه الشبهة هو الحذر من عتب، أي من توجّه العتب عليه، فإنّ المعتبة و العتب بمعنى واحد.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۴۱

قوله: و الأنفة من المنقصة، أي لا يرضى لنفسه المنقصة، و الأنفة هي الترفّع عن النقيصة، و ليس مراده النقيصة عند الخلق، بل إنّما يحذر من النقيصة عند ربّه عزّ و جلّ.

قوله: و كراهيّة مشاركة الفسّاق، يعني أنّ الفسّاق يزدحمون على مواضع الرّغبة في الدّنيا، و هو يكره أن يجتمع بالفسّاق لا لأجل إنّه يرى أنّه أشرف منهم، بل لأنّه يخشى العقوبة في مخالطتهم، قال الله تعالى:

وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ.

[الدّرجة الثانية الزّهد في الفضول و ما زاد على المسكة]

و الدّرجة الثانية:

الزّهد في الفضول و ما زاد على المسكة. و البلاغ من القوت باغتنام التفرّغ إلى عمارة الوقت. و حسم الجأش، و التحلّي بحلية الأنبياء عليهم السّلام و الصدّيقين.

الفضول هو ما يفضل عن القوت، و منه اشتقاق الفضول في الكلام، أي الذي يفضل عن قدر الحاجة، ثمّ فسّر تلك الزيادة ما هي، فقال:

ما زاد على المسكة، و يعني بالمسكة ما يمسك الرمق من القوت. و البلاغ يعني البلغة من العيش، و هو قدر الضرورة الذي لا بدّ منها من القوت.

قوله: باغتنام التفرّغ إلى عمارة الوقت، يعني أنّ الدّرجة الأولى كان الزّهد فيها بالحذر و الخوف من المعتبة، و هنا ليس كذلك، لأنّ هذه الدّرجة فوق تلك الدّرجة، فركون سبب الزهد هنا غير سبب الزّهد هناك، و سبب الزّهد هنا هو التفرّغ لعمارة الوقت، لأنّه لو اشتغل بالرّغبة في الدّنيا فاته نصيبه من انتهاز فرصة الوقت، فقد قالوا: إنّ الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۴۲

قوله: و حسم الجأش، الحسم هو القطع، و الجأش هو الاضطراب، و كأنّه قال: و قطع الاضطراب، و أراد بالاضطراب هنا عدم السّكون إلى شيء واحد،/ بل هو مضطرب الخاطر، فتارة يرغب في الدّنيا و يترك الزّهد، و تارة يعود إلى الزّهد، فذكر الشيخ أنّ صاحب هذه الحالة لا يصحّ له الزّهد حتّى يقطع هذا الاضطراب بأن يدوم إعراضه عن الدّنيا حتّى لا يلتفت خاطره إليها في وقت من الأوقات أصلا.

قوله: و التحلّي بحلية الأنبياء عليهم السّلام، حلية الأنبياء هو الزّهد في الدّنيا، حتّى أنّ إبراهيم و داوود و سليمان عليهم السّلام و إن كانت لهم أغراض من الدّنيا، لكن كانوا معرضين عنها بقلوبهم.

[الدّرجة الثالثة الزّهد في الزّهد]

و الدّرجة الثالثة:

الزّهد في الزّهد، و هو بثلاثة أشياء: باستحقار ما زهدت فيه.

و استواء الحالات فيه عندك. و الذهاب عن شهود الاكتساب ناظرا إلى وادي الحقائق.

قوله: باستحقار ما زهدت فيه، يريد بهذا الاستحقار ما يحصل عند من تحقّق بعظمة اللّه تعالى بكونه ينظر فلا يرى أنّ ما تركه يستحقّ أن يجعل قربانا، لأنّ الدّنيا بما فيها لا تساوي عند اللّه جناح بعوضة بالنسبة إلى عظمته، فلهذا يستحي من صحّ له الزّهد أن يجعل لما تركه للّه تعالى قدرا، فهذا معنى الاستحقار المذكور:

قوله: و استواء الحالات فيه عندك، يعني أن يرى أنّ ترك ما زهد فيه و أخذه متساويان، إذ ليس له عنده قدر، لأنّ من تحقّق بالزّهد صغرت الدّنيا و ما فيها في عينه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۴۳

قوله: و الذّهاب عن شهود الاكتساب إلى آخره، معناه: أنّ من استصغر الدّنيا بقلبه، و تساوى وجودها و عدمها في حقّه، لم ير أنّه اكتسب بتركها درجة عند اللّه تعالى. البتّة، و فيه معنى آخر، و المقصود أنّه يشاهد تصرّف اللّه في العطاء و المنع و الأخذ و التّرك، فلا يرى الزّاهد أنّه ترك شيئا و لا أخذ شيئا، لأنّه ناظر بعين الحقيقة إلى وحدانيّة الفاعل الحقّ، فكيف يرى الاكتساب بعد أن نظر الأشياء بعين الجمع، و سلك في وادى الحقائق بالحقّ.

فبهذه الثلاثة أشياء يصحّ له الزّهد في الزّهد، و ذلك هو زهد الخاصّة، و منه قول الشّاعر و إن لم يقصده:

إذا زهّدتني في الهوى خشية الرّدى   جلت لي عن وجه يزهّد في الزّهد

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۴۵

[باب الورع]

باب الورع قال اللّه تعالى: وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ استشهد رضي اللّه عنه بهذه الآية إعلاما لنا أنّ الحرام نجس، و أنّ ما قرب من النّجس فهو أيضا يتنجّس، و أنّ الورع هو الذي يطهّر دنس القلب، كما يطهّر الماء دنس الثّوب.

قال رضي اللّه عنه: الورع هو توقّ مستقصى، يعني أنّ الورع هو أن تتوقّى الحرام و الشبهة، أي يخاف أن يقع فيها، فيحذر من ذلك و يحترز منه.

و قوله: مستقصى، يعني أقصى غاية التوقّي، كما تقول: استقصيت في الحديث، أي طلبت أقصاه، يعني غايته.

على حذر، أي أنّ التوقّي يكون مع الحذر التامّ، و ترك المتشابه خشية الحرام.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۴۶

أو تحرّج على تعظيم، التحرّج هو التّضييق على النّفس بأن لا يفسح لها في تناول ما لا يحلّ.

قوله: على تعظيم، أي يفعل ذلك تعظيما لأمر اللّه تعالى، فإنّه هو الذي حرّم الحرام، و من جملة تعظيمه أن تجتنب محارمه.

و هو آخر مقام الزّهد للعامّة. و أوّل مقام الزّهد للمريد،

[درجات الورع]

و هو على ثلاث درجات.

يعني إنّ هذه الصّفات التي ذكرها هي ورع العامّة على التّمام و بداية ورع المريد.

ثمّ يفصّل ورع المريد فقال:

هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى تجنّب القبائح لصون النّفس]

الدّرجة الأولى:

تجنّب القبائح لصون النّفس، و توفير الحسنات، و صيانة الإيمان.

صون النّفس غيرة عليها من القبائح، و هذا المعنى فوق المعنى الذي ذكر أنّه وصف العامّة، لأنّ نفس العامّي ليست ظاهرة فيغار عليها، و كذلك توفير الحسنات، هو ممّا يختصّ بالمريد دون العامّي، و ذلك لأنّ جهد العامّيّ أن يحصّل الحسنات بأضعف ما يكون من التّحصيل، و أمّا توفير الحسنات فهو صفة من هو فوق العامّي، و معنى التّوفير هو حفظ الحسنات الحاصلة و طلب المزيد. و أمّا العامّي فما تنحفظ حسناته بل ربّما يحبطها بسوء الأدب، و كذلك صيانة الإيمان هو فوق حال العامّة، و ذلك لأنّ العاميّ أوفر أقسامه أن يحصّل أوّل ما يصدق عليه به أنه مؤمن،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١٤٧

ثمّ أنّه ربّما عرض له الشكّ أو نازعه الوسواس فيضطرب اضطرابا لا يخرجه عن الإيمان، بحكم أنّه يعود فيفارقه الشكّ تصديقا و تقليدا،/ و المريد فوق هذه الصّفة، لأنّه يكاد يحسّ بوجه الحقّ إحساسا يقرّب من اليقين، و بذلك تحصل له صيانة الإيمان.

قال الشيخ: و هذه الثلاث صفات هي في الدّرجة الأولى من ورع المريدين.

[الدّرجة الثانية حفظ الحدود عند ما لا بأس به إبقاء على الصيانة و التّقوى]

الدّرجة الثانية:

حفظ الحدود عند ما لا بأس به إبقاء على الصيانة و التّقوى، و صعودا عن الدناءة، و تخلّصا عن اقتحام الحدود.

يقول رضي الله عنه: إنّ من صعد عن الدّرجة الأولى إلى هذه الدّرجة الثانية في الورع، فهو يترك ما لا بأس به، يعني كثيرا من المباح خوفا على الصيانة أن يتكدّر صفوها. و الفرق بين صاحب الدّرجة الأولى و بين صاحب هذه الدّرجة الثانية، أنّ ذلك يسعى في تحصيل الصيانة، و هذا يسعى في حفظ صفوها أن يتكدّر، و هو معنى قوله إبقاء على الصيانة و التّقوى، و صعودا عن الدناءة و هي الشّبهات، و تخلّصا عن اقتحام الحدود، و الحدود هي الأحكام التي حدّها الله تعالى من الحرام، و تفسير الحدّ هو المنع، و البوّاب و الحاجب يسمّى كلّ واحد منهما حدّادا في لغة العرب، و الحدود هي المنوع عمّا حرّم الله تعالى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١٤٨

[الدّرجة الثالثة التورّع عن كلّ داعية تدعو إلى شتات الوقت]

الدّرجة الثالثة:

التورّع عن كلّ داعية تدعو إلى شتات الوقت، و التعلّق بالتفرّق، و عارض يعارض حال الجمع.

أمّا شتات الوقت و التفرّق فهو معنى واحد، و المراد هنا الاشتغال بما سوى الحقّ تعالى، و هو فوق حال أهل الدّرجة الثانية، لأنّ أهل الدّرجة الثانية مشتغلون بحفظ صوف الصيانة من الكدر، و ذلك عند هؤلاء تفرّق عن الحقّ تعالى، إذ ملاحظة الصيانة و صفوها هو غير ملاحظة الحضور بين يدي الحقّ تعالى بصفة أنّه يراه، فهو يراقبه مراقبة حضور، و أدب الحضور غير أدب الغيبة.

و أمّا التورّع عن كلّ ما يعارض حال الجمع، فهو معنى فوق ما ذكر، و لذلك ختم بذكره باب التورّع، و معناه أن يستغرق العبد شهود فنائه في الوحدانيّة عن ذكر شتات الوقت، و عن ذكر التفرّق أو الحضور و غير ذلك، فإنّ صاحب الجمع في غيبة عن الحضور و الغيبة أيضا، و حال الجمع معروف عندهم أنّه بقاء من لم يزل بعد فناء من لم يكن، و ذلك هو الحقّ المبين.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۴۹

[باب التبتّل]

باب التبتّل قال الله تعالى: وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً.

التبتّل، الانقطاع إليه بالكلّيّة، و قوله/ عزّ و جل: لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ، أي التّجريد المحض.

هذا ظاهر ما خلا إشارته إلى قوله تعالى: إليه، و كونه فسّره بدعوة الحقّ إلى التّجريد المحض، و معنى ذلك أنّ الحقّ تعالى قال: إليه، فالهاء راجعة إلى الله تعالى، فدلّ على أنّ المراد من التبتّل ليس هو من شغل العامّة أهل العبادة بالأجرة، فإنّ الأجير إنّما يخدم لأجل الأجرة، فإذا أخذها انصرف عن باب المستأجر، و أمّا العبد فلا أجرة له، و لا ينصرف عن باب السيّد إلاّ إن كان آبقا، و الآبق قد خرج من شرف العبوديّة، و لم تحصل له راحة الحرّية، لأنّه موكوس عند الأحرار و عند العبيد.

و المقصود من التّجريد المحض، الإعراض المحض عمّا سوى الله تعالى، و تفسير المحض هو الخالص.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۵۰

[درجات التبتل]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى تجريد الانقطاع عن الحظوظ و اللّحوظ إلى العالم خوفا أو رجاء أو مبالاة بحال]

الدّرجة الأولى:

تجريد الانقطاع عن الحظوظ و اللّحوظ إلى العالم خوفا أو رجاء أو مبالاة بحال.

الانقطاع عن الحظوظ، هو الاشتغال باللّه تعالى عن النّفس و حظوظها.

قوله: و اللّحوظ إلى العالم، أي و الانقطاع عن ملاحظة العالم.

قوله: خوفا، أي لا يخاف العالم.

قوله: أو رجاء، أي لا يرجوهم.

قوله: أو مبالاة، أي لا يبالي بهم، فكأنّه لا يلحظ العالم لا بصفة الخوف منهم، و لا بصفة الرّجاء لهم، و لا بصفة المبالاة بهم، و هذا دليل على أنّ التبتّل من أوصاف المريدين لا من أوصاف العامّة، إذ العامّة لا بدّ لهم من ملاحظة الخلق.

و حسم الرّجاء بالرّضا، و قطع الخوف بالتّسليم، و رفض المبالاة بشهود الحقيقة.

شرع يفصّل ما سبق فيقول: إنّ الذي يحسم مادّة الرّجاء للخلق هو الرّضا بحكم الله عزّ و جلّ، و من رضي بحكم الله عزّ و جلّ لم يرج الخلق، و إنّ الذي يحسم مادّة الخوف هو التّسليم للّه تعالى، و من سلّم إلى الله تعالى لم يخف من النّاس، فإنّ نفسه التي يخاف من النّاس عليها قد سلّمها إلى الله تعالى، فلم يبق له ما يخاف النّاس عليه، و أنّ الذي يحسم مادّة المبالاة بالنّاس هو شهود الحقيقة، و معنى شهود الحقيقة

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۵۱

هاهنا هو رؤية الأشياء من الله تعالى، فهو لا يخاف المخلوق، و لا يبالي بهم، و يسمّى هذا الحال توحيد الأفعال.

[الدّرجة الثانية تجريد الانقطاع عن التّعريج على النّفس بمجانبة الهوى]

الدّرجة الثانية:

تجريد الانقطاع عن التّعريج/ على النّفس بمجانبة الهوى، و تنسّم روح الأنس، و شيم برق الكشف.

الشيخ رضي الله عنه جعل الدّرجة الأولى لتجريد الانقطاع عن النّاس، و جعل الدّرجة الثانية لتجريد الانقطاع عن النّفس، و جعل الانقطاع عن النّفس يكون بثلاثة أشياء، بدايتها مجانبة الهوى، و هو أوّل شيء ينزله الإنسان من النّفس، و هو أن يخالف هواها أولا، ثمّ إنّه بعد ذلك يتنسّم روح الأنس، و الرّوح و الرّاحة متقاربا المعنى، لأنّه لمّا أعرض عن هواه أنس بمولاه، لأنّ النّفس لا بدّ لها من التعلّق، فلمّا فرغ تعلّقها من هواها كان في الأنس باللّه تعالى مثواها. و بهذه الصّفة الثانية يبتدئ الإعراض عن النّفس بعد إعراضه عن الهوى، و ذلك لأنّ من الأنس يكون بداية الفناء، ثمّ إنّه يشيم برق الكشف، شبّه لائحة الكشف بالبرق، و شيم البرق، هو النّظر إليه ليعلم في أيّ مكان ينزل المطر و بهذه الثلاثة تحصل الدّرجة الثانية من مقام التبتّل.

[الدّرجة الثالثة تجريد الانقطاع إلى السّبق بتصحيح الاستقامة و الاستغراق في قصد الوصول]

الدّرجة الثالثة:

تجريد الانقطاع إلى السّبق بتصحيح الاستقامة و الاستغراق في قصد الوصول، و النّظر إلى أوائل الجمع.

لمّا جعل الدّرجة الأولى للإعراض عن الخلق، و الدّرجة الثانية للإعراض عن النّفس، جعل الثالثة لطلب السّبق، و هو مقام الخاصّة لا

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١٥٢

خاصّة الخاصّة، و جعل تحصيل السّبق بتصحيح الاستقامة، و هي الإعراض عمّا سوى المقصود الحقّ، ثمّ بالاستغراق في قصد الوصول، و هو أن يشغله طلب الوصول عن كلّ شيء، و إنّما يكون ذلك بعد شيم برق الكشف، فلا تبقى فيه بقيّة يحسّ بها سوى قصد الوصول، ثمّ بالنظر إلى أوائل الجمع، و أوائل الجمع هو مقام الوقفة، و منه يقع الفناء، و قد تقدّم شرح معنى الجمع، فبهذه الثلاثة تحصل الدّرجة الثالثة من التبتّل، و بها يكمل مقام التبتّل أجمع.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١٥٣

[باب الرّجاء]

باب الرّجاء قال الله تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا الله وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ.

الرّجاء أضعف منازل المريد، لأنّه معارضة من وجه، و اعتراض من وجه.

أمّا أنّ الرّجاء معارضة من وجه، فهو لكون الحقّ تعالى هدّد عباده و هو مالك لهم، و له أن يتصرّف في ملكه بما شاء. فمن تعلّق قلبه/ بالرّجاء فكأنّه عارض الحقّ تعالى حيث تعلّق بما يعارض المالك في ملكه، و كان الأليق به أن يرضى بحكمه، و يسلّم إليه في ملكه، و يكون راجعا إلى مراد سيّده لا إلى مراده.

و أمّا وجه الاعتراض، فهو أنّ من تعلّق بالرّجاء فقد يخطر في قلبه أن يقول: ما للغنيّ تعالى حاجة بعذاب عبيده، و أليق بكرمه أن يعفو عنهم، و هذا اعتراض ممّن لحقه هذا الوسواس، و الفرق بين المعارضة و بين الاعتراض، أنّ المعارضة طلب ما لم يتحقّق وجوده، فهو مثل

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١٥٤

التمنّي، و الاشتغال بالتمنّي قبيح و رعونة. و وجه المعارضة في هذا هو تعلّق العبد بما لعلّ سيّده أراد خلافه، فهو معارض لسيّده.

و أمّا الاعتراض فهو أن تقول: ما ذا أراد الله بعذاب خلقه، و لم لا يشمل الجميع بالرّحمة حتّى كأنّه أعلم بالحكمة من خالقها، و هذا غاية الاعتراض.

و هو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطّائفة، الرعونة عند هذه الطّائفة الوقوف مع حظوظ النّفس، و الرّجاء هو عين الوقوف مع حظّ النّفس من جهة أنّ الرّجاء متعلّق بالرّاحات. و هذه الطّائفة أوّل طريقها الخروج عن النّفس فضلا عن شهواتها، لأنّ مرادهم أن يكونوا باللّه تعالى لا بأنفسهم حتى قال قائلهم:

أحبّك لا أحبّك للثّواب و لكنّي أحبّك للعقاب

فكلّ مآربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فجعل غاية مآربه و مطالبه أن يتلذّذ بالعذاب، و لو كان نفس التلذّذ مقصوده من العذاب أيضا لكان رعونة، لكنّه أراد أن يرى حسن رضاه من أحكام مولاه بما ليس للرّجاء فيه مدخل، و لا لحظّ النّفس فيه نسبة، و بعض المتأخّرين أظهر المقصود في هذا المعنى في شعر له فقال:

و تعذيبي مع الهجران عندي أحبّ إليّ من طيب الوصال

لأنّي في الوصال عبيد حظّي و في الهجران عبد للموالي

فبيّن أنّ التّعذيب أحبّ إليه من طيب الوصال، لكون الوصال فيه ما تشتهيه النّفس و أمّا التّعذيب فليس للنّفس فيه مقصود.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۵۵

إلا ما فيه من فائدة واحدة و لها نطق به التّنزيل و السنه، و دخل في مسالك المحقّقين، و تلك الفائدة هي كونه / يبرّد حرارة الخوف حتّى لا يفضي بصاحبه إلى الإياس.

هذا الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه ظاهر لا يحتاج إلى شرح، و مقصوده فيه حسن، و إذ كانت مشروعيّة الرّجاء لها فوائد أخرى، و للرّاجي تعلّق بالله تعالى من حيث اسمه المحسن، و هو الذي أوجب له الرّجاء من حيث لا يدري و من حيث يدري.

و لا يعرض ذلك المرض إلاّ لعامّة هذه الطّائفة، يعني بالمرض حرارة الخوف، و معنى حرارة الخوف شدّته، و قد تقدّم ذكر الخوف، و ليس من مقامات الخواصّ.

[الرّجاء على ثلاث درجات]

و الرّجاء على ثلاث درجات:

[الأولى رجاء يبعث العامل على الاجتهاد]

الأولى:

رجاء يبعث العامل على الاجتهاد، و يولّد التلذّذ بالخدمة، و يوقظ الطّباع للسماحة بترك المناهي.

يبعث العامل على الاجتهاد، أي ينشّطه للاجتهاد، و ذلك لأنّه لمّا ترجّى حسن المجازاة خفّ عليه مخالفة الكسل، كالطّفل الذي يوعد بالحلوى إن هو حفظ تلقينه.

قوله: و يولّد التلذّذ بالخدمة، معناه أنّه يفرح بما يحصل له في مقابلة الخدمة، فهو متلذّذ بالسّبب لرجائه في المسبّب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۵۶

قوله: و يوقظ الطّباع بالمناهي، أراد بالمناهي المحرّمات الملذّة كالزنا و شبهه، فإنّه إذا ترجّى الحور في الجنان هان عليه ترك مصايد الشّيطان، بحيث لو لا ذلك لما سمحت نفسه بترك ما نهي عنه.

[الدّرجة الثانية رجاء أرباب الرّياضات أن يبلغوا موقفا يصفو فيه همّهم برفض الملذوذات]

الدّرجة الثانية:

رجاء أرباب الرّياضات أن يبلغوا موقفا يصفو فيه همّهم برفض الملذوذات، و لزوم شروط العلم، و استقصاء حدود الحميّة.

أرباب الرّياضات هم الذين يجاهدون أنفسهم بترك مألوفاتها لتزكو، و رجاؤهم أن يبلغوا مقصودهم من الرّياضة، و هو أن يصفو لهم الوقت، و الهمّ هو ما تتعلّق به الهمم، تقول: هممت بالشيء أهمّ به همّا إذا قصدته و اعتنيت بتحصيله.

قوله: برفض الملذوذات، أي بترك الملذوذات، و الرّفض هو التّرك.

قوله: و لزوم شروط العلم، يعني الوقوف عند أحكام ظاهر الشّرع المطهّر، و ذلك ممّا يتعلّق به الرّجاء.

قوله: و استقصاء حدود الحميّة، الحميّة الاستقصاء، و هو طلب الغاية، و هو أقصى الشيء المطلوب، و الحدود هي حدود الشّرع، أو حدود الرّياضة التي هي مطلوبهم، و حدود الرّياضة هي نهاياتها،/ و أمّا الحميّة فلعلّه أراد بها النخوة التي تحميه عن الالتفات إلى الشهوات.

[**الدّرجة الثالثة**: **رجاء أرباب القلوب**]

الدّرجة الثالثة:

رجاء أرباب القلوب، و هو رجاء لقاء الحقّ الباعث على الاشتياق، المنغّص للعيش المزهّد في الخلق.

رجاء لقاء الله تعالى، هو نصيب أرباب القلوب، فإنّ أهل الرياضة مشغولون بتطهير القلوب، و هؤلاء طهرت قلوبهم فعلقت بها محبّة المحبوب الحقّ، فلا جرم بعثت على الاشتياق، و الاشتياق هو الشره

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۵۷

في زيادة القرب، و لذلك يبقى بعد الوصلة بالمحبوب. و أمّا الشوق فكأنّه إنّما يكون في زمان الغيبة، هذا هو اصطلاح طائفة.

قوله: المنغّص للعيش، أي إنّ هذا الاشتياق يزهّد في لذّة عيش الدّنيا، فكأنّه نغّصه. و الزّهد في الخلق يكون بسبب طلب الأنس بالحقّ، أو بما هو أعلى من ذلك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۵۹

[**باب الرّغبة**]

باب الرّغبة قال الله تعالى: يَدْعُونَنٰا رَغَباً وَ رَهَباً.

الرّغبة إلى الحقّ بالحقيقة من الرّجاء، و هو فوق الرّجاء، لأنّ الرّجاء طمع يحتاج إلى تحقيق، و الرّغبة سلوك على التّحقيق، موضع شاهد الآية قوله: **رَغَباً**، و الرّغب هو الرّغبة.

قوله: و الرّغبة هي من الرّجاء، أي بدايتها من الرّجاء و لو قلنا: إنّ الرّغبة من جملة الرّجاء لم يصحّ، لأنّ الرّجاء من الرّغبة، لأنّ الرّغبة رجاء و زيادة، فالرّجاء من الرّغبة، و ليست الرّغبة من الرّجاء.

و إنّما أراد الشيخ رضي الله عنه كما قلنا إنّ بداية الرّجاء من الرّغبة.

قوله: الرّجاء طمع يحتاج إلى تحقيق، أي إنّه طمع في مغيّب عنه مشكوك بخلاف الرّغبة، فإنّها لا تكون إلاّ بعد تحقّق ما يرغب فيه، فكان الإيمان في الرّغبة أقوى منه في الرّجاء، فلذلك قال: و الرّغبة سلوك على التّحقيق، أي على اليقين.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۶۰

[**الرّغبة على ثلاث درجات**]

و الرّغبة على ثلاث درجات:

[**الدّرجة الأولى**: **رغبة أهل الخير**]

الدّرجة الأولى:

رغبة أهل الخير، تتولّد من العلم فتبعث على الاجتهاد المنوط بالشّهود، و تصون السّالك عن وهن الفترة، و تمنع صاحبها من الرّجوع إلى غثاثة الرّخص.

أراد بالخير قوّة الإيمان القريب من الإحسان، و الدليل على ذلك أنّه جعل تولّده من العلم، فهو من آثار العلم، و العلم هو من الكتاب و السنّة، و من ثابر على أحكام الكتاب و السنّة فقد أحرز الإيمان، و الدليل على قرب هذا الإيمان/ من مقام الإحسان.

قوله: المنوط بالشّهود، أي المقترن بالشّهود، و ذلك الشّهود هو شهود مقام الإحسان، و هو أن تعبد الله كأنّك تراه.

و أمّا شهود الحقّ فهو فوق هذا، و تفسير لفظة المنوط أي المقترن.

قوله: و تصون السّالك عن و هن الفترة، الصيانة الحفظ، و الوهن الضعف، و الفترة عدم النّشاط، و لا شكّ أنّ الرّغبة توجب هذه الأشياء.

قوله: و تمنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرّخص، الغثاثة مأخوذة من اللّحم الغثّ و هو ضدّ السّمين، فشبّه الرّخص باللّحم الغثّ، و هو الذي تكرهه النفس الشريفة، و أهل العزائم لا يرون بالرّخص إلاّ من جهة أنّ الله تعالى يحبّ أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه، فيفعلونها امتثالا لا رغبة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۶۱

[الدّرجة الثانية: رغبة أرباب الحال]

الدّرجة الثانية:

رغبة أرباب الحال، و هي رغبة لا تبقي من الجهود إلاّ مبذولا، و لا تدع للهمّة ذبولا، و لا تترك غير المقصود مأمولا.

يريد برغبة أرباب الحال حتّى أخرجتهم إلى ما فوق طاقة البشريّة من الرّغبة، إذ هم بمنزلة الفراش الذي يلقي نفسه في النّور و لا يلتفت إلى ما أصابه، و ذلك معنى قوله: و هي رغبة لا تبقي من المجهود إلاّ مبذولا، أي لا تبقي شيئا غير مبذول.

قوله: و لا تدع للهمّة ذبولا، أي إنّ همّة صاحب الحال في الرّغبة كلّ ساعة في مزيد. بل كلّ نفس، و يعني بالذبول الفترة.

قوله: و لا يترك غير المقصود مأمولا، يعني لا يترك رغبة أرباب الحال في القلب نصيبا لغير المقصود الحقّ تبارك و تعالى، لا من حظوظ الدّنيا، و لا من حظوظ الآخرة، و ذلك كما قلنا لغلبة سلطان التجلّي القاهر لعالم الخلق بملاحظة سطوة الحقّ.

[الدّرجة الثالثة رغبة أهل الشّهود]

الدّرجة الثالثة:

رغبة أهل الشّهود، و هي تشرّف تصحبه تقيّة و تحمله همّة نقيّة، لا تبقى معه من التفرّق بقيّة.

أراد بالشّهود هنا خلاف ما أراد به في الدّرجة الأولى، و ذلك إنّ الشّهود هو شهود الحقيقة.

قوله: و هي تشرّف، الظّاهر أنّ الشيخ ما قال إلاّ تشوّف، و إنّما الكاتب صحّفها، فجعل عوض الواو راء، و نحن نشرحه على معنى كلا اللّفظين.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۶۲

أمّا قوله: تشرّفا، فيحتمل أن يريد به استشرافا، و الاستشراف و التشوّف واحد، و هو/ رغبة يستشرف القلب إليها، أي يتشوّف و يتطلّب، و يحتمل أن يريد بالتشرّف أي إنّه يشهد لنفسه شرفا خصّه الحقّ تعالى به، و هو يستره تقيّة، و هو معنى قوله: يصحبه تقيّة.

و أمّا معنى قوله: تشوّف، فهو طلب للغيبوبة في فناء شاهد و مشهود، و أعني بذلك شهود الثنويّة التي هي باب التفرقة.

قوله: يصحبه تقيّة، يحتمل معنيين:

أحدهما: التقيّة من النّاس، فلا يكشف لهم سرّا من أسراره، و لا يطلعهم على خبر من أخباره.

الثاني: التقيّة من الالتفات، فإنّه في الحضرة و أدب الحضرة يأبى الالتفات، و إذا كانت هذه الحضرة يستحيل فيها الالتفات، إذ هي تنفي ما سواها، و لا تبقي للأغيار أثرا في حماها. و معنى التقيّة كما علمت أن يتوقى الشيء الذي تكرهه.

قوله: و تحمله همّة نقيّة، يعني أنّ هذا التشوّف حمله على الرّغبة همّة نقيّة من الدنس، و يعني بالهمّة هنا اللّطيفة المدركة، و وصفها بالنّقاء لكون صاحب هذه الرّتبة قد تطهّرت أوصافه قبل وصوله إلى هذه النهاية، و لو بقيت فيه بقيّة لانصبغت بطهارة هذه الحضرة، فالهمّة نقيّة فيها دائما، و الدّنس الذي طهرت منه هذه الهمّة هو دنس التفرّق، و لذلك قال: لا يبقى من التفرّق بقيّة، و يعني بالتفرّق شهود الأغيار، فكأنّه يشير

إلى أنّ صاحب هذه الهمّة قد انطوى في بساط الفناء، و أذهب نور العين عنه المتى و الأين، و كان في الغاية القصوى لا في مطّلع الأضواء و احتجب حتّى لا ينشر منشوره و لا يطوى.

تمّ قسم الأبواب، يتلوه قسم المعاملات.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۶۳

[قسم المعاملات]

و أمّا قسم المعاملات، فهو عشرة أبواب:

الرّعاية و المراقبة و الحرمة و الإخلاص و التّهذيب و الاستقامة و التّوكل و التفويض و الثقة و التّسليم

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۶۵

[باب الرّعاية]

باب الرّعاية قال الله تعالى: فَمٰا رَعَوْهٰا حَقَّ رِعٰايَتِهٰا.

[درجات الرعاية]

الرّعاية صون بالعناية، و هي على ثلاث درجات:

الدّرجة الأولى: رعاية الأعمال.

و الدّرجة الثانية: رعاية الأحوال.

و الدّرجة الثالثة: رعاية الأوقات.

[الدّرجة الأولى: رعاية الأعمال]

فأمّا/ رعاية الأعمال فتوفيرها بتحقيرها، و القيام بها من غير نظر إليها. و إجراؤها مجرى العلم، لا على التزيّن بها من غير نظر إليها.

قوله: فأمّا رعاية الأعمال فبتوفيرها، توفيرها هو سلامتها من النقص، و قبولها للزيادة.

قال الشيخ: إنّ ذلك يحصل بتحقيرها، و تحقيرها هو أن تحتقرها بالنّسبة إلى ما يجب عليه.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۶۶

قوله: و القيام بها: أي يوفيها حقّها على التّمام بالأركان المشروعة و السنن و التطوّع.

قوله: من غير نظر إليها، أي من غير أن يعيد ذكرها على خاطره مخافة أن يعجب بنفسه.

قوله: و إجراؤها مجرى العلم، أي يكون العمل على مقتضى العلم الشرعيّ الذي يقتضي الإخلاص، لا على التزيّن بها عند النّاس.

قوله: من غير نظر إليها، قد تقدّم شرحه.

[الدّرجة الثانية: رعاية الأحوال]

و أمّا رعاية الأحوال، فهو أن يعدّ الاجتهاد مراياة، و اليقين تشبّعا، و الحال دعوى.

قوله: أن يعدّ الاجتهاد مراياة، أي تتّهم نفسك في الاجتهاد إنّه رياء النّاس ليكسرها لئلاّ تطغى.

قوله: و اليقين تشبّعا، أراد باليقين هنا التوكّل في الرزق على الله تعالى لأجل أنّه مضمون، فإذا حصل للإنسان الإعراض عمّا في أيدي النّاس، فليتّهم نفسه، و ليقل: إنّ هذا منّي تشبّع لا يقين، و معنى التشبّع الافتخار بما تملكه، مثل أن تقول: إنّي شبعان و أنت جائع، و قد نقل في الخبر النبويّ: «المتشبّع بما لا يملك كلابس ثوبي زور».

قوله: و الحال دعوى، أي و يعدّ الحال الغالب الذي يظهر عليه أنّه دعوى كاذبة، و إنّما يفعل ذلك قهرا للنّفس و تطهيرا لها من الرعونة، و

تخليصا للقلب من نصيب الشّيطان.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ١، ص ١٦٧

[الدرجة الثالثة رعاية الأوقات]

و أمّا رعاية الأوقات، فإن نقف مع كلّ خطوة، ثمّ أن نغيب عن خطوة بالصّفاء من رسمه، ثمّ أن نذهب عن شهود صفوه.

قوله: أن نقف مع كلّ خطوة، أي نقف معها بمقدار ما يصحّحها بالشّروط التي عيّنها في هذا الفصل، ثمّ ينفصل عنها و قد صحّت.

فالشّرط الأوّل هو قوله: أن يغيب عن خطوه بالصّفاء من رسمه، الخطو هو التقدّم في السير إلى الحضرة، و معنى غيبته بالصّفاء من رسمه، هو أن يغيب عن شهود ذاته أنّه تقدّم بنفسه، فإنّ رسمه هو نفسه، و النّفس كدر عن هذه الطّائفة،/ فإذا غاب عن شهود نفسه في كلّ خطوة، فذلك هو الصّفاء من رسمه الذي هو الكدر في الحقيقة، فتأمّل هذا بلطف إدراكك، ثمّ اعمل به، فإنّه حالك، و إليه تدعو حاجتك قوله: ثمّ أنّ تذهب عن شهود صفوه، أي لا يستحضر في قلبه أنّ ذلك الصّفاء المطلوب قد حصل، فإنّ هذا الالتفات من أحكام النّفس، و النّفس هي الكدر، فينبغي أن يغيب عن الكدر بالكلّية، و ذلك بأن يصفو من رسمه، و يغيب عن صفوه، فيكون قد اشتغل عن الصّفو و الكدر بالمقام الأقدس الأطهر.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ١، ص ١٦٩

[باب المراقبة]

باب المراقبة قال الله عزّ و جلّ: فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ. و قال تعالى:

لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَ لا ذِمَّةً.

المراقبة دوام ملاحظة المقصود،

[درجات المراقبة]

و هي على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى مراقبة الحقّ سبحانه في السير إليه على الدوام]

الدّرجة الأولى:

مراقبة الحقّ سبحانه في السير إليه على الدوام، بين تعظيم مذهل، و مداناة حاملة، و سرور باعث.

الآيتان لا مدخل لهما في المعاني المذكورة في هذه الدّرجات الثلاث، و إنّما الشيخ قصد التبرّك بذكرهما في أوّل الباب.

قوله: دوام ملاحظة المقصود، الملاحظة هنا بالقلب، و يعني بها دوام حضور القلب مع المقصود.

قوله في الدّرجة الأولى: مراقبة الحقّ، أي حضور القلب معه.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ١، ص ١٧٠

قوله: بالتعظيم، أي بتسليم العظمة إليه وحده، و أنّ كلّ من دونه ذليل حقير مفتقر إليه سبحانه، و أن لا ينسى هذا الحكم عند دوام حضور قلبه مع الله تعالى.

قوله: و مداناة حاملة. المداناة من الدنوّ و هو القرب.

قوله: حاملة، أي تحمله تلك المداناة على دوام التعظيم المذكور الذي يذهله عن الإحساس بنفسه و بغيره. و هذا أمر يكون بمواهب الحقّ الوهّاب، و ليس يكون بالاكتساب، و إنّما الحضور بالقلب هو الباب الذي منه يجد هذه الأسباب، فإذا وجدها حملته على التّعظيم، و هو معنى قوله: و مداناة حاملة.

قوله: و سرور باعث، يعني أنّ صاحب هذه المداناة/ يجد السّرور و الطرب و النعيم الذي لا يشبهه نعيم، فينبسط و يبعث، و الباعث هو المحرّك و المنشّط.

[الدّرجة الثانية مراقبة نظر الحقّ إليك برفض المعارضة بالإعراض عن الاعتراض و نقض رعونة التعرّض]

و الدّرجة الثانية:

مراقبة نظر الحقّ إليك برفض المعارضة بالإعراض عن الاعتراض، و نقض رعونة التعرّض.

مراقبة نظر الحقّ هو مناقض لمراقبتك الحقّ، و ذلك لأنّ مراقبتك الحقّ تعالى هو بحضورك معه بقلبك، و أمّا مراقبة نظر الحقّ إليك فهو في الحقيقة بالغيبة لا بحضورك مع الحقّ تعالى، و بيان ذلك إنّك ترفض المعارضة، أي تتركها.

ثمّ بيّن الشيخ تركها بما ذا يكون، فقال: بالإعراض عن الاعتراض، و يدخل في هذا الإعراض ترك الاعتراض على الله تعالى في أفعاله و كلّ ما ظهر من الموجودات فهو من أفعاله ممّا غاب عنك أو حضر دنيا و آخرة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۷۱

و يدخل في هذا الاعتراض أيضا ترك الاعتراض عليه في صفاته، فأيّ معنى بدا لك شهوده من صفاته و أطلعك عليه من معاني شواهده، لم يكن لك فيه اعتراض، إلاّ أنّ هذا الثاني يحكم عليك بترك الاعتراض قهرا لا تجد لك فيه عملا، و لو أردت خلاف ذلك لم تستطع.

و أمّا الأوّل فقد يكون مثل الثاني فيما ذكر، و قد يمكن أن يعتقد عقيدة، لأنّ توحيد الأفعال يمكن أن يدرك بعض معناه العقل، فهذان الوصفان إذا حصلا فقد ذهب الاعتراض، و بقي رعونة التعرّض، و رعونة التعرّض هو معنى ثالث، و في المراقبة يجب نقضه، و معناه إحساس العبد بنفسه و بخواطره و أفكاره في حالة الحضور مع الله تعالى بالمراقبة، و ذلك تعرّض منه لأن يحجبه الحقّ تعالى عن الشّهود، إذ بقاء العبد مع مداركه و حواسّه و مشاعره و أفكاره و خواطره عند مراقبة الحقّ هو من سوء الأدب، فيجب أن يتخلّص مراقبة نظر الحقّ إليك من هذه الصّفات، و ذلك بأن تستغرق بالذّكر، فتذهل عن نفسك و عن مأمنك لتكون عند نظره إليك متهيّئا للفناء عن وجودك، و عن وجود كلّ شيء سواه. و هذا التهيّؤ لا يكون إلاّ بنقض تلك الرّعونة الّتي هي الإحساس. و سمّاه الشيخ تعرّضا لمشابهته للتعرّض، و ذلك لأنّ الذّكر يوجب الغيبة عن الحسّ، فمن كان ذاكرا لنظر الحقّ تعالى إليه مراقبا، ثمّ أحسّ بشيء من حديث النّفس أو الخواطر، فقد تعرّض و استدعى عوالم نفسه للحضور بحضرة الحقّ تعالى، و حضرة الحقّ تعالى لا يكون فيها غيره، و اعلم أنّ هذه المراقبة لا يقدر عليها العبد إلاّ بمعونة التجلّي.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۷۲

[الدّرجة الثالثة مراقبة الأزل بمطالعة عين السّبق استقبالا لعلم التّوحيد]

الدّرجة الثالثة:

مراقبة الأزل بمطالعة عين السّبق استقبالا لعلم التّوحيد، و مراقبة ظهور إشارات الأزل على أحايين الأبد، و مراقبة الإخلاص من ورطة المراقبة.

هذه الدّرجة ليست المراقبة فيها من مقدور العبد أيضا، و لا بمعونة، بل جميع أحكامها هي موهبة، لا كسب للعبد فيها، لكن إذا تهيّأ العبد بما تقدّم ذكره في الدّرجتين الأوليين حصل له هذه الحال حصولا واجبا، هكذا أجرى الحقّ تعالى سننه مع عباده.

فنعود إلى الشرح و نقول: قوله: و مراقبة الأوّل أي شهود معنى الأزل، و هو القدم الذي لا أوّل له.

قوله: بمطالعة عين السّبق، أي بشهود سبق الحال تعالى للموجودات في حضرة كنت/ كنزا، و ذلك قبل أن يبدو شيء من الباديات، و هذه القبليّة سابقة للزّمان، و ليست زمانيّة.

قوله: استقبالا لعلم التّوحيد، يجوز أن يريد علم التّوحيد بكسر العين و سكون اللاّم، و يجوز أن يريد علم التّوحيد بفتح العين و اللاّم، و كلاهما يدلّ على المعنى المطلوب، و ذلك أنّ من راقب الأزل بمطالعة عين السّبق، فقد استقبل علم التّوحيد، أي علومه، و علم التّوحيد أي أعلامه

الظّاهرة، تقول بدت لنا أعلام المدينة، أو أعلام الجيش و اعلم أنّ مراقبة الأزل و مطالعة عين السّبق هما من جملة أعلام التّوحيد.

قوله: و مراقبة ظهور إشارات الأزل على أحايين الأبد، أي اتّصال الأزل بالأبد في شهود الشّاهد، و ذلك بأن يشهد أنّ الحقّ كما كان هو الآن، و على ما هو الآن يكون بعد فناء الأكوان، و إنّ وصف الصّمود

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۷۳

يفني العدد و المعدود بفردانيّة الحقّ الواجب الوجود. و أمّا ما يخصّ شرح لفظ الشيخ في هذا المعنى، فإنّ ظهور إشارات الأزل هو ظهور معاني الأزل.

و أمّا قوله: على أحايين الأبد، فإنّ الأحايين في جمع حين و هي الأزمان، فكأنّه يقول: إنّ المشاهد متّصل في نظرة الأزل ذلك كلّه بما لا نهاية له، فتصير الأزمنة الثلاث واحدا لا ماضي فيه و لا مستقبل، و ذلك لاتّصال الأزل بالأبد، و هذا باب من أبواب فناء الحوادث في بقاء موجدها القديم تعالى.

قوله: و مراقبة الإخلاص من ورطة المراقبة، أشار إلى فنائه هو في نفسه، أعني فناء الشّاهد في نفسه، فإنّه ما دام باقيا، فإنّ المراقبة تلزمه، و ما جعل المراقبة ورطة إلاّ لهذا السّبب، أي لأنّها مقارنة للورطة، فصارت ورطة، و نعني أنّ المراقبة تقارن بقاءه، و هو يكره البقاء، لأنّ مقصود القوم إنّما هو في الفناء، فأشار بهذا اللّفظ إلى من لاح له هذا المشهد الأقدس خلص من نفسه، فضلا عن المراقبة اللاّزمة لنفسه، فجعل خلاصه من المراقبة إشارة إلى خلاصه من نفسه، و من عوالمها.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۷۵

[باب الحرمة]

باب الحرمة قال الله تعالى: وَ مَنْ يُعَظِّمْ حُرُماٰتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ.

الحرمات هي الحقوق الواجبة المراعاة، و الاستشهاد في هذا الباب بهذه الآية العزيزة مناسب جدّا.

قال الشيخ رضي الله عنه: الحرمة هي التحرّج عن المخالفات و المجاسرات، التحرّج التضييق على النّفس و منعها من المخالفات.

قوله: و المجاسرات، أي: و منع النّفس عن التجاسر على محارم الله تعالى.

[درجات الحرمة]

و هي على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى: تعظيم الأمر و النهي لا خوفا من العقوبة]

الدّرجة الأولى:

تعظيم الأمر و النهي لا خوفا من العقوبة، فيكون خصومة للنّفس، و لا طلبا للمثوبة، فيكون مسترقّا للأجرة، و لا مشاهدا لأحد، متديّنا بالمراياة، فإنّ هذه الأوصاف كلّها شعب في عبادة النّفس.

تعظيم الأمر هو امتثاله، و تعظيم النهي هو اجتناب ما نهي عنه، لكن بشرط، و الشّرط هو الذي عدّد الشيخ أحكامه، فأوّل الأحكام ألاّ يكون

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۷۶

تعظيم الأمر و النهي خوفا من العقوبة، فإنّ الخائف من العقوبة لا يزال يخاصم نفسه و يعاتبها، فيقول: يا نفس إيّاك المخالفة فإنّها ترمي في العذاب و النّكال و السلاسل و الأغلال، فإذا غلبته أقبل عليها باللّوم، و سبّها و أبغضها، فلا يزال الخصام بينهما ما دام تعظيمه للأمر و النهي، إنّما هو خوف العقوبة، و لا يخلّصها من ذلك إلاّ أن يكون تعظيمه للأمر و النهي لأجل أنّ الله تعالى عظيم يجب على عباده أن يعظّموا أوامره فتكون خصومة النّفس.

قوله: و لا طلبا للمثوبة، فيكون مسترقا للأجرة، يعني أنّ من كان تعظيمه للأمر و النهي إنّما هو لطلب المثوبة، فهو أجير يطلب الأجرة، و الأجير مثل المسترقّ أي العبد، و من يكون عبدا للأجرة فما هو عبد لله تعالى، بل هو خارج عن طريق الله تعالى، أعني الطريق الخاصّ، و المخلص من هذا أن يجعل تعظيمه للأمر و النهي إنّما هو لأجل أنّ الذي أمر و نهى مالك العبيد، يجب عليهم أن يعبدوه بلا أجرة، فإنّ العبيد لا يطلبون الأجرة،/ و الأجير إذا طلب (أخذ) أجرته انصرف، و العبد مقيم في باب سيّده دائما، و هذا هو مطلوب القوم.

قوله: و لا مشاهدا لأحد، أي و لا يعظّم الأمر و النهي، و هو يريد أن يشكره أحد أو يعتقد فيه، فإنّ هذا هو فعل الذين يتديّنون بالرّياء، أي الذين يكون دينهم رياء النّاس.

قوله: فإنّ هذه الأوصاف كلّها شعب من عبادة النّفس، معناه أنّ الخائف مشتغل بحفظ نفسه من العذاب، فهو عبد نفسه، إذ هو متوجّه إليها، فهذه شعبة، و إنّ طالب المثوبة متوجّه أيضا إلى نفسه، فهو

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۷۷

عبدها، لأنّه دائما في تحصيل مصلحتها، فهذه أيضا شعبة أخرى من عبادة النّفس، و أنّ المشاهد للنّاس في عبادته بتعظيم الأمر و النهي هو أيضا عبد نفسه من جهة أنّه متوجّه لطلب تعظيمها عند النّاس، فهذه أيضا شعبة ثالثة من شعب عبادة النّفس، و الشّعب هي الفروع، و الأصل الذي هذه هي فروعه هو النّفس، فمتى ماتت النّفس بالمجاهدة و الأغراض بالاشتغال باللّه تعالى ماتت هذه الفروع و غيرها، فلا جرم أنّ هذه الطّائفة أوّل ما تقدّم بذل النّفس، فحينئذ يصفو سلوكها.

[الدّرجة الثانية: إجراء الخبر على ظاهره]

الدّرجة الثانية:

إجراء الخبر على ظاهره، و هو أن تبقى أعلام توحيد العامّة الخبريّة على ظواهرها، و لا يتحمّل البحث عنها تعسّفا، و لا يتكلّف لها تأويلا، و لا يتجاوز ظواهرها تمثيلا، و لا يدّعي عليها إدراكا أو توهّما.

إجراء الخبر على ظاهره، هو أن يعتقد مفهومه العامّي الذي يتبادر إلى الفهم على وفق ما يعتقده العامّة، و هو معنى قوله: أن يبقى أعلام توحيد العامّة الخبريّة على ظواهرها.

قوله: و لا يتحمّل البحث عنها، أي و لا يلتزم البحث عنها.

قوله: تعسّفا، أي يتكلّف لها التأويل ليخرجها عن ظواهرها، و التعسّف و العسف هو المشي على غير الطّريق.

قوله: و لا يتكلّف لها تأويلا، التأويل هو ردّ اللّفظ عن معناه الظّاهر، إلى معناه الباطن، فكأنّ اللّفظ آل أي رجع إلى المعنى المقصود في الحقيقة، و مراد الشيخ/ هنا أن يمنع التأويل، و يبقى مع ظواهر ما يدلّ عليه الخبر، و يعني بالخبر الكتاب العزيز و الحديث النبويّ.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۷۸

قوله: و لا يتجاوز ظواهرها معلوم، أي ظواهر الآيات و الأخبار.

قوله: تمثيلا، أي لا يضرب الأمثال في بيانها و شرحها، بل يؤمن بها على ما أراد الله تعالى و رسوله فيها، و هو معنى الآية التي أخبر الله تعالى فيها عن الذين في قلوبهم مرض، قال تعالى: **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ، وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله.**

قوله: فلا يدّعي عليها إدراكا، أي لا يدّعي إدراكا غير إدراك العامّة فيها، يعني في الآيات و الأخبار النبويّة، و يعني بالإدراك هنا إدراك حقيقتها على ما هي عليه.

قوله: أو توهّما، أي و لا يعدل عن ظواهرها إلى التوهّم، و بالجملة فالمقصود أن لا يعدل عن الظّاهر لا إلى تحقيق و لا إلى و هم، بل يسلّم

ذلك لله تعالى و لرسوله إيمانا و تصديقا، و بهذا القدر تتمّ الحرمة المختصّة بالدّرجة الثانية.

[الدّرجة الثالثة: صيانة الانبساط أن تشوبه جرأة]

الدّرجة الثالثة:

صيانة الانبساط أن تشوبه جرأة، و صيانة السّرور أن يداخله أمن، و صيانة الشّهود أن يعارضه سبب.

الدّرجة الثالثة مختصّة بأهل المشاهدة، و الغالب على أهل المشاهدة الانبساط، لكنّ بعضهم يحفظ الحقّ تعالى عليه صورة الأدب، لا تشوبه جرأة، أي لا تمازجه جسارة على الحقّ تعالى، فيبوح ببعض أسرار الحضرة، لكن يباح له الانبساط الذي لا يخرج عن حدّ الأدب، و لا

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۷۹

يوصل إلى الشّطح، و مثال ذلك الجنيد و الحلاّج، أمّا الجنيد فقد انحفظ عليه الأدب، و أمّا أبو الحسين الحلاّج فشطح و غلب عليه سكر الحقيقة، و الله أعلم بحاله، و يروى أنّ أبا بكر الشبليّ قال:

شربت بالكأس التي شرب بها الحلاّج فصحوت و سكر الحلاّج، فبلغ أمرهما إلى الجنيد فقال: يقبل قبول الصّاحي على السكران، فرجّح أبا بكر الشبليّ على الحلاّج لأنّه حفظ عليه الأدب.

قوله:/ و صيانة السّرور أن يداخله أمن، أي أنّ أهل المشاهدة يحصل لهم سرور و فرح، فإن أمنوا المكر خرجوا بذلك عن حفظ الأدب، بل يجب عليهم أن يصونوا ذلك السّرور الذي حصل لهم عن مقارنته بالأمن من مكر الله عزّ و جلّ، فهذا معنى صيانة السّرور أن يداخله أمن.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۸۰

قوله: و صيانة الشّهود أن يعارضه سبب، يعني أنّ بعض أهل الشّهود يكون ضعيفا في حاله، فيتوهّم أنّ المشاهدة قد حصلت له بسبب العبادة الخالصة، و العبوديّة التامّة، فينسب حصول الشّهود إلى سبب، و ذلك نقص في الإدراك، لأنّ الشّهود لا يكون إلاّ موهبة من الحقّ تعالى، و هذا معنى قوله: و صيانة الشّهود أن يعارضه سبب، و قد يجوز أن يريد الشيخ بالسّبب المعارض للشّهود ورود شبهة على الشاهد يكدّر عليه معنى شهوده، لكنّ هذا بعيد، لأنّ الشّهود يحكم لنفسه بقهر جميع الشبه، فلا تبقى عند المشاهد شبهة إلاّ حصل له جوابها في باطنه، لكنّ بعضهم يقدر أن يفصح عنها بلسانه و هو الأكمل، و بعضهم يعجز عن ذلك و هم الأكثر، و إذا تحقّقت هذا علمت معنى الحرمة في الدّرجات الثلاث.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۸۱

[باب الإخلاص]

باب الإخلاص قال الله تعالى: أَلاٰ لِلّٰهِ الدِّينُ الْخٰالِصُ.

الإخلاص تصفية العمل من كلّ شوب. دلالة الآية على معنى الإخلاص ظاهرة، أي لا يكون لله تعالى من الدّين إلاّ الخالص، و أمّا غير الخالص فقد يقبله تفضّلا.

قوله: الإخلاص تصفية العمل من كلّ شوب، أي يخلص في العمل لله تعالى حتّى يصفو من شوب الرّياء و غيره، و الشوب هو المزج، أي لا يمازج عمله لله تعالى شيء من الرّياء، و لا من طلب التزيّن عند النّاس ليحصل الجاه و الحرمة.

[درجات الإخلاص]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى: إخراج رؤية العمل من العمل]

الدّرجة الأولى:

إخراج رؤية العمل من العمل، و الخلاص من طلب العوض على العمل، و النزول عن الرّضا بالعمل.

إخراج رؤية العمل من العمل، هو أن لا يفتخر بعمله، و لا يعتقد أنّه يستحقّ به ثوابا، لكونه يرى أنّ العمل هو من مواهب الحقّ تعالى،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۸۲

/ فكيف يستحقّ عليه الاجرة، و لكونه يرى نفسه عبدا لله تعالى، و العبد لا يستحقّ الأجرة. و إنّما يستحقّ الأجرة الأجير، فهذا و شبهه هو إخراج رؤية العمل من العمل، أي أخرج من العمل الاعتداد بالعمل، فهو لا يرى أنّ له عملا صالحا يرضى، أو حالة حسنة يجازى عليها بالإحسان، بل يرى أنّ جميع ما يحصل له من الإحسان إنّما هو من عين الموهبة و الامتنان.

قوله: و الخلاص من طلب العوض على العمل، هذا هو من ذلك المعنى، و يعني بالخلاص ألّا ينتظر من الحقّ تعالى جزاء على العمل الصّالح، لا في الدّنيا و لا في الآخرة.

قوله: و النزول عن الرّضا بالعمل، أي لا يرى أنّ المطلوب منه إنّما هو العمل لا غير، فيرضى بأنّه قد قام بما يجب عليه، بل يعلم أنّ المراد منه ليس إلاّ معرفة الله تعالى، و الفناء في التّوحيد. و قد فسّر بعض أئمّة التّفسير قوله: **وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**، فقال: معناه ليعرفون، و يعزى هذا التّفسير إلى ابن عبّاس رضي الله عنه، و هو ترجمان القرآن.

[الدّرجة الثانية: الخجل من العمل مع بذل المجهود و توفير الجهد بالاحتماء من الشّهود]

الدّرجة الثانية:

الخجل من العمل مع بذل المجهود و توفير الجهد بالاحتماء من الشّهود، و رؤية العمل في نور التّوفيق من عين الجود.

الخجل من العمل بالاحتماء من الشّهود، أي يرى العمل من المشهود لا منك، فتخجل حين تنسبه إليك مع اجتهادك، و بذلك للجهد.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۸۳

قوله: و رؤية العمل من نور التّوفيق من عين الجود، أي يرى بنور التّوفيق أنّ العمل من جود الله تعالى على العبد، لا من كسبه.

[الدّرجة الثالثة: إخلاص العمل بالخلاص من العمل]

الدّرجة الثالثة:

إخلاص العمل بالخلاص من العمل، تدعه يسير مسير العلم، و تسير أنت مشاهدا للحكم، حرّا من رقّ الرّسم.

إخلاص العمل بالخلاص من العمل، قد فسّره الشيخ بقوله: تدعه يسير مسير العلم، و معناه: أن يكون عملك على وفق العلم الظّاهر، حتّى كأنّك تعمل لطلب الثّواب أو خوفا من العقاب، هكذا يكون ظاهرك، و أمّا باطنك فيكون عالما بموقع الحكم، مشاهدا له. و الحكم هو القضاء، و هو مراد الحقّ تعالى فيك كائنا من كان، إذ خاتمتك عنك مغيّبة، فتسير بقلبك إلى الحق/ و مع الحقّ، بلا سبب منك، و لا نسب، و قد قال بعضهم في هذا المعنى شعرا:

لمّا رأيتك لا تحصّل باحتيال أو بكسب ... ألقيت روحي في النياح و قلت: أنّى شئت سر بي

قوله: حرّا من رقّ الرّسم، الحريّة عدم الدخول تحت عبوديّة الخلق، و أمّا العبوديّة للحقّ تعالى فهي الحريّة هنا، و الرّق هو الملك، و الرّسم هو الأثر، و الرّسوم في المنازل و الدّيار هي الآثار التي بقيت بعد ذهاب سكّانها، و المراد بالرّسم هنا كلّ ما سوى الله تعالى، فإنّ المخلوقات بأسرها هي آثار القدرة، فيجب أن تكون أنت بقلبك مع القادر الحقّ تعالى، لا مع آثار قدرته، حتى لا تلتفت إلى موعود من الثّواب، و لا إلى وعيد من العقاب اشتغالاً بعبوديّتك للحقّ تعالى التي ليست واقفة عند رجاء و لا خوف، بل إمّا محبّة له، و إمّا لعلمك

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۸۴

استحقاقه الملك له، و وجوب العبوديّة له عليك، لأنّه يستحقّها لا لأجل خوف، و لا لأجل رجاء، فمن كان بهذه المثابة فهو عند الشيخ رضي الله عنه حرّ من رقّ الرّسوم، فهذا معنى الدّرجة الثالثة من مقام الإخلاص على ما يراه الشيخ رحمه الله.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۸۵

[باب التّهذيب]

باب التّهذيب قال اللّه تعالى: فَلَمَّا أَفَلَ قٰالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ أراد رضي اللّه عنه بالاستشهاد بهذه الآية أن يبيّن أنّ التّهذيب هو معنى اكتساب الأدب و العلم، كما فعل إبراهيم عليه السّلام في كونه حصّل العلم باللّه تعالى من رؤية الكوكب ثمّ القمر ثمّ الشّمس، و كونه تدرّج حتّى وصل في التّهذيب إلى الهدى و هو معنى قوله: **يٰا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمّٰا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**، الآية بكمالها تشهد بمعنى التّهذيب.

التّهذيب محنة أرباب البدايات، و هو شريعة من شرائع الرّياضة.

المحنة و الامتحان واحد، و معناه هنا الاختبار و التّطهير كامتحان الذّهب بالسّبك، أي تطهيره بالسّبك ليزول عنه الدّنس، و تختبر بعد ذلك حاله ليتبيّن لك/ جوهره.

قوله: أرباب البدايات، أي أصحاب البدايات.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۸۶

قوله: و هي شريعة من شرائع الرّياضة، أي طريقة من طرائق الرّياضة، و منه سمّيت الشريعة المحمّديّة، أي الطّريقة المحمّديّة، يعني الدّين، قال اللّه تعالى: **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مٰا وَصّٰى بِهِ نُوحاً**، و الرّياضة معلومة، و هي تمرين النّفس حتّى تعتاد الخير و تنقاد سريعا إليه، و منه رياضة المهر، أي تعويده بالرّكوب و العدّة حتّى ينقاد إلى المقصود منه.

[درجات التهذيب]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى: تهذيب الخدمة أن لا يخالجها جهالة و لا يشوبها عادة]

الدّرجة الأولى:

تهذيب الخدمة أن لا يخالجها جهالة و لا يشوبها عادة، و لا يقف عندها همّة.

أن لا يخالجها جهالة، أي لا يجاذبه عن الخدمة جهالة، و لا يشغله عنها، و المقصود هنا هو أن لا تصحبه في الخدمة جهالة، فإنّ الخادم إذا لم يكن عالما بأدب الخدمة، بل كان جاهلا بها، أوردها غير موردها، و فعلها في غير مستحقّها و فعل أفعالا يعتقد أنّها إصلاح لمخدومه، و هي فساد، فالخدمة ما لم تكن من عالم بها بعّدت صاحبها و إن كان لم يرد بها إلاّ التقرّب.

قوله: و لا يشوبها عادة، أي لا يمازجها حكم من أحكام عوائد النّفس، فإنّ العادة على قسمين: عادة خير، و عادة شرّ، فعادة الشرّ ينهى عنها، و أمّا عادة الخير فقد ورد في الخبر النّبويّ: «الخير عادة».

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۱۸۷

قوله: و لا تقف عندها همّة، أي لا تقف لصاحب الخدمة همّة عند الخدمة، بل لا يرضى إلاّ بما هو فوق الخدمة، فإنّ القناعة من اللّه تعالى حرمان، فيجب عليه أن يخدم، و هو طالب ما فوق ذلك من الخلاص إلى اللّه تعالى من السوي.

[الدّرجة الثانية: تهذيب الحال]

الدّرجة الثانية:

تهذيب الحال، و هو أن لا يجنح الحال إلى علم، و لا يخضع لرسم، و لا يلتفت إلى حظّ.

قوله: أن لا يجنح الحال إلى علم، أي لا يميل الحال إلى أحكام العلم فإنّ أحكام العلم تتعلّق بالعمل، و أحكام الحال تتعلّق بالمعرفة، فمتى

عارض الحال حكم من أحكام العلم، فذلك حال إمّا ناقص، أو ليس حالا صحيحا، و أيضا فإنّ صاحب الحال ترد عليه أمور ليست في طور العلم، فإن جنح،/ أي مال إلى أن يقيم عليها ميزان العلم و معياره، فهو جهل منه، و ضعف من الحال الحاصل له، فإنّ الحال الصّحيح لا يعارضه ما تحته، فإنّ الحال هو روح العمل، كما أنّ المعرفة روح العلم، فمتى حصلت له أحوال المعرفة ثمّ جنح إلى أحكام العلم، فقد رجع القهقرى، و تأخّر إلى وراء.

قوله: و لا يخضع لرسم، أي لا يستولي على قلبه رسم من رسوم العلم، فإنّه أثر، و صاحب الحال إنّما يطلب العين لا الأثر، و أهل العلم يسمّون علماء الرّسوم.

قوله: و لا يلتفت إلى حظٍّ، إذا حصل له الحال التامّ لا يشتغل بالفرح به، فإنّ ذلك حظّ من حظوظ البشريّة، و بقيّة من بقايا الغيريّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۸۸

[الدّرجة الثّالثة تهذيب القصد]

الدّرجة الثّالثة:

تهذيب القصد هو تصفيته من ذلّ الإكراه، و تحفّظه من مرض الفتور، و نصرته على منازعات العلم.

تصفية القصد هو إخراج الكدر من القصد، و تطهيره من الدّنس، و المراد بالقصد هنا النيّة، و تطهير القصد من ذلّ الإكراه، هو أن تكون نيّة السّائر إلى الله تعالى في الخدمة إنّها طوعا منه لا كرها، فإنّ عبادة المحبّين طوع، و عبادة المنافقين كره، و بقدر ما بقي من الكراهيّة للعبادة في القلب يبقى فيه من النّفاق، فتطهير النيّة و القصد من الإكراه في العبوديّة هو تهذيب للنيّة التي هي القصد.

قوله: و يحفظه من مرض الفتور، أي التّهذيب أيضا هو التحفّظ من الفتور، و استعار له المرض تشبيها، كأنّه شبّه النّشاط في العزم بالصحّة، و شبّه الفتور بالمرض، و التحفّظ بمنزلة الحمية للمرض.

قوله: و نصرته على منازعات العلم، أي و نصرة القصد على منازعات العلم، و المنازعات هنا هي المجاذبات و المدافعات، كالخصمين إذا تنازعا، و معنى هذا التنازع، أنّ العلم يطلب منك أن تعمل للرّغبة و الرّهبة على مقتضى الوعد و الوعيد. و تهذيب القصد إنّما يطلب منك الخروج عن رؤية العمل،/ و الخروج عن الأجر و الأجرة، و عن الخوف و الرّجاء، فإنّهما من عالم العلل، و محلّ أحكام النّفس، فإنّ الرّجاء فيه طلب لحظّ النّفس، و الخوف فيه احتراز على النّفس، و ملاحظة أحوال النّفس نقص بالنسبة إلى مقام التّهذيب، فصاحب تهذيب القصد يدافع العلم، و يجنح إلى عبوديّة الحكم، و رغب في أن تكون محبّته لله تعالى بلا علّة، فإنّ من أحبّك لشيء ملك عند انقضائه، فأهل مقام التّهذيب يخافون

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۸۹

أن تكون محبّتهم لغرض من الأغراض، فتنقضي محبّتهم عند انقضاء ذلك الغرض، و إنّما يريدون أنّ محبّتهم لا تنقضي أبدا، فبهذا المعنى تكون منازعة العلم.

و معنى النّصرة، أي ينصر خاطر العبوديّة على خاطر طلب الأجر و الأجرة، حتّى يتهذّب القصد، أي ينصلح.

و اعلم أنّ التّهذيب لا يطالب بترك العمل بالعلم، و لكن يطالب بتصحيح القصد.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۹۱

[باب الاستقامة]

باب الاستقامة قال الله تعالى: فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ. إشارة إلى عين التّفريد.

الشيخ رضي الله عنه شرح معنى قوله تعالى: فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ، شرح أرباب الإشارات من هذه الطّائفة، لا شرح أئمّة التّفسير الظّاهر.

قوله: إشارة إلى عين التّفريد، أي أمرهم تعالى أن يستقيموا في السّلوك إلى شهود تفريده، و هو أن لا يروا غير فردانيّته تعالى، و هو عين الجمع المطلوب، و سيذكر معناه في باب التّوحيد إن شاء الله تعالى.

و أمّا إشارته إلى عين التّفريد، و لم يقل إلى التّفريد، فهو إشارة إلى أحديّة الجمع، لا إلى علوم الجمع، فإنّ علوم الجمع فيها بعض تفرقة، و أمّا عين الجمع فما فيه شيء من التّفرقة.

الاستقامة روح تحيا بها الأحوال، كما تربو للعامّة عليها الأعمال.

يقول: إنّ الاستقامة تشبه الرّوح، في للمتوسّطين تحيي الأحوال، و أهل البداية الذين هم العامّة تحيي الأعمال، و معنى حياة الأحوال هي

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۹۲

قربها، و معنى قوله: تربو أي تزيد و تكثر، و لو قال موضع تربو: تزكو، لكان جيّدا، و كلاهما بمعنى واحد.

و هي برزخ بين وهاد التفرّق و روابي الجمع.

البرزخ هو الحدّ الذي يكون فاصلا بين شيئين، قال الله تعالى:

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيٰانِ، بَيْنَهُمٰا بَرْزَخٌ لا/ يَبْغِيٰانِ، أي حدّ.

قوله: وهاد التفرّق، هي جمع وهدة، و هو المكان المنخفض، بضدّ الرّوابي، فإنّ الرّوابي هي الأماكن المرتفعة، و الشيخ رضي الله عنه أحسن و أبدع في استعارة الوهاد للتفرّق، فإنّ التفرّق لا يكون إلاّ من الحجاب، و الوهاد هي تحجب من يكون فيها، أي تستر عنه الأشياء المبصرة، فإنّها بمنزلة الحفر التي إذا نزل الإنسان فيها استتر عنه ما فوقها، و يعني بالتفرّق رؤية الأغيار المناقض لشهود الفردانيّة، و كذلك أحسن و أبدع في استعارة الرّوابي، لأنّها تكشف للعين القرب و البعد، و كذلك شهود الجمع يكشف الحقائق التي كانت عنه محجوبة، و تلك الحقائق هي حقائق حضرة الفردانيّة.

[درجات الاستقامة]

و هي ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد]

الدّرجة الأولى:

الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد، لا عاديا رسم العلم، و لا متجاوزا حدّ الإخلاص، و لا مخالفا نهج السنّة: هذه الدّرجة الأولى استقامة العوامّ، و هم أهل البداية، و المطلوب منهم هو ما يناسب مقامهم و هو الاجتهاد في الاقتصاد، و الاقتصاد هو

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۹۳

التوسّط في الأمر من غير إفراط و لا تفريط، قال الله تعالى: **وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَ مِنْهُمْ سٰابِقٌ**.

قوله: لا عاديا رسم العلم، أي لا يتعدّى رسم العلم، و رسم العلم هو حكمه، أي لا يتجاوز في عبادته الأحكام الشرعيّة على مقتضى العلم الظّاهر، فإنّه هو فرضه الذي هو به مطلوب، و لا يزال كذلك حتّى يهديه نور الحقّ تعالى بمدد العناية، فيتقدّم عن هذا المقام، و يخاطب بغير هذا المقال، فإنّ لكلّ مقام مقالا، و لكلّ مجال رجالا، و مع هذا، فإنّ الخطاب كلّه في سائر المقامات لا يخرج عن السنّة، و لكن يتعيّن للسّائرين سنّة دون سنّة، و عزيمة دون عزيمة، على حسب مقاماتهم، و كلّ ذلك داخل في السنّة الإلهيّة.

قوله: و لا متجاوزا حدّ الإخلاص إلى الرّياء، أو طلب أغراض الدّنيا، فإنّ ذلك يخرجه عن الاستقامة.

قوله: و لا مخالفا نهج السنّة، نهج السنّة هو مقتضى العلم، و نهج السنّة هو طريق السنّة، فإنّ النهج هو الطّريق الواضح، و بهذا المجموع تحصل/ استقامة الأعمال.

[الدّرجة الثّانية استقامة الأحوال]

الدّرجة الثّانية:

استقامة الأحوال، و هي شهود الحقيقة لا كسبا، و رفض الدّعوى لا علما، و البقاء مع نور اليقظة لا تحفّظا.

الكسب هو التسبّب، و شهود الحقيقة لا كسبا، أي يتحقّق عند مشاهدة الحقيقة أنّ شهودها لم تكن بالكسب، و ذلك لأنّ الكسب

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١٩٤

من أعمال النّفس، و الحقيقة لا تبدو مع بقاء النّفس، لأنّ النّفس ظلمة، و الحقيقة نور، و النّور ينفي الظلمة، و النّفس غيريّة، و الحقيقة فردانيّة، و الفردانيّة تنفي الأغيار.

و اعلم أنّ قوله: شهود الحقيقة لا كسبا، قد يوهم أنّ الحقيقة قد تشهد بالكسب، و لذلك قال: لا كسبا، و ليس الأمر كذلك، بل ما قصد رضي الله عنه إلاّ أنّ الحقيقة لا تشهد كسبا، كأنّه قال: و شهود الحقيقة غير مكتسبة، على أن يجعل شهد بمعنى رأي المتعدّية إلى مفعولين.

قوله: و رفض الدّعوى لا علما، الرّفض هو التّرك، و الدّعوى هو نسبة الشيء إلى نفسه بلا بيّنة، كمن يدّعي عند الحاكم فيطالب بالبيّنة.

قال الشيخ رضي الله عنه: فالاستقامة أن يترك الدّعوى، سواء كانت حقّا أم باطلا.

قوله: لا علما، أي لا يكون العلم هو الذي يحمله على ترك الدّعوى، فإنّ تارك الدّعوى لكون العلم قد نهى عنها، هو ممّن يتركها ظاهرا و يعتقدها باطنا، أو يتركها لفظا و لسان حاله ينطق بها معنى، لأنّه يرى أنّه قد قام بالأمر، و استقام في حاله، و أنّه إن ترك ذكر ذلك، فإنّما يترك تواضعا لأهل المشاهدة، فتنسلب أوصافهم، و تنتسب في الحقيقة إلى موجدها، و ذواتهم محو، و الصّفات قائمة بموصوفها من غير واسطة غيريّة، فكيف يدّعي من هذا مقامه شيئا ينسبه إلى نفسه، بل أيّ نفس لهذا فضلا عن أن ينسب إليها شيئا، فصاحب هذا المقام يرفض الدّعوى لا علما بل لقاء و شهودا و حالا و حقيقة، و معنى رفضه للدّعوى،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١٩٥

مشاهدته أن ليس له من الأمر شيء، كما قال تعالى في حقّ رسوله صلى الله عليه و سلم:

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.

قوله: و البقاء مع نور اليقظة لا تحفّظا، أي أن تدوم في اليقظة، و يكون/ دوامك لكونك مجذوبا إلى الحقّ سبحانه، لا تغلب عليك الغفلة، حفظا من الله تعالى لك، لا لأجل تحفّظك و احترازك، فيكون دوامك في اليقظة به لا بك، فهذا معنى قوله: لا تحفّظا، أي ليس سبب بقائك مع نور اليقظة هو تحفّظك، لكن إذا حصل لك البقاء في نور اليقظة من غير تحفّظ، فهو المطلوب.

و الشيخ رضي الله ته ذكر الاستقامة كيف تكون، و ما عين الاستقامة التي تحصل بسبب اجتهاد العبد إلاّ في درجة العوامّ، و هي الدّرجة الأولى، فإنّه ذكر ذلك، و أمّا في هذه الدّرجة فأشار بقوله: لا تحفّظا إلى أنّها غير مكتسبة.

[الدّرجة الثّالثة استقامة بترك رؤية الاستقامة]

الدّرجة الثّالثة:

استقامة بترك رؤية الاستقامة، و بالغيبة عن تطلّب الاستقامة بشهود إقامة الحقّ و تقويمه عزّ اسمه.

هذه الاستقامة معناها الذهول بالمشهود المقصود عن رؤية الاستقامة في طلبه، فإنّ الاستقامة يحتاج إليها ما دام السّالك في الطّريق، لأنّها استقامة السير، و من وصل إلى المنزل لم يحتج إلى السير و لا الاستقامة، هذا معنى ترك رؤية الاستقامة، و كذلك قال: بالغيبة عن تطلّب الاستقامة بشهود إقامة الحقّ، فقد عيّن سبب ترك رؤية الاستقامة أنّه الغيبة

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ١٩٦

بالشّهود، و لكن ما أراد الشّهود المطلق، بل أراد شهود إقامة الحقّ، و هو أن ترى أنّ الحقّ هو المقيم لك في هذه الاستقامة.

قوله: و تقويمه عن اسمه، أي يشهد أنّ الحقّ تعالى هو الذي أقامك في الاستقامة من مدد اسمه القيّوم، فإنّ الاسم القيّوم به قام كلّ شيء، فمن أشهده الحقّ تعالى ذلك فقد أقامه في الاستقامة عن اسمه القيّوم جلّ جلاله.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۹۷

[باب التّوكّل]

باب التّوكّل قال الله تعالى: وَ عَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

التّوكّل كلة الأمر كلّه إلى مالكه، و التّعويل على وكالته، و هو من أصعب منازل العامّة عليهم، و أوهى السبل عند الخاصّة، لأنّ الحقّ قد وكل الأمور كلّها إلى نفسه، و أيأس العالم من ملك شيء منها.

قوله: كلة الأمر إلى مالكه، أي تسليمه/إلى مالكه، فإنّ الكلة جعلها الشيخ بمعنى التوكّل، تقول: و كل كلة، كما تقول: وصل صلة. و استعمال و كل جائز، و كذلك الكلة، و بالجملة فالمقصود هو تسليم الأمر كلّه إلى مالكه الحقّ.

قوله: و التّعويل على وكالته، أي الاعتماد على وكالته، استغناء بفعله عن فعلك، و بإرادته عن إرادتك، و الوكالة معروفة.

قوله: فهو من أصعب منازل العامّة عليهم، يريد أنّ العامّة لحبّهم لنفوسهم، و عدم خروجهم عن عرض الدّنيا، فكيف عن نفوسهم يصعب

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۹۸

عليهم أن يوكّلوا الله تعالى في أمورهم، و يتركوا الأسباب، و يعتمدوا على المسبّب الحقّ.

قوله: و أوهى السبل عند الخاصّة، أي أضعف الطرق، فإنّ الواهي هو الضعيف، و السبل هي الطّرق، و قد شرح الشيخ رضي الله عنه سبب كونه أوهى السبل، و هو قوله: لأنّ الحقّ قد وكل الأمور إلى نفسه، و أيأس العالم من ملك شيء منها، و معنى هذا أنّه إذا كان الأمر كلّه لله، و ليس لك من الأمر شيء، فكيف توكّل المالك على ملكه، و أنت ليس لك فيه شيء، فالخاصّة لمّا تحقّقوا هذا الأمر، ترقّوا عن مقام التوكّل، و بقي الخطاب فيه للعامّة الّذين لم يعلموا حقيقة أنّ الأمر كلّه لله، و ذلك جائز، و هو أن يخاطبوا على قدر عقولهم، فقد قال عليه السّلام: «أمرت أن أخاطب النّاس على قدر عقولهم». و قوله تعالى:

وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ، فقد أثبت الاستخلاف فتقول: إنّ ذلك أيضا من جملة تنزّل الخطاب على أفهامهم، حيث رأوا أنّهم متصرّفون في أموالهم.

قوله: و أيأس العالم من ملك شيء منها، أي إنّ العالم بأسره لا يملكون شيئا منها، فالعالم بذلك قد يئس أن يملك شيئا منها، و أمّا الجاهل فيخاطب على قدر عقله، و من تنبّه على قوله تعالى لرسوله:

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، علم أنّه لا يجوز أن يكون لغيره أيضا من الأمر شيء، لأنّه لو جاز أن يكون لأحد شيء، لكان الرّسول عليه السّلام أولى بذلك، فحيث لم يكن للرّسول صلّى الله عليه و سلم لم يجز أن يكون لغيره من باب الأولى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۱۹۹

[درجات التوكل]

و هو على ثلاث درجات، كلّها تسير مسير العامّة.

أي كلّ هذه الثلاث درجات في أحوال العامّة، و ليس فيها شيء من مقامات الأحوال التنزّليّة/.

[الدّرجة الأولى التوكّل مع الطّلب]

الدّرجة الأولى:

التوكّل مع الطّلب، و معاطاة السّبب على نيّة شغل النّفس، و نفع الخلق، و ترك الدّعوى.

يقول: إنّ صاحب هذه الدّرجة يتوكّل على الله تعالى، و لا يترك الأسباب، بل يتعاطاها، و لكن على نيّة شغل النّفس بالسّبب، مخافة أن يتفرّغ فتطلب طرق الهوى خصوصا إذا كان التفرّغ مع الشّباب و الجدة، فإنّه مضرّ جدّا، و قد قيل في ذلك:

إنّ الفراغ و الشباب و الجدة مفسدة للمرء أيّ مفسده

و على نيّة نفع الخلق أيضا، أي يتسبّب بضاعته لينتفع النّاس به في مقاصدهم على حسب صنعته.

قوله: و ترك الدّعوى، أي يتسبّب مخافة أن يحسن النّاس فيه الظنّ إذا رأوا أنّه تجرّد، فيحصل عنده عجب، و تميل نفسه إلى الدّعوى، فأمّا إذا أمتهن نفسه بمعاطاة الأسباب سلم من هذه الأمراض، و حصل له المقصود من هذه الدّرجة.

[الدّرجة الثانية التوكّل مع إسقاط الطّلب]

الدّرجة الثانية:

التوكّل مع إسقاط الطّلب، و غضّ الطّرف عن السّبب اجتهادا لتصحيح التوكّل، و قمعا لشرف النّفس، و تفرّغا إلى حفظ الواجبات.

قوله: التوكّل مع إسقاط الطّلب، أي لا يطلب من أحد شيئا اعتمادا على الله تعالى الذي هو وكيله، و هو نعم الوكيل.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۰۰

قوله: و غضّ الطّرف عن السّبب، أي يعرض عن السّبب، و غضّ العين هو تغميضها.

قوله: اجتهادا في تصحيح التوكّل، أي يترك السّبب و يعرض عنه لتصحيح التوكّل بامتحان النّفس، فإنّ المتعاطي للسّبب قد يظنّ أنّه قد حصّل التوكّل، و لم يحصّله، لأنّه لو فارق السّبب ربّما لم يثبت على التوكّل، خصوصا إن أفرط به الجوع، أو فقد الأنس بالأصحاب الذين كان يتعاطى معهم تلك الأسباب، فأمّا إذا فارق السّبب و ثبّت نفسه و وطّنها و داوم على ذلك، فإنّه يحصل له تصحيح التوكّل، فهذا معنى ترك الأسباب لتصحيح التوكّل.

قوله: و قمعا لشرف النّفس، أي المتسبّب قد يكون متسبّبا بالولايات الشريفة عادة، و التجارات المعدودة في العادة سعادة، فقد تشرّف نفس أربابها فيكون تركها قمعا لذلك، بخلاف المهن غالبا يكون صاحبها مطرحا بين النّاس كأرباب الصنائع الرذيلة و غيرهم/ فيترك الأوّل السّبب ليطرح و يهمل فيقمع بذلك النّفس، أي يكسرها، و القمع هو الرّدع.

قوله: و تفرّغا إلى حفظ الواجبات، ظاهر المعنى، أي يتفرّغ للعبادة.

[الدّرجة الثالثة: التوكّل مع معرفة التوكّل النازعة إلى الخلاص من علّة التوكّل]

الدّرجة الثالثة:

التوكّل مع معرفة التوكّل النازعة إلى الخلاص من علّة التوكّل، و هو أن يعلم أنّ ملكة الحقّ للأشياء هي ملكة عزّة لا يشاركه فيها مشارك، فيكل شركته إليه، فإنّ من ضرورة العبوديّة أن يعلم العبد أنّ الحقّ هو مالك للأشياء وحده.

التوكّل مع معرفة التوكّل، يعني أنّ من تعدّى الدّرجتين الأولیين، و وصل إلى هذه الدّرجة الثالثة، فحالته مخالفة لحال من تقدّم ذكره، و ذلك أنّه متى قطع الأسباب و الطّلب، فحاله كحال المتوكّل، و يسمّى

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۰۱

متوكّلا أيضا بطريق المجاز، لكن توكّله مع معرفة أنّ التوكّل دون مقامه، و أنّه لا يجوز له التوكّل بالتّفسير الذي ذكر في الدّرجتين الأولیين، فإنّ ذلك التوكّل فيه علّة، و هو سالم من تلك العلّة، و تلك العلّة هي أن يرى المتوكّل أنّ له شيئا، و أنّه و كلّ الحقّ تعالى فيه، و أنّ الحقّ تعالى صار وكيله عليه، و هذا مخالف لحقيقة الأمر، إذ ليس لأحد من الخلق مع الله تعالى شيء، فإذا صاحب الدّرجة الثالثة لمعرفته بالحقيقة، و إنّه

ليس له من الأمر شيء هو خالص من تلك العلّة المذكورة، فتوكّله يكون مع معرفة التوكّل، و أين يصحّ، و ما حقيقته؟

فهو فيه مخلّص من علّته، و هذا هو معنى قوله: النّازعة إلى الخلاص من علّة التوكّل.

قوله: و هو أن يعلم أنّ ملكة الحقّ تعالى الأشياء هي ملكة عزّة، العزّة هي الامتناع، يعني أنّ الحقّ تعالى منع أن يشارك في ملكه، فهو العزيز في ملكه تبارك و تعالى.

قوله: لا يشاركه فيها مشارك فيكل شركته إليه، أي لا يشاركه في العزّة و لا في الأشياء مشارك، فلسان الحال يقول لمن يجعل الحقّ تعالى وكيله: في ما ذا وكّلت ربّك تبارك و تعالى؟ إن وكلت الأمر فيما هو له، فالأمر هو له قبل أن تكل الأمر إليه، و إن وكلت إليه ما هو لك، فليس لك من الأمر شيء، و هو معنى قول الشّيخ: لا يشاركه فيها مشارك فيكل شركته إليه.

/ قوله: فإنّ ضرورة العبوديّة أن يعلم العبد أنّ الحقّ هو مالك الأشياء وحده، أي حقيقة العبوديّة التي هي عبوديّة صحيحة بالضرورة أن يشهد العبد أنّ الحقّ لا غيره هو مالك الأشياء، و إن لم يشهد ذلك، فهو من أهل الحجاب، و نصيبه أن يعمل بمقام التوكّل على مقتضى وصف العامّة، فإنّ له فيه سعادة كبيرة، و قد تقدّم شرح ذلك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۰۳

[باب التّفويض]

باب التّفويض قال الله تعالى حاكيا عن مؤمن آل فرعون: وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ. التّفويض ألطف إشارة، و أوسع معنى من التوكّل، فإنّ التوكّل بعد وقوع السّبب، و التّفويض قبل وقوعه و بعده، و هو عين الاستسلام، و التوكّل شعبة منه.

التّفويض ردّ الأمر إلى صاحبه الحقّ تعالى.

قوله: التّفويض ألطف إشارة، يعني أنّ المفوّض يتبرأ من الحول و القوّة، و يفوّض الأمر إلى صاحبه من غير أن يقيمه مقام نفسه في مصالحه، بخلاف التوكّل، فإنّ الوكالة تقتضي أن يقوم الوكيل مقام الموكّل، و في هذا المعنى جسارة على البارئ جلّ و عزّ، و لو لا أنّه أباح ذلك و ندب إليه، لما جاز للعبيد أن يتعاطوه، و أمّا التّفويض فهو خروج من الحول و القوّة، و تسليم القوّة لله تعالى جميعا.

قوله: و أوسع معنى، يعني أنّ التّفويض كما شرح هو يكون قبل وقوع السّبب و بعده، و يعني بالسّبب الاكتساب سواء كان اكتسابا للدّنيا أم

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۰۴

اكتسابا للآخرة، فلمّا كان التّفويض قبل السّبب و بعده، و التوكّل لا يكون إلاّ بعد السّبب قال: إنّ التّفويض أوسع معنى، لأنّ له القبليّة و البعديّة و التوكّل ليس له إلاّ البعديّة لا غير.

قوله: و هو عين الاستسلام، أي و التّفويض عين الاستسلام، يعني أنّ التّفويض هو عين الانقياد بالكليّة إلى الحقّ تعالى، و لا يبالي أ كان ممّن يقدّر له الخير، أم خلافه، فإنّه لا يعترض على الحقّ تعالى، و المتوكّل يعتبر أنّ الوكالة لا تكون إلاّ في مصالحه، فالتوكّل شعبة من التّفويض، أي قسم من أقسام التّفويض،

[درجات التفويض]

و هو على ثلاث درجات.

[الدّرجة الأولى: أن تعلم أنّ العبد لا يملك قبل عمله استطاعة]

الدّرجة الأولى:

أن تعلم أنّ العبد لا يملك قبل عمله استطاعة، و لا يأمن من مكر، و لا ييأس من معونة، و لا يعوّل على نيّة.

قوله: لا يملك قبل عمله استطاعة، أي صاحب مقام التّفويض يتحقّق أنّ القوّة لله جميعا، فيعترف قبل العمل أنّه لا يستطيع العمل إلاّ إن حركه

الله تعالی، فکیف یأمن من المکر، و ذلك أنّ من لا یتحرّك إلاّ بالغیر، فقد یحرّکه الغیر، أي لا یحرّکه الحقّ تعالی للعمل الصّالح، و هو معنی المکر.

قوله: و لا ییأس من معونة، یعني إنّه إذا کان المحرّك هو الحقّ جلّ جلاله، و هو جواد قادر، فمن أین یأتي الإیاس من رحمة الرّحمن الجواد تعالی؟

قوله: و لا یعوّل علی نیّة، یعني لا یعوّل علی نیّته في العمل، مثل أن یقول: سوف أدوم علی الطّاعات، فإنّ القدرة لیست له، و إنّما هي

شرح منازل السائرین إلی الحق المبین، جلد ۱، ص ۲۰۵

للقادر الحقّ تعالی، إن أراد حرّکه، و إن أراد مکر به، فینبغي أن یکون تعویله علی الله تعالی.

[الدّرجة الثانیة: معاینة الاضطرار]

الدّرجة الثانیة:

معاینة الاضطرار، فلا یری عملا منجیا، و لا ذنبا مهلکا، و لا سببا حاملا.

معاینة الاضطرار، أي معاینة الفقر و الفاقة إلی الله تعالی مع العمل و مع عدمه، أي لا یری فاعلا إلاّ الله تعالی، فالنجاة برحمته لا بالعمل، و الهلاك بنقمته لا بالذّنب. و الحامل علی العمل هو الحقّ تعالی لا السّبب، أي یکون مع المسبّب لا مع السّبب.

[الدّرجة الثالثة شهود انفراد الحقّ بملك الحرکة و السّکون و القبض و البسط]

الدّرجة الثالثة:

شهود انفراد الحقّ بملك الحرکة و السّکون و القبض و البسط، و معرفته بتصریف التّفرقة و الجمع.

هذه الدّرجة تتعلّق بالمشاهدة، و الّتي قبلها تتعلّق بالیقین القریب من المشاهدة.

قوله: انفراد الحقّ بملك الحرکة و السّکون، أي یشهد الحرکة و السّکون صادرة عن الحقّ تعالی في ظهورات الموجودات بلا واسطة، و یشهد الحرکة من اسمه الباسط، و یشهد السکون من اسمه القابض، و یکون القبض و البسط منه تعالی وحده.

قوله: و معرفته بتصریف التّفرقة و الجمع،/ أي یکون المشاهد عارفا بمواقع التّفرقة و الجمع، و بالمراد بالتّفرقة نظر الأغیار و الغیریّة، و نسبة الأفعال إلی الخلق، و المراد بالجمع شهود الأفعال منسوبة إلی موجدها الحقّ تعالی، و قد عرفت أنّ اصطلاح الشیخ رضي الله عنه في معنی الجمع أنّه یرید به حضرة الفردانیّة الّتي لیس معها غیرها.

شرح منازل السائرین إلی الحق المبین، جلد ۱، ص ۲۰۷

[باب الثّقة]

باب الثّقة قال الله تعالی: فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ.

الثّقة سواد عین التوکّل، و نقطة دائرة التّفویض، و سویداء قلب التّسلیم.

استشهاده بالآیة حسن جدّا مناسب، و ذلك أنّ أمّ موسی إنّما ألقته في الیمّ لحسن ثقتها باللّه تعالی، و لو لا قوّة الثّقة لما ألقت الوالدة ولدها في الیمّ، و الیمّ هو تیّار البحر، بحر النّیل.

قوله: الثّقة سواد عین التوکّل، أي خلاصة التوکّل و لبّ التوکّل، و کما أنّ سواد العین هو أشرف ما فیها و أنفع ما فیها، فکذلك الثّقة هي أشرف ما في التوکّل، و أنفع ما فیه.

قوله: و نقطة دائرة التّفویض، أشار إلی خلاصة التّفویض أیضا و لبّ حقیقته، فکما أنّ النقطة التي في وسط الدّائرة هي المرکز الذي علیها استدار المحیط، و قرب جهات المحیط منها و بعدها عنها متساو، فهي أشرف ما في المحیط، کذلك الثّقة هي النقطة و المرکز الذي یدور

عليه التّفويض، و هذا استعارة و تشبيه.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۰۸

قوله: و سويداء قلب التّسليم، أي إنّ القلب أشرف ما فيه سويداه، و هي المهجة التي بها تكون الحياة، و هو دم في وسط القلب، فكذلك الثّقة هي بمنزلة سويداء القلب، فلو كان للتّفويض و التّسليم قلب لكان هو الثّقة.

[درجات الثقة]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى: درجة الإياس]

الدّرجة الأولى:

درجة الإياس، و هو إياس العبد عن مقاواة الأحكام ليقعد عن منازعة الأقسام ليتخلّص من قحّة الإقدام.

يقول رضي الله عنه: إنّ من جملة الثّقة أن يكون صاحبها قد يئس عن مقاواة الأحكام، أي يعتقد أنّه إذا حكم الله تعالى بأمر فلا مردّ له، فمن حكم الله تعالى له بنصيب/ و قسم من الطّاعة فسوف يحصل له، و من لم يقسم له قسم منها فلا سبيل له إليها، و بهذا القدر يقعد عن منازعة الأقسام، أي لا يطلب قسما، فإنّه إن كان له نصيب فهو يأتيه.

و معنى مقاواة الأحكام، أن تتعلّق إرادته بغير ما في حكم الله تعالى، فإذا علم العجز يئس من المقاومة، و إذا يئس من المقاومة لم ينازع في طلب الأقسام، و المنازعة هنا هي المجاذبة، قال الله تعالى: **يَتَنٰازَعُونَ فِيهٰا كَأْساً**.

قوله: ليتخلّص من قحّة الإقدام، أي لا يقدم على الله تعالى في طلب شيء منه، و لا ينازعه في طلب قسم من الأقسام، فإنّ ذلك قحّة، و القحّة هي قلّة الحياء، و بهذا القدر تكمل الدّرجة الأولى من مقام الثّقة.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۰۹

[الدّرجة الثانية: درجة الأمن]

الدّرجة الثانية:

درجة الأمن، و هو أمن العبد من فوت المقدور و انتقاص المسطور، فيظفر بروح الرّضا، و إلاّ فبعين اليقين، و إلاّ فبلطف الصّبر.

هذه الدّرجة تحصل بعد حصول الأولى، فكأنّ الشيخ رضي الله عنه يقول: إنّ من حصل له الإياس المذكور في الدّرجة الأولى، حصل له الأمن، و ذلك أنّ من حقّق أنّ ما قسمه الله تعالى فلا رادّ له، أمن من فوت نصيبه الذي قسمه الله تعالى له، و هو معنى قوله: أمن العبد من فوت المقدور.

قوله: و انتقاص المسطور، أي و يأمن أيضا نقصان ما كتبه الله تعالى له، و سطّره في الكتاب المسطور، و هو مثل المعنى الأوّل.

قوله: فيظفر بروح الرّضا، أي براحة الرّضا، لأنّ الرّوح بفتح الرّاء هو الرّاحة، قال الله تعالى: **فَرَوْحٌ وَ رَيْحٰانٌ**، و جعل الرّضا محلّ الرّاحة، لأنّ من رضي استراح من الكدّ و التّعب و مقاومة الأقدار في الطّلب.

قوله: و إلاّ فبعين اليقين، أي إن لم يقدر على مقام الرّضا، و إلاّ فيحصل له مقام عين اليقين، و هو قوة الإيمان بالقضاء و القدر، و بأحكام الله تعالى في سائر البشر.

قوله: و إلاّ فبلطف الصّبر، أي فإن لم يقدر على مقام الرّضا أيضا، انتقل إلى الصّبر و ما فيه من حسن العاقبة، و هذا لطف من الله تعالى به، حيث كان متى عجز عن مقام شريف يجد تحته مقاما آخر، و قد أثنى

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۱۰

/ الله تعالى عليه لأنّه وعد الصّابرين و بشرّهم، فقال تعالى: **وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ.**

[الدّرجة الثالثة: معاينة أزليّة الحقّ]

الدّرجة الثالثة:

معاينة أزليّة الحقّ ليتخلّص من محن المقصود، و تكاليف الحمايات، و التّعريج على مدارج الوسائل.

قوله: معاينة أزليّة الحقّ ليتخلّص من محن المقصود، أي يظهر له شهود الأزل، فيغنيه عن الطّلب، و إذا استغنى عن الطّلب خلص من المحن التي تعرض له دون المقصود، و هذه الدّرجة غير مكتسبة، بل هي من الموهبة.

قوله: و التّعريج إلى آخر الفصل، يعني إنّه أيضا يخلص بمعاينة الأزل من التّعريج على مدارج الوسائل، و التّعريج هو حبس المطيّة على المكان، أو وقوفه في المكان، و المدرجة هي الطّريق، و الوسائل هي الأسباب التي بها يحصل الرّضا، مثل ما نتوسّل نحن إلى الله تعالى برسوله محمّد صلّى الله عليه و سلم، و يعني أنّ من خلص من محن المقصود و تكاليف الحمايات، لم يعرّج على الوسائل لاستغنائه عنها، و معنى تكاليف الحمايات، و هو أن يتكلّف طلب ما حماه الله تعالى عنه، فإنّ ذلك تعب و عناء لا يفيد، و كلّ هذه الرّاحة إنّما تحصل بمعاينة الأزل، و قد أشار إلى معاينة الأزل في خطبة هذا الكتاب، فانظر شرح معناه من هناك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۱۱

[باب التّسليم]

باب التّسليم قال الله تعالى: **فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً.**

و في التّسليم و الثّقة و التّفويض ما في التوكّل من العلل، و هو من أعلى درجات سبل العامّة.

معنى الآية، أنّ الله تعالى أقسم بجلال ربوبيّته الخاصّة بمقام محمّد صلى الله عليه و سلم أنّ المسلمين لا تكمل لهم درجة الإيمان حتّى يحكّموك يا محمّد فيما شجر بينهم، أي فيما اختلفوا فيه، ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجا ممّا قضيت، أي فيما حكمت به بينهم، و يسلّموا لك الحكم فيهم تسليما، أي لا يخالفونك فيما تحكم به عليهم، و لا يجدون في أنفسهم حرجا، أي/ ضيقا، بل يقبلون حكمك فيهم بما لا يوافق أغراضهم، و ذلك هو عين التّسليم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۱۲

قوله: و في التّسليم و الثّقة و التّفويض ما في التوكّل من العلل، العلل التي في التوكّل هي معاني الدّعوى و الجهل في نسبة الأشياء إلى نفسه، حيث زعم أنّه وكّل الحقّ تعالى، و توكّل عليه أن يقوم عنه بالمصالح الّتي زعم أنّه كان يحصّلها بالأسباب و التصرّفات، و لا شكّ أنّ هذه علل، و في كلّ مقام من هذه المقامات المذكورة شيء من هذا المعنى، و قد سبق الشرح فيه فاعتبره تجد ذلك، و يتّضح لك إن شاء الله تعالى.

قوله: و هو أعلى درجات سبل العامّة، يعني أنّ التّسليم هو أعلى درجات طرق العامّة في سيرهم إلى سعادتهم.

[درجات التسليم]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى: تسليم ما يزاحم العقول ممّا يشقّ على الأوهام من الغيب]

الدّرجة الأولى:

تسليم ما يزاحم العقول ممّا يشقّ على الأوهام من الغيب، و الإذعان لما يغالب القياس من سير الدول، و القسم و الإجابة لما يفزّع المريد من

ركوب الأحوال.

الذي يزاحم العقول هو ترك الأسباب، فإنّ العقل يحكم أنّ تارك الاكتساب بالأسباب ربّما جاع أو عطش، فلا يجد الطعام و الشراب، أو عري فلا يجد ما هو معتاد به من الأثواب، أو عرضت له حاجة ما توصله إليها إلاّ بالاكتساب، فكأنّه يقول: إنّ التّسليم يقتضي التّجريد، و العقل ينهى عنه، فمن حقّق مقام التّسليم حتّى صحّ له و كمل عنده، فهو تسليم إلى الله تعالى ممّا هو غيب عنه ممّا يزاحم العقول و الأوهام، فلا يلتفت إلى السّبب في كلّ ما غاب عنه من أمور الدّنيا و الآخرة.

و فيه معنى آخر، و هو التّسليم لما يبدو لك من معاني الغيب ممّا يزاحم العقول، أي يخالفها في مبادئ الحال، و يشقّ على الأوهام أيضا أن

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۱۳

يتوهّم المكاشف أنّها تضرّه، و ذلك تكثر عند مبادئ المكاشفة، خصوصا إن كان من أهل الخلوة و الانقطاع عن الحسّ، فإنّ الأمر يكون أصعب، و لا سيّما إن انفتح له عالم الخيال في الخلوة، فإنّه يبدو له من الغيب صور منكرة من عوالم النّفس، و ربّما تمثّلت له صفات نفسه في صورة مثل أن تتصوّر له نفسه في صورة أسد إذا كانت الصّفة السبعيّة غالبة/عليها، أو تبدو له صورة إنسان في سلاسل و قيود، فهي صورة نفسه المقيّدة بالجهالات و الأوهام، فيخاف في عاجل الأمر من صور ما يتمثّل له، و يعتقد أنّها في الحسّ، و ليست في الحسّ، بل هي في خياله و في وهمه، و لا بدّ لأصحاب الخلوات من رؤية هذه الأشياء.

ثم يتنقّل من صور قبحه إلى صور حسنه حتّى تتمثّل له أرواح الملائكة، و قربه من معاني الرّوحانيّات ما يزاحم عقله المحجوب، و يشقّ على وهمه، إذ هو مغلوب، فالشيخ رحمه الله يشير على مثل هذا المكاشف في الدّرجة الأولى أن يسلّم إلى الله تعالى ما زاحم عقله، و ما شقّ على وهمه، فيكون في الأشياء التي لا يعرفها باللّه تعالى لا بنفسه، ليكون الحقّ تعالى هو الذي يتولّى حمايته و حراسته.

قوله: و الإذعان لما يغالب القياس من سير الدّول، و القسم يعني أنّه بدا له من الحقّ تعالى باد يخالف القياس، فينبغي أن يذعن لذلك، و الإذعان هو الانقياد، و لا يبدو للمكاشف ذلك. قال الله تعالى: **وَ بَدٰا لَهُمْ مِنَ اللهِ مٰا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**. و أمّا تسميته لما يغالب القياس إنّه سير الدّول و القسم، فما أعرف له معنى إلاّ أن تكون الدّول هي الأحوال التي تتبدّل على المكاشف، فإنّها دول، و هي أيضا قسم أي حظوظ و أقسام، و الله أعلم بالمراد.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۱۴

قوله: و الإجابة لما يفزّع المريد من ركوب الأحوال، أي ينبغي أن يهجم المريد على الأمور المفزعة، و لا يلتفت إلى الأمور التي تفزّعه من ركوب الأحوال، و هذه إشارات إلى ما يراه في دخول الخلوة من اختلاف الواردات.

[الدّرجة الثّانية تسليم العلم إلى الحال، و القصد إلى الكشف، و الرّسم إلى الحقيقة]

الدّرجة الثّانية:

تسليم العلم إلى الحال، و القصد إلى الكشف، و الرّسم إلى الحقيقة.

تسليم العلم إلى الحال هو الانتقال من صور أحكام العلم الظّاهرة إلى معانيها الباطنة، مثل الانتقال من الخبر إلى العيان، و من الحجاب إلى الكشف، و من علم النّقل إلى علم الذّوق الذي هو علم المواهب، و هي لا تكون إلاّ عن واردات الأحوال، و معنى التّسليم إلى الحال،/ هو أن يحكم عليه الحال بقبول الحقائق التي لو لا غلبة الحال لما قبلها، لأجل أنّ ظاهرها مخالف للعلم، فإذا غلبه الحال و قبلها وجدها بعد ذلك هي باطن العلم الذي هو المعرفة، فهذا هو التّسليم للحال.

قوله: و القصد إلى الكشف، أي و تسليم القصد إلى الكشف، و معنى تسليم القصد إلى الكشف، هو أن يترك القصد عند ما يغشاه الكشف، و ذلك لأنّ الكشف يريه حضور المطلوب، و إذا حضر المطلوب بطل القصد، لأنّ قصد تحصيل ما هو حاصل جهل، فصاحب الكشف يترك

القصد لأجل الكشف.

قوله: و الرّسم إلى الحقيقة، يعني أنّ من جملة التّسليم تسليم ذاته ليفنى في شهود الحقيقة، فإنّ ذات العبد هي رسم تفنيه الحقيقة كما يفني النّور الظلمة، و ذلك لأنّ الحقّ تعالى لا يراه سواه، هكذا أجمعت الطّائفة.

شرح‏منازل‏السائرين‏إلى‏الحق‏المبين، جلد ۱، ص ۲۱۵

[**الدّرجة الثّالثة**: **تسليم ما دون الحقّ إلى الحقّ مع السّلامة من رؤية التّسليم بمعاينة تسليم الحقّ إيّاك إليه**]

الدّرجة الثّالثة:

تسليم ما دون الحقّ إلى الحقّ مع السّلامة من رؤية التّسليم بمعاينة تسليم الحقّ إيّاك إليه.

هذه الدّرجة هي تكملة الدّرجة التي قبلها، و به يتمّ معناها، فإنّ في الدّرجة التي قبل هذه، و الرّسم إلى الكشف، أي و تسليم الرّسم إلى الكشف، هو بداية قوله في هذه الدّرجة: تسليم ما دون الحقّ إلى الحقّ، فإنّ كلّ ما دون الحقّ هو رسوم، و من سلّم رسمه الخاصّ به إلى الكشف، فقد شرع في تسليم كلّ ما دون الحقّ إلى الحقّ، و معنى هذا التّسليم هو شهود اضمحلال رسوم الخلق في نور فردانيّة الحقّ تعالى، و هو الفناء المذكور.

قوله: و السّلامة من رؤية التّسليم، أي ينسلب أيضا رسم رؤية التّسليم، فإنّ الرؤية هي أيضا من جملة الرّسم الذي يسلم.

ثمّ إنّ الشيخ رضي الله عنه عرّفنا كيف يكون هذا التّسليم، فقال بمعاينة تسليم الحقّ إيّاك إليه، أي ينكشف حين يسلم ما دون الحقّ إلى الحقّ، فإنّ الحقّ تعالى هو الذي سلم إلى نفسه ما دونه إليه، و هذا الأمر يكون لأجل وحدانيّة الفاعل الحقّ.

و حاصل القضيّة، أنّ من شهد هذا المشهد وجد ذاته مسلّمة إلى الحقّ ما سلّمها إلى/الحقّ غير الحقّ، فإذا قد سلم العبد من رؤية أنّه سلّم إلى الحقّ شيئا، و سلامته إنّما كانت بمعاينته أنّ الحقّ هو الذي سلّم ذلك إلى نفسه لا غيره، فقد سلم العبد من دعوى التّسليم.

شرح‏منازل‏السائرين‏إلى‏الحق‏المبين، جلد ۱، ص ۲۱۷

[**قسم الأخلاق**]

و أمّا قسم الأخلاق فهو عشرة أبواب:

الصّبر و الرّضا و الشّكر و الحياء و الصّدق و الإيثار و الخلق و التّواضع و الفتوّة و الانبساط

شرح‏منازل‏السائرين‏إلى‏الحق‏المبين، جلد ۱، ص ۲۱۹

[**باب الصّبر**]

باب الصّبر قال الله عزّ و جلّ: وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلاّٰ بِاللّٰهِ.

الصّبر حبس النّفس على المكروه، و عقل اللّسان عن الشّكوى.

هذه الآية شاهدة بصبر المتوسّطين أنّه فوق صبر العامّة، و دون صبر الخاصّة، كما شرح الشيخ رضي الله عنه في آخر الباب.

قوله: الصّبر حبس النّفس على المكروه، أي تثبيتها على المكروه، و تقول: حبس راحلته عن السير إذا جذب مقودها إليه، و هو راكب عليها، و المعنى المراد ظاهر.

قوله: و عقل اللّسان عن الشّكوى، يعني أنّ من تمام الصّبر أن يكتم ما أصابه من المكروه، و المعنى أيضا ظاهر.

و هو أيضا من أصعب المنازل على العامّة.

صعوبته على العامّة لأجل أنّ العاميّ مبتدئ، و ماله دربة، فإذا امتحنه الحقّ تعالى بالبلاء أدركه الجزع، و صعب عليه حصول الصّبر، و عزّ عليه وجدانه، و ذلك لأنّه ليس من أهل الرّياضة، فيكون قد اعتاد البلاء،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۲۰

و استوطن الصّبر، و ليس من أهل المحبّة، فيكون ملتذّا بالبلاء في المحبوب الحقّ تعالى، و أمّا ذكره للفظة أيضا، فهي إشارة إلى مقام التوكّل، إذ هو للعامّة أيضا.

و **أوحشها في طريق المحبّة**، يعني أنّ الصّبر من أوحش منازل العامّة في طريق المحبّة، و ذلك لما قدّمنا ذكره من أنّ المحبّ يلتذّ بالعذاب في محبوبه، و الصّبر يقتضي أنّ البلاء مكروه، و المحبّة تقتضي أنّه محبوب، فيتناقض الصّبر و المحبّة، و خصّ لفظ الوحشة لأنّ الالتذاذ بالبلاء في المحبّة هو من طريق أنس القلب بالمحبوب، فإذا أحسّ المحبّ/ بالألم بحيث يحتاج إلى الصّبر، انتقل من الأنس إلى الوحشة، بل لو لا الوحشة لما أحسّ بالألم المستدعي للصّبر.

و **أنكرها في طريق التّوحيد**، يعني أنّ الصّبر منكر في طريق التّوحيد، بل هو أنكر من كلّ منكر، و ذلك لأنّ فيه قوّة الدّعوى، لأنّ الصّابر يدّعي قوّة الثبات، فيلزم من هذا أنّه يعتقد أنّ لنفسه قوّة، و أنّ تلك القوّة عظيمة، و هذا مبالغة في البهتان، إذا ليس لأحد قوّة أصلا، لأنّ القوّة للّه جميعا، و بذلك يشهد التّوحيد، و هو سبب كون الصّبر منكرا في طريق التّوحيد، لأنّ التّوحيد يردّ الأشياء إلى اللّه تعالى، و الصّبر يردّ الأشياء إلى النّفس، و إثبات النّفس في التّوحيد منكر.

[درجات الصبر]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى الصّبر عن المعصية بمطالعة الوعيد إبقاء على الإيمان]

الدّرجة الأولى:

الصّبر عن المعصية بمطالعة الوعيد إبقاء على الإيمان، و حذرا من الحرام، و أحسن منها الصّبر عن المعصية حياء.

الصّبر عن المعصية بمطالعة الوعيد، أمّا الصّبر عن المعصية فظاهر، و أمّا بمطالعة الوعيد، و الوعيد هو التّهديد بعذاب الآخرة، و مطالعته هي حضوره على الخاطر، و ذكره بالقلب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۲۱

قوله: إبقاء على الإيمان، أي يصبر عن المعصية ليبقى إيمانه سالما، و الإيمان هو التّصديق، و لو لا التّصديق بالعذاب لما صبر عن المعصية بمطالعة الوعيد.

قوله: و حذرا من الحرام، الحذر هو الاحتراز خوفا، و الحرام لا يخاف منه، و إنّما يخاف من العقوبة عليه، فعبّر بالحذر من الحرام عن الحذر من العقوبة عليه.

قوله: و أحسن منهما الصّبر عن المعصية حياء، يعني أن يصبر عن المعصية لأجل الحياء من اللّه تعالى، و إنّما كان الصّبر عن المعصية حياء أحسن من الصّبر عن المعصية خوفا، لأنّ الحياء شيم الأشراف و الأحرار، و الخوف في العادة شيم العبيد و الأشرار.

و فيه معنى آخر، و هو أنّ الحياء من اللّه تعالى يدلّ على حضور القلب معه، و غيبته عن الحياء المذكور نظرا إلى العقوبة، و الخوف يدلّ على حضور القلب مع العقوبة لا مع اللّه تعالى، فصاحب الحياء/ حاضر مع اللّه تعالى، و صاحب الخوف غائب، لأنّه غير مراع جناب سيّده، بل راعى حفظ نفسه، فهو مع نفسه لا مع الحقّ تعالى، فبين الحالتين بون، و بذلك استحسن الشّيخ رحمه اللّه الصّبر عن المعصية حياء أكثر من استحسانه الصّبر عنها بمطالعة الوعيد، و كلا المقامين يدلّ على قوّة الإيمان، غير أنّ الحياء يدلّ على ما فوق الإيمان، و هو مقام الإحسان، ألا ترى إلى الحديث النبويّ كيف إنّ مقام الإحسان هو أن تعبد اللّه كأنّك تراه، و الحياء إنّما يكون أن يعبد اللّه كأنّه يراه، و لو لا ذلك لما

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۲۲

استحيى، فإنّ الحياء إنّما يكون من حاضر أو كأنّه حاضر، و هذا هو درجة المرابطة، و الذي بعده مقام الصّبر.

[الدّرجة الثّانية الصّبر على الطّاعة بالمحافظة عليها دواما، و برعايتها إخلاصا، و بتحسينها علما]

الدّرجة الثّانية:

الصّبر على الطّاعة بالمحافظة عليها دواما، و برعايتها إخلاصا، و بتحسينها علما.

الصّبر على الطّاعة فوق الصّبر عن المعصية، و ذلك لأنّ الصّابر عن المعصية مشتغل بقلبه في وسواسها، و المشتغل بالطّاعة سالم من هذا الوسواس، فمقامه فوق مقام ذلك الآخر، خصوصا إذا صبر على دوامها، و حافظ عليها، و المحافظة هي حفظها من النّقص، و فعلها في أوقاتها المشروعة من غير تفويت.

قوله: و برعايتها إخلاصا، أي يراعي فيها معنى الإخلاص، فلا يمزج عمله بشيء من الرّياء.

قوله: و بتحسينها علما، أي يأتي بالطّاعة على مقتضى العلم الظّاهر، فلا يخالف بها المشروع، و لا يخلّ فيها بشيء من الشّروط المعتبرة في علم الشّريعة المطهّرة، فإنّ ذلك ممّا يحسّنها عند الله تعالى، هذه درجة الصّبر، و قبلها درجة المرابطة.

[الدّرجة الثّالثة الصّبر في البلاء بملاحظة حسن الجزاء، و انتظار روح الفرج]

الدّرجة الثّالثة:

الصّبر في البلاء بملاحظة حسن الجزاء، و انتظار روح الفرج، و تهوين البليّة بعد أيادي المنن، و تذكّر سوالف النّعم.

الصّبر في البلاء يعني لأجل ما يحصل من حسن الجزاء، فإنّه إذا لاحظ ما أعدّ الله تبارك و تعالى للصّابرين من الخير صبر ليحصل له نصيب من ذلك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۲۳

قوله: و انتظار روح الفرج،/ يعني و يصبر أيضا، و هو ينتظر راحة الفرج، فإنّ انتظار الفرج بالصّبر عبادة، و الرّوح بفتح الرّاء هي الرّاحة.

قوله: و تهوين البليّة، أي يهوّن البليّة على نفسه، لأنّها جاءت بعد أيادي من الحقّ تعالى، و الأيادي هي النّعم من الله عزّ و جلّ، و كلّما تذكّر سوالف النّعم هوّن على نفسه البليّة، فيقول مثلا: هذا بذاك، و لا يدوم ذا و لا ذاك، أو يتذكّر نعم الله السابقة فيزول من وحشة بلائه، لأنّه من تذكّر له مع سيّده أوقات، رجا أن يعود، فهان عليه ما يقاسيه في الوقت من البلاء لاشتغاله عنه بالرّجاء.

و في هذه الدّرجات الثلاث من الصّبر نزلت: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا. اصبروا يعني في البلاء. و صابروا يعني عن المعصية، و رابطوا يعني على الطّاعة، هذا الفصل ظاهر المعنى.

و أضعف الصّبر، الصّبر للّه، و هو صبر العامّة، و فوقه الصّبر باللّه، و هو صبر المريدين، و فوقهما الصّبر على الله، و هو صبر السّالكين.

الصّبر للّه، أي لأجل ثواب الله، و اختصر اللّفظ فقال: الصّبر للّه، و المقصود لثواب الله، و حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه عندهم جائز، و كذلك الصّبر خوف عذاب الله، أي عن المعصية، و كلاهما من درجة العامّة، و لذلك قال: و هو صبر العامّة.

قوله: و فوقه الصّبر باللّه، أي بقوّة الله تعالى، و يعني أنّ حال المريدين يقتضي أن يروا أنّه لا قوّة لهم على الصّبر إلاّ باللّه، و هو شهود لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۲۴

قوله: و فوقهما الصّبر على الله، أي الصّبر على أحكام الله إذ هم يرون أنّ المتصرّف فيهم هو الحقّ تعالى، فهم يصبرون عليه راضين بأحكامه مع مكابدة الألم، و هي درجة صبر السّالكين، و هؤلاء الثلاثة هم عند الشّيخ من العوامّ، إذ هم في مقام الصّبر، و قد ذكر أنّ مقام الصّبر للعوامّ.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۲۵

[باب الرّضا]

باب الرّضا قال الله تعالى: ارْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ راٰضِيَةً مَرْضِيَّةً. لم يدع في هذه الآية المتسخّط إليه سبيلا، و شرط للقاصد الدخول في الرّضا.

يقول رضي الله عنه:

/إنّه لمّا خاطب النّفس بالرجوع إليه تبارك و تعالى شرط عليها الرّضا، فكأنّه قال: لا سبيل لك إلى الرّجوع إلى ربّك إلاّ بالرّضا، فإذا لا سبيل للمتسخّط إلى الرجوع إليه، إذ الدخول في الرّضا شرط الرّجوع إليه.

و الرّضا اسم للوقوف الصّادق، حيث ما وقف العبد لا يلتمس متقدّما و لا متأخّرا، و لا يستزيد مزيدا، و لا يستبدل حالا، و هو من أوائل مسالك أهل الخصوص و أشقّها على العامّة.

الوقوف الصّادق هو الوقوف مع مراد الحقّ تعالى حقيقة من غير تردّد في ذلك، و هو مطلوب أبي يزيد حين قيل له: ما تريد؟ فقال: أريد

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۲۶

أن لا أريد، فكأنّ مطلوبه هو الوقوف الصّادق عند مراد الحقّ تعالى من غير أن يمازج ذلك بإرادته.

قوله: حيث ما وقف العبد، أي على أيّ حال كان، أي لا يختار حالة دون حالة.

قوله: و لا يلتمس متقدّما و لا متأخّرا، أي لا يسأل التقدّم في السلوك، و لا التأخّر عنه، و عبّر بالالتماس و هو الطلب ممّن هو مثله في الرتبة إشارة إلى أنّه لا يطلب أيضا من الخلق حاجة لتصحيح رضاه بأحكام الله تعالى كلّها، و لو أراد طلب التقدّم من الله تعالى لقال: و لا يسأل متقدّما و لا متأخّرا، فإنّ الطّلب من الأعلى يسمّى مسألة و دعاء و الطّلب من المساوي في الرتبة يسمّى التماسا، و الطّلب ممّن هو أنزل رتبة يسمّى أمرا.

قوله: و لا يستزيد مزيدا، أي لا يريد مزيدا على ما هو فيه.

قوله: و لا يستبدل حالا، أي و لا يطلب أن يتغيّر حاله، فإنّ ذلك اختيار، و هو قد خرج عن اختيار نفسه.

قوله: و هو من أوائل مسالك أهل الخصوص، يعني إنّ سلوك أهل الخصوص هو بالخروج عن النّفس، و لا شكّ أنّ الخروج عن الإرادة هو مبدأ الخروج عن النّفس، فإذا الرّضا من أوائل مسالك الخاصّة.

قوله: و أشقّها على العامّة، يعني إنّ الخروج عن الحظوظ يشقّ على العامّة، و هو ظاهر المعنى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۲۷

[درجات الرضا]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى: رضا العامّة]

الدّرجة الأولى:

رضا العامّة، / و هو الرّضا باللّه ربا، و بسخط عبادة ما دونه، و هذا قطب رحى الإسلام، و هو يطهّر من الشّرك الأكبر.

الرّضا باللّه، أي لا يتّخذ له ربّا غير الله تعالى، فهو يرضى بعبادة الله تعالى، و يسخط عبادة ما دونه، أي لا يرضى عبادة ما دونه.

قوله: و هذا قطب رحى الإسلام، أي و هذا الرّضا هو مقام الإسلام، و هو مضمون قولهم: رضينا باللّه ربّا و بالإسلام دينا، و بمحمّد صلى الله عليه و سلم نبيّا و رسولا، اللّهم أمتنا على ذلك و أحينا عليه، و أدم لنا ما وهبتنا من معارفك.

قوله: و هو يطهّر الشّرك الأكبر، الشّرك الأكبر هو عبادة مخلوق لمخلوق، و هذا الرّضا الخاصّ الذي هو الإسلام، يكون في تطهير هذا الشّرك الأكبر، و أمّا الشّرك الأصغر فيحتاج إلى تطهير آخر، و الشّرك الأصغر هو إثبات فعل من الأفعال لقوّة مخلوق ما، و ما أشبه ذلك.

و هو يصحّ بثلاث شرائط: أن يكون الله عزّ و جلّ أحبّ الأشياء إلى العبد، و أولى الأشياء بالتّعظيم، و أحقّ الأشياء بالطّاعة.

هذه الشرائط تصحيح مقام الإسلام، و تسمية الحقّ تعالى شيئا فيه تسامح، لأنّ فيه خلافا، فبعضهم نزّه الحقّ تعالى أن يسمّيه بهذا الاسم، و بعضهم أجازه، و هذا الفصل ظاهر المعنى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۲۸

[الدّرجة الثّانية: الرّضا عن الله تعالى]

الدّرجة الثّانية:

الرّضا عن الله تعالى، و بهذا الرّضا نطقت آيات التّنزيل، و هو الرّضا عنه في كلّ ما قضى و قدّر، و هذا من أوائل مسالك أهل الخصوص.

ليس في هذا الفصل ما يحتاج إلى شرح، إلاّ قوله: و هذا من أوائل مسالك أهل الخصوص، فإنّه يحتاج أن يبيّن لأيّ شيء كان مختصا بأهل الخصوص، فنقول: لأجل أنّ مضمونه الخروج عن الحظوظ، و ذلك أنّ كلّ من رضي بجميع ما قضى الله تعالى و قدّر، كان واقفا مع إرادة الله تعالى، لا مع إرادة نفسه، و قد تقدّم ذكر ذلك، و هو أنّه مقدّمة للخروج عن النّفس، و الخروج عن النّفس هو طريق الخاصّة.

و يصحّ بثلاث شرائط:/ باستواء الحالات عند العبد، و بسقوط الخصومة مع الخلق، بالخلاص من المسألة و الإلحاح.

استواء الحالات، أي لا يميل إلى محبوب و لا يميل عن مكروه نفسانيّ، و بهذا القدر تتساوى الحالات عنده.

قوله: و بسقوط الخصومة، يعني أنّ من لم يبق له حظّ و لا ميل إلى جهة، فعلى أيّ شيء يخاصم الخلق، فإذا تسقط منه خصومة الخلق.

قوله: و بالخلاص من المسألة و الإلحاح، أي لا يطلب شيئا: و لا يسأل أحدا حاجة، فضلا عن الإلحاح في طلبها.

[الدّرجة الثّالثة: الرّضا برضا الله تعالى]

الدّرجة الثّالثة:

الرّضا برضا الله تعالى، فلا يرى العبد لنفسه سخطا، و لا رضا، فيبعثه على ترك التحكّم، و حسم الاختيار، و إسقاط التّمييز، و لو أدخل النّار.

قوله: الرّضا برضا الله تعالى، أي يقيم رضا الله تعالى مقام رضاه، فيرى أنّ رضاه فرع عن رضا الله تعالى، فهو من جملة رضا الله تعالى،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۲۹

و ذلك لأنّ إرادته سقطت، و الرّضا نوع من الإرادة، فإذا ارتفع وجود الإرادة الّتي هي الأصل، ارتفع معها الرّضا الذي هو فرعها، فهذا معنى قوله: فلا يرى لنفسه رضا، أي لا يجد لنفسه رضا و لا سخطا، و إذا لم تبق له إرادة لم يكن له شيء يبعثه على ترك التحكّم، و يعني بالتحكّم ترجيح شيء عن شيء، و إيثار حال دون حال.

قوله: و حسم الاختيار، الحسم هو القطع، أي: و قطع الاختيار بالكلّية.

قوله: و إسقاط التّمييز و لو دخل النّار، أي: لا يرى شيئا بالنسبة إليه أميز من شيء، و لو دخل النّار، فلا يراها أميز عنده من الجنّة لاستغنائه بإرادة الحقّ تعالى عن إرادته، و تصحيح مقام الرّضا، و هذا القدر يدلّ على صحّة العبوديّة، و هو لا يحصل إلاّ لأهل مقام المحبّة الصّادقة، و قد ذقت هذا المقام و الحمد لله تعالى، و تحقّقت صحّته لي في ثلاثة مواطن:

أولّها: أنّي أشرفت على القتل بسيوف الفرنج خذلهم الله تعالى، فنظرت إلى قلبي، فلم أجد عنده تفاوتا بين الحياة و الموت،/ رضا بحكم الله تعالى لغلبة سلطان المحبّة.

الموطن الثّاني: أنّني أشرفت على الغرق، فنظرت إلى قلبي فلم أر تفاوتا بين الحياة و الموت، رضا بحكم الله تعالى.

الموطن الثالث: قيل لي: احذر من طريق الصوفيّة إنّ فيها أمورا تزلّ فيها القدم، فنظرت إلى قلبي، و صحّحت عقد الرّضا مع ربّي، و قلت: أ أعرض بعد الإقبال، و أخاف مع صحّة محبّتي لله تعالى من الضّلال؟ ففاضت عيناي بالدّموع، و سرت في وجودي نشوة الخشوع

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۳۰

و الخضوع، و أخذتني حالة وجد كدت فيها أن أفارق نفسي بعد غيبة حسّي، فلمّا انفصلت عنّي نظمت ارتجالا:

أنا في عنان إرادة المحبوب أجري لا محاله إمّا إلى محض الهدى طوعا و إمّا للضّلاله

ثمّ إنّي بعد ذلك انفصلت عن هذا المقام أنا عبد في اختيار اللّذّات على الآلام، و إن كان قد تضاعف لي من الله سبوغ الإحسان و الإنعام.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۳۱

[باب الشّكر]

باب الشّكر قال الله تعالى: وَ قَلِيلٌ من عِبٰادِيَ الشَّكُورُ.

الشّكر اسم لمعرفة النّعمة لأنّها السّبيل إلى معرفة المنعم، و لهذا سمّى الله تعالى الإسلام و الإيمان في القرآن شكرا.

قوله: الشّكر اسم لمعرفة النّعمة، يعني أنّ من شكر على النّعمة فقد عرفها، و يستحيل أن يشكر النّعمة من لا يعرفها، فلمّا رأى بين الشّكر و معرفة النّعمة هذا التّلازم جعل أحدهما اسما للآخر، و الشّكر في لغة العرب هو الثّناء على المنعم، ممّا يدلّ على أنّه قد عرف نعمته، و اعترف له بها، و حسن موقعها عنده، و خضع قلبه لذلك، و الاعتراف بالنّعمة من جملة شكرها. و يروى عن داود عليه السّلام أنّه قال: يا ربّ كيف أشكرك و الشّكر نعمة أخرى منك أحتاج عليها إلى شكر آخر، فأوحى الله تعالى إليه: يا داوود إذا علمت أنّ ما بك من نعمة فمنّي، فقد شكرتني.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۳۲

قوله: لأنّها السّبيل/ إلى معرفة المنعم، يعني: أنّه إذا عرف النّعمة تسبّب في التعرّف إلى المنعم، فسلك طريق التعرّف إليه، و جدّ في الطّلب، و من جدّ وجد.

و معاني الشّكر ثلاثة أشياء: معرفة النّعمة، ثمّ قبول النّعمة، ثمّ الثّناء بها، و هو أيضا من سبل العامّة.

معرفة النّعمة هو إحضارها في الخاطر، و تمييزها في الذهن، بحيث يتميّز أنّها نعمة، فربّ جاهل يحسن إليه و هو لا يدري، فلا جرم أنّه لا يصحّ منه الشّكر.

قوله: ثمّ قبول النّعمة، قبول النّعمة هو تلقّيها من المنعم بإظهار الفقر و الفاقة إليها، فإنّ ذلك شاهد بقبولها حقيقة.

قوله: ثمّ الثّناء بها، أي يصف المنعم بالجود و الكرم و شبه ذلك ممّا يدلّ على حسن تلقّيك لإنعامه و اعترافك له بنزول مقامك في الرّتبة عن مقامه، فإنّ اليد العليا خير من اليد السفلى مطلقا.

قوله: و هو أيضا من سبل العامّة، أي، و الشّكر أيضا مثل التوكّل في كونه من طرق العامّة، فإنّ السّبيل في اللّغة هي الطّريق، و إنّما كان الشّكر من طرق العامّة، لأنّ فيه دعوى و هي كونه شكر الحقّ على العامّة، فلو تحقّق أنّ الحقّ تعالى تصرّف في ملكه، و لو أنّ السّلطان مثلا كسا عبدا من عبيده ثوبا، فشرع يشكر السّلطان على ذلك لأخطأ، و لكان ذلك سوء أدب منه، فإنّ الشّكر من العبد يدلّ على أنّه يصلح أن يكافي السّلطان، فإنّ الشّكر مكافأة، و العبد أصغر قدرا من المكافأة، و أيضا فإنّ الشّهود يقتضي اتّحاد نسبة الأخذ و العطاء، و رجوعهما إلى قوّة القويّ المتين تعالى، فالخاصّة يسقط عندهم الشّكر بالشّهود، و يتعيّن عليهم ما هو أعلى منه.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۳۳

[درجات الشكر]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى الشّكر على المحابّ]

الدّرجة الأولى:

الشّكر على المحابّ، و هذا شكر تشاركت المسلمون فيه و اليهود و النّصارى و المجوس، و من سعة برّ الباريء سبحانه أنّه عدّه شكرا، و وعد عليه الزّيادة، و أوجب فيه المثوبة.

الشّكر على المحابّ/ المحابّ هي الأشياء المحبوبة، فالمحابّ ضدّ المكاره.

قوله: تشاركت فيه، يعني: أنّ هذه الطوائف الّتي عدّهم يعتقدون كلّهم أنّ الشّكر على الإحسان الواصل من الرّحمن واجب على الإنسان.

قوله: و من سعة برّ الباري، سبحانه أنّه عدّه شكرا، و وعد عليه الزّيادة، يعني: أنّ من وصل إليه إحسان الحقّ تعالى فشكر، فقد قام بما يجب عليه، فالزّيادة بما ذا يستحقّها أو المثوبة؟ فإنّه ما تبرّع بشيء يجازى عليه بالزّيادة، فيكون الحقّ تعالى وعده بالزّيادة في قوله: **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**، هو من سعة برّه، و البرّ هو الإحسان.

[الدّرجة الثانية الشّكر في المكاره]

الدّرجة الثانية:

الشّكر في المكاره، و هذا ممّن تستوي عنده هذه الحالات إظهار الرّضا، و ممّن يميّز بين الأحوال كظم الغيظ و الشّكوى، و رعاية الأدب، و سلوك مسلك العلم، و هذا الشّاكر أوّل من يدعى إلى الجنّة.

قال رضي الله عنه: إنّ الشّكر على المكاره ما يكون إلاّ من أحد رجلين: إمّا من رجل لا يميّز بين الحالات، بل يستوي عنده المكروه

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۳۴

و المحبوب، فإذا نزل به المكروه و شكر الله تعالى عليه، فشكره إنّما هو إظهار للرّضا بما نزل به، و هذا مقام الرّضا، و قد تقدّم شرحه.

و إمّا من رجل يميّز بين الأحوال، فهو لا يحبّ المكروه و لا يرضى بنزوله به، فإن نزل به مكروه فشكر الله تعالى عليه، فشكره إنّما هو لكظم الغيظ الذي أصابه، أي ستر الغيظ، و ستر الشّكوى، و إن كان باطنه شاكيا، و كظم الغيظ منه إنّما هو لرعايته للأدب و لسلوكه مسلك العلم، فإنّ العلم يأمر العبد أن يشكر الله تعالى في السّرّاء و الضرّاء، فهو يسلك بهذا الشّكر طريق العلم، لا إنّه شاكر الله تعالى شكر من رضي بقضائه، و هو المذكور أوّلا.

قال الشيخ رضي الله عنه: و هذا الشّاكر، يعني الكاظم للغيظ، هو أوّل من يدعى إلى الجنّة، لأنّه أحسن حين قابل حكم الله تعالى بما يجب له، مع ما في ذلك من المشقّة/ و قلّة من يقدر على ذلك، لأنّ أكثر من ينزل به البلاء يشتغل بالجزع و الألم و الشّكوى عن شكر الله تعالى، و لذلك ورد في التّنزيل: **وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ**، فهذا معنى ما ذكره في هذه الدّرجة.

[الدّرجة الثالثة أن لا يشهد العبد إلاّ المنعم]

الدّرجة الثالثة:

أن لا يشهد العبد إلاّ المنعم، فإذا شهد المنعم عبودة، استعظم منه النّعمة، و إذا شهده حبّا استحلى منه الشدّة، و إذا شهده تفريدا لم يشهد منه نعمة و لا شدّة.

قوله: أن لا يشهد العبد إلاّ المنعم، يعني تشغله مشاهدة المنعم عن النّعمة، و ذلك لاستغراقه في المنعم.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۳۵

و قد قسّم الشيخ رضي الله عنه الاستغراق في شهود المنعم إلى ثلاثة أقسام ذكرها في هذا الفصل، و هي شهود العبوديّة، و شهود الحبّ، و شهود التّفريد.

قوله: فإذا شهد المنعم عبودة، هذا هو القسم الأوّل من الثلاثة، و هو أن يستغرق العبد في المنعم الحقّ استغراق عبودة، أي، يكون مشاهدا

للحقّ تعالى مشاهدة العبد للسيّد بأدب العبيد إذا حضروا بين يدي سيّدهم، فإنّهم ينسون ما هم فيه من الجاه و القرب الذي ما حصل لغيرهم باستغراقهم في الأدب، و ملاحظتهم لسيّدهم خوفا من أن يشير إليهم في أمر فيجدهم غافلين عن ملاحظته، و هذا معروف عند من صحب الملوك، فهذا هو شهود العبد للمنعم و استغراقه فيه عن الإحساس بما حصل له عنده من الإنعام في حالة حضوره بين يديه، فصاحب هذه الحال إذا أنعم عليه سيّده في هذه الحالة مع قيامه في حقيقة العبودة، فإنّه يستعظم الإحسان، لأنّ العبودة توجب عليه أن يستصغر نفسه عن الإحسان.

قوله: و إذا شهده حبّا، هذا هو القسم الثاني من الثلاثة أقسام المذكورة، و هو أنّ العبد يشهد الحقّ تعالى شهود محبّة غالية، و هذا أيضا يستغرق في محبوبه الحقّ، فيستحلي منه الشدّة، و ذلك ممّا علمت من أنّ المحبّ يستحلي فعل المحبوب. و قد قال بعض عشّاق حسن الصورة لا صورة الحسن، فأحسن في هذا المعنى:

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلوا فقد جهل المحبّة و ادّعى قوله: و إذا شهده تفريدا، لم يشهد منه نعمة و لا شدّة، يقول:

/ إنّ شهود التّفريد يرفع الثنويّة، و يفني الرّسم، و يذهب الغيريّة، فإذا

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۳۶

وردت النّعمة أو الشدّة على صاحب شهود التّفريد، فإمّا أن يكون مستغرقا في الفناء، فلا يحسّ بشيء منهما، و إمّا أن يقول ما قال بعضهم:

من كانت هباته لا تتعدّى يديه، فلا واهب و لا موهوب، و ذلك الجمع، و سيأتي الكلام في علومه لا فيه، فإنّه لا يقبل العبارة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۳۷

[باب الحياء]

باب الحياء قال الله تعالى: أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرىٰ.

الحياء من أوّل مدارج أهل الخصوص، يتولّد من تعظيم منوط بودّ.

أشار باستشهاده بالآية إلى الحياء المتولّد عن الإيمان باللّه تعالى، يرى عبيده كأنّه قال: ألم تعلم بأنّ الله يرى، فتستحيي.

قوله: الحياء من أوّل مدارج أهل الخصوص، يعني إنّ الحياء فيه ملاحظة حضور من يستحيى منه، و أوّل سلوك أهل الخصوص أن يروا أنّ الحقّ تعالى حاضر معهم، و على هذا الأصل يبتنى السّلوك.

قوله: يتولّد من تعظيم منوط بودّ، يعني أنّ الحياء يتولّد من التّعظيم المخالط للودّ، فإنّ المنوط بالشيء هو المتّصل به، فالحياء حالة تحصل من امتزاج التّعظيم بالمودّة، و المودّة هي دون المحبّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۳۸

[درجات الحياء]

و هي على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى حياء يتولّد من علم التّوحيد بنظر الحقّ إليه]

الدّرجة الأولى:

حياء يتولّد من علم التّوحيد بنظر الحقّ إليه، فيجذبه إلى تحمّل المجاهدة، و يحمله على استقباح الجناية، و يستكفّه عن الشّكوى.

يعني إنّ العبد إذا علم أنّ الحقّ تعالى ينظر إليه، تولّد عنه الحياء منه، فيجذبه علمه بنظر الحقّ إليه إلى احتمال صعوبة المجاهدة، مثل العبد إذا عمل الشغل بين يدي سيّده، فإنّه يكون نشيطا، بخلاف ما إذا كان غائبا عن نظر سيّده، و الحقّ تعالى لا يغيب نظره عن عبيده، و لكنّ أكثرهم لا يعلمون. و كذلك أيضا يحمله الحياء على استقباح الجناية، و هي المعصية.

قوله: و يستكفّه عن الشّكوى، أي، إذا علم أنّ الحقّ تعالى ناظر إليه استحيى أن يشتكي منه، فهذا معنى يستكفه، أي يلزمه أن يكفّ عن الشّكوى إلى المخلوقين.

[الدّرجة الثّانية حياء يتولّد من النّظر في علم القرب]

الدّرجة الثّانية:

حياء يتولّد من النّظر في علم القرب، فيدعوه إلى ركوب المحبّة، و يربطه بروح الأنس، و يكرّه إليه ملابسة الخلق.

النّظر في علم القرب، هو تحقّق القلب أنّ الحقّ تعالى مع عبده تحقّقا لا يمازجه شكّ، فأوّل شيء يتولّد عند العبد من علم هذا القرب الحياء، إذ الحياء من الحاضر أبلغ و أتمّ، ثمّ يتولّد من ذلك الحياء مع ذلك العلم بالقرب الميل إلى ركوب المحبّة، و هو قوله: فيدعوه إلى ركوب المحبّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٢٣٩

قوله: و يربطه بروح الأنس، أي، يؤلّف له الأنس باللّه تعالى، و الرّوح بالرّاء المفتوحة هو الرّاحة، فكأنّه قال: و يربطه براحة الأنس.

قوله: و يكرّه إليه ملابسة الخلق، أي يجد الرّاحة في الأنس بالحقّ، و يجد الوحشة في ملابسة الخلق، فيكره لذلك ملابسة الخلق، و الملابسة هنا هي الاجتماع بالخلق.

[الدّرجة الثالثة حياء يتولّد من شهود الحضرة]

الدّرجة الثالثة:

حياء يتولّد من شهود الحضرة، و هي التي تشوبها هيبة، و لا تقارنها تفرقة، و لا يوقف لها على غاية.

الحضرة هي بارقة تلوح من الجناب الفرداني ّ الأقدس، و هي رقّة من بوارق التّوحيد إذا شهدها العبد، فأوّل شيء يغشى الهيبة، و هو معنى قوله: و هي الّتي تشوبها الهيبة، أي تمازجها، فإنّ الشوب هو الممازجة، ثمّ لا يجد معها تفرقة، و يعني بالتّفرقة، أن يخطر في باله سوى الحقّ تعالى، فكأنّ تلك الحضرة جمعيّة عن التّفرقة.

قوله: و لا يوقف لها على غاية، أي تثبت حتّى تفنى المشاهدة في الشّهود فيصل بالمشاهدة إلى الغاية الّتي هي القصوى، بل تنصرف عنه قبل ذلك، لأنّها ليست كشفا تامّا، بل مبدأ كشف لاح ثم راح، و القوم يسمّون أمثال هذه الحضرة بوارق، فالشيخ رضي الله عنه يقول: إنّ هذه الحضرة توجب حياء يتولّد منها في القلب في حال حصولها و بعده، فإنّها إذا انفصلت أبقت في القلب علما يقينا بقرب الحقّ تعالى، و القرب يوجب الحياء، و الفرق بين هذا الحياء و بين الحياء المذكور في الدّرجتين اللّتين ذكرنا قبل، هو أنّ هذا الحياء عن مشاهدة كشف، و الحياء المذكور قبل حياء عن إيمان قويّ.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٢٤١

[باب الصّدق]

باب الصّدق قال الله تعالى: فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا الله لَكانَ خَيْراً لَهُمْ.

الصّدق اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولا و وجودا.

فإذا عزم الأمر، تحقّق، فلو صدقوا الله في العزيمة على ما أمرهم به، لكان خيرا لهم.

قوله: الصّدق اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولا و وجودا.

الشيخ رضي الله عنه لمّا رأى أنّ الصّادق في الإخبار عن حالة، هو الذي تمّ لم حصول الأمر و وجوده، جعل الصّدق اسما لحصول الشيء بعينه، و وجوده لما بينهما من القرب، و إلاّ فالصّدق على معنيين، صدق في الخبر، و هو الذي ضدّه الكذب، و صدق هو تمام قوّة الشيء، كما

تقول: رمح صدق الكعوب، أي صلب قويّ، أو غير ذلك.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۴۲

[درجات الصدق]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى في صدق القصد]

الدّرجة الأولى:

في صدق القصد، و به يصحّ الدخول في هذا الشأن و يتلافى به كلّ تفريط، و يتدارك كلّ فائت، و يعمّر كلّ خراب، و علامة هذا الصّادق أن لا يحتمل داعية تدعو إلى نقض عهد، و لا يصبر على صحبة ضدّ، و لا يقعد عن الجدّ بحال.

يعني بصدق القصد أن يكون في القلب داعية إلى السّلوك، و ميل شديد يقهر السرّ على صحّة التوجّه، و بالجملة فالقصد هو النيّة و الطّلب الذي لا يمازجه رياء بوجه من الوجوه.

قوله: و به يصحّ الدخول في هذا الشأن، يعني بالشأن طلب الحقّ تعالى.

قوله: و يتلافى به كلّ تفريط، أي يسرع إلى مخالفة الكسل بإظهار النّشاط، بحيث لا يترك فرصة تفوته كما فاتته الفرص السّابقة، حتّى ينصلح من قلبه ما أفسدت الغفلة، و ذلك بأن يستنير القلب بالعبادة بعد ظلمته بالإعراض.

قوله: و يتدارك كلّ فائت، أي يجتهد اجتهادا يحصل له تطهير ما فاته، حتى كأنّه ما فرّط قطّ، و الذي يحصل له بالنّظر إلى حال هذه الطّائفة هو استمرار الحضور، فإنّ القوم ليسوا أهلا لرؤية العمل، بل هم منزّهون عن ذلك خصوصا في درجة الصّدق، و إن كان الصّدق قد يكون لأهل العبادة.

قوله: و يعمر كلّ خراب، يعني يعمر قلبه بالأنس، فإنّ القلب إذا خلا من الأنس باللّه تعالى فهو خراب.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۴۳

قوله: و علامة هذا الصّادق أن لا يحتمل داعية تدعو إلى نقض عهد، يعني، أنّ الصّادق في حاله هو الذي ينجذب بالذّات إلى الحضرة، أن يكون مستعدّا للسّلوك، مطلوبا لهذا الشأن، و لو لا ذلك لما صحّ له الصّدق، و من هذه حاله يستحيل في حاله نقض العهد، فهو لا يحتمل شيئا يدعو إليه.

قوله: و لا يصبر على صحبة ضدّ، الضدّ هو الذي يكون حاله مناقضا لحال الصّادق، مثل الذي استحكمت فيه الغفلة، كما استحكمت في الصّادق/اليقظة و الحضور، فهو يحسّ بالأجنبيّة بينه و بين ذلك الضدّ إن نطق أو صمت، فإنّ الضدّ إن نطق فإنّما ينطق عن حال غفلة، فإذا سمع ذلك الصّادق قوله نفر منه، و لأجل قوّة صدقه لا يداريه و لا يداجيه، لأنّه يرى ذلك من جملة الأدب، إذ فيه إظهار خلاف ما في باطنه، و إن صمت أحسّ قلب الصّادق أنّ صمته على غير حضور مع الحقّ تعالى، و قلب الصّادق قويّ الإحساس، فيجد الغيريّة من الضّد، و إن لم ينطق.

قوله: و لا يقعده عن الجدّ بحال، يعني إنّه مجذوب مقهور مغلوب في الطّلب، و هذه صفة الصّادق، و من هذه صفته لا يقعد عن الجدّ بحال، و يعني بالجدّ الاجتهاد.

[الدّرجة الثانية أن لا يتمنّى الحياة إلاّ للحقّ]

الدّرجة الثانية:

أن لا يتمنّى الحياة إلاّ للحقّ، و لا يشهد من نفسه إلاّ أثر النقصان، و لا يلتفت إلى ترفيه الرخص.

قوله: ألّا يتمنّى الحياة إلّا للحقّ، أي لا يحبّ أن يعيش إلّا ليقوم بالعبوديّة للحقّ وحده، و هذه صفة الصّادق الذي لم يبق لنفسه حظّ.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلی‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۴۴

قوله: و لا يشهد من نفسه إلّا إظهار النقصان، يعني بالنقصان التّقصير، و عدم الأهليّة لاستصغار نفسه، و استعظام صفات الحقّ تعالى.

قوله: و لا يلتفت إلى ترفيه الرّخص، يعني إنّه لم يبق فيه داعية لحظّ من حظوظ النّفس، فهو لا يرى أن يرفّه نفسه عن الخدمة، فلا جرم هو لا يأخذ بالرّخص.

[الدّرجة الثالثة الصّدق في معرفة الصّدق]

الدّرجة الثالثة:

الصّدق في معرفة الصّدق، فإنّ الصّدق لا يستقيم في علم أهل الخصوص إلّا على حرف واحد، و هو أن يتّفق رضا الحقّ بعمل العبد، أو حاله، أو وقته، و إيقان العبد و قصده، فيكون العبد راضيا مرضيّا، فأعماله إذا مرضيّة، و أحواله صادقة، و قصوده مستقيمة، و إن كان العبد كسي ثوبا معارا، فأحسن أعماله ذنب، و أصدق أحواله زور، و أصفى قصوده قعود.

قوله: الصّدق في معرفة الصّدق، يقول: إنّ الصّدق المحقّق هو يحصل لمن يعرف الصّدق، أمّا من لا يعرف حقيقة الصّدق فإنّه لا يحصل له الصّدق، ثم فسّر حقيقة الصّدق فقال: الصّدق لا يستقيم في علم أهل الخصوص إلّا على حرف واحد، و هو أن/ يتّفق رضا الحقّ بعمل العبد أو حاله أو وقته، يعني أنّ العبد إذا اتّفق له رضا الحقّ تعالى بعمله أو حاله أو وقته، فهو الذي يسمّى صادقا على الحقيقة.

قوله: و إيقان العبد و قصده، أي و كذلك إيقان العبد و قصده إذا رضي الحقّ تعالى منه به فهو الصّادق، معنى الإيقان اليقين الذي هو قوّة الإيمان.

قوله: فيكون العبد راضيا مرضيّا، أي إذا رضي الحقّ عنه كما مضى في العمل و الحال و الوقت و الإيقان و القصد، و العبد بذلك يكون صادقا

شرح‌منازل‌السائرين‌إلی‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۴۵

راضيا مرضيّا، و معنى راضيا، أي راضيا عن الحقّ تعالى، و معنى مرضيّا، أي رضي الحقّ تعالى عنه.

قوله: فأعماله إذا مرضيّة، و أحواله صادقة، و قصوده مستقيمة، يعني إذا حصل له ما تقدّم شرحه، فهذه الحالة الشريفة هي حاله، و القصود هي المقاصد و النيّات.

قوله: و إن كان العبد قد كسي ثوبا معارا، يعني أنّ وجود العبد ما هو له، بل هو معار عنده، و إذا كان وجود العبد عارية عنده، فكيف تكون أفعاله، أي هي أيضا ثوب معار.

قوله: فأحسن أعماله ذنب، يعني أنّ العمل الخالص هو ذنب، فكيف أدونه، و إنّما سمّاه ذنبا، لأنّ العبد العامل يعتقد أنّه هو الفاعل، و الفاعل في الحقيقة هو الحقّ تعالى، فإذا العامل يكون مذنبا باعتقاده أنّه هو الفاعل، فإذا العمل لا يخلص أبدا من الذنب، فلذلك قال: فأحسن أعماله ذنب، أي إذا خلص من الرّياء و من كلّ شيء يفسده اقترن به أمر آخر لا يمكنه الاحتراز منه، و هو كونه يعتقد أنّه الفاعل، فإن قلت: قد يمكنه أن يحترز بأن يعتقد مثلا أنّ الفاعل على الحقيقة هو الحقّ تعالى، ثمّ يعمل على هذه النيّة، فالجواب أنّ هذه العقيدة لا تخلّصه، لأنّه يرى العمل من نفسه عيانا، و يعتقد أنّه من الحقّ تعالى إيمانا، و الإيمان لا يقوي قوّة العيان، فيبقى عليه من البيعة المحقّقة بمقدار ما بين الإيمان و العيان من التفاصيل.

و لست أقول: إنّ هذا المقدار هو ذنب في الشّرع، بل هو حسنة للأبرار، و هو عند المقرّبين سيّئة، فالمقرّب يؤاخذ بنسبة الفعل إلى نفسه، و المؤمن لا يؤاخذ بذلك، لأنّ قسطه من السنّة المحمّدية هو

شرح‌منازل‌السائرين‌إلی‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۴۶

ما جاء به/العلم، و أمّا المقرّب فقسطه من السنّة المحمّديّة هو ما جاء به التعرّف، فالشيخ هنا نطق بلسان المقرّبين لا الأبرار.

قوله: و أصدق أحواله زور، يعني أنّ الأحوال الصّادقة تصير بالنسبة إلى التّحقيق زورا، و ذلك لأنّ الحال يقتضي الشّطح، و تحقيق المقام يردّ إلى العبوديّة، فالعبوديّة هي الحقيقة، و أمّا الأحوال الصّادقة فإنّها تحول.

فإن قلت: كيف تكون الأحوال الصّادقة زورا مع اعترافك أنّها صادقة، فالجواب، أنّ الحال هو تأثّر عن نور من أنوار الفردانيّة يستر الخلق، و يبدىء ظهور الحقّ، فيعتقد الشّاهد أنّه المشهود، و لا شكّ أنّ هذا الاعتقاد زور، لكن سببه قد كان نورا من نور الحقيقة، فهو حقّ بهذا الاعتبار، و صاحبه معذور ما دام غائب العقل بالوارد، فإذا ردّ إلى عقله و حسّه حال ذلك الحال، و رجع صاحبه عن ذلك المقال، أعني الشّطح فإذا الحال صادق باعتبار، و زور باعتبار، فهذا معنى قوله:

و أصدق أحواله زور، فقد حصل لأرباب الأعمال ذنب من رؤية العمل، و حصل لأرباب الأحوال خلف من جهة خلف جهل الأنانيّة، أعني العبوديّة.

قوله: و أصفى قصوده قعود، يعني أنّ القاصد إلى الحقيقة متى شهد مقصوده قعد عن قصده، و ذلك لأنّ الحقّ تعالى لا يقصد و لا يبتغى، لأنّه أقرب إلى اللّسان من نطقه إذا نطق، و إلى القلب من قصده إذا قصد، فالقاصد إليه حقيقة، هو القاعد عن قصده حقيقة، و هذا المعنى عزيز، و الإشارة إليه أولى من العبارة عنه، و سترى ذلك عن قريب إن شاء الله تعالى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۴۷

باب الإيثار

قال الله تعالى: وَ يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.

الإيثار تخصيص و اختيار، و الأثرة تحسن طوعا، و تصحّ كرها.

[درجات الإيثار]

و هو على ثلاث درجات.

قوله: الإيثار تخصيص و اختيار، يعني أنّ المؤثر لمّا أراد تخصيص الخير بما آثره به، فقد خصّصه.

و قوله و اختيار، يعني أنّ كلّ مؤثر فهو يتوهّم أنّه مختار في الإيثار و في ترك الإيثار/فهو مدّع في الاختيار، و هذا الكلام أعني ذكر الاختيار جعله الشيخ توطئة لما سنذكره في الدّرجة الثّالثة من هذا الباب، و هو قوله: فإنّ الخصوص يرون في الإيثار دعوى الملك، و سيأتي الكلام عليه.

قوله: و الأثرة تحسن طوعا و تصحّ كرها، أمّا قوله: تحسن طوعا، فهو ظاهر، و ذلك أنّ الإيثار حسن من المؤثر الذي آثار غيره على نفسه، خصوصا إن كان به خصاصة، و تحسن طوعا أيضا بمعنى غير هذا المعنى،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۴۸

و هو أنّ العبد يؤثر الله تعالى و رسوله على نفسه، و هذا الإيثار بحسب مقام العبد، إمّا إيثار محبّة، مثل أن يحبّ الله تعالى و يحبّ رسوله عليه السّلام أعظم ممّا يحبّ نفسه و ماله و الوجود كلّه، و إمّا إيثار كشف، و هو أن يشهد أنّ الحقّ تعالى هو أولى منه بنفسه، و قد ورد في التّنزيل قوله تعالى: **النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**، ما ذاك إلاّ أنّ الله تعالى أولى بالنبيّ و بالمؤمنين من أنفسهم، و هذا المعنى هو أيضا من الإيثار طوعا، و هو يحسن من فاعله شرعا عادة و حقيقة، أمّا شرعا، فإنّ الشّرع ندب إلى الإيثار، و أمّا عادة فليس أحد من المخلوقات ينكر أنّ الإيثار حسن، و إن تفاوتت آراؤهم في مواطنه و شروطه، و أمّا حقيقة، فلأنّ الحقيقة تستأثر بالأمر كلّه، فليس لأحد أن يدّعي معها ملكا أصلا، آثر به، أو لم يؤثر، فإنّ الأمر كلّه لله، و إليه يرجع الأمر كلّه، فيقول:

إنّ الأثرة هو استحقاق المأثور، فإن آثر المؤثر طوعا وصل ذلك إلى صاحبه و هو صاحب الأثرة، و كان المؤثر قد أحسن، فهذا معنى قوله: يحسن طوعا.

قوله: و تصحّ كرها، يعني أنّ الحقّ تعالى يستأثر بملك الأشياء كلّها، و إن كره الجاحدون، و هي لا تصحّ كرها إلاّ بالنسبة إلى الله تعالى، أي يستحقّها، و إن كره الجاهل أنّها ملكه، و جميع ما استأثر به المؤمنون من غنائم الكافرين إنّما هو مال الله تعالى كانت الأثرة فيه لله تعالى، ثمّ ولاّها المؤمنين، و هو معنى قوله صلّى الله عليه و سلم: «أحلّت لي الغنائم، و لم تحلّ لنبيّ قبلي»

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۴۹

و أمّا قوله: الأثرة التّي نذكرها في الدّرجة الثالثة من هذا الباب فقد يجوز أن تسمّى كرها، بمعنى أنّ الحقيقة تغصب المشاهد ذاته/ فضلا عن ملكه قهرا، و قد يجوز أن تسمّى طوعا، و ذلك لأنّ أهل الشّهود أهل محبّة، و أكثرهم آثر الله تعالى على نفسه طوعا في زمن سلوكه، فلمّا جاءه التجلّي الذي يستأثر به يقينه و يقوم عنه بوجوده وجده مطاوعا، غاية ما في الباب أنّ التصرّف إذ ذاك ليس له بل الحقيقة، لكن الحقيقة ما تصرّفت في فنائه بما يكرهه، بل بما يحبّه، إذ هو مطلوب الذي كان يطلب، فإذا الأثرة المنقولة عن إيثاره هي طوع من العبد بالشّرح الذي ذكرناه.

[الدّرجة الأولى أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحرم عليك دينا، و لا يقطع عليك طريقا]

الدّرجة الأولى:

أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحرم عليك دينا، و لا يقطع عليك طريقا، و لا يفسد عليك وقتا.

هذا هو إيثار الدّرجة الأولى، و هو إيثار الخلق على نفسك و سيأتي ما هو فوق هذا.

قوله: تؤثر الخلق على نفسك أي تقدّمهم على نفسك في مصالحهم، مثل أن تطعمهم و تجوع الجوع الذي لا يخرجك عن الحدّ المشروع، و مثل أن تكسوهم و تعرى، و لا يؤدّي إلى التلف أو غيره ممّا لا يجوز فعله، و مثل أن تغنيهم بمالك و تفتقر و تتجرّد.

قوله: فيما لا يحرم عليك، احترازا من الإيثار بالمحارم، أو بما يؤدّي إلى ما لا يجوز شرعا، و هو معنى قوله: ما لا يحرم عليك دينا، أي في الدّين، أي المحرّم في الدّين و هي ملّة الإسلام.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۵۰

قوله: و لا يقطع عليك طريقا، احترز من الإيثار الذي يجوز فعله في الدّين من غير أن يؤدّي إلى تشتّت خاطر في طريقك، مثل أن تؤثر بقوتك حتّى تضعف عن وردك، أو يتفرّق خاطرك في طلب القوت، فتشتغل عن طريقك، فهذا ممّا يقطع عليك الطّريق، فلا يجوز لك فعله.

قوله: و لا يفسد عليك وقتا، أي يكون الإيثار سببا لفساد وقتك، مثل أن تكون مجموع الخاطر لكون قوتك حلالا فآثرت به الغير فعدت أنت تطلب القوت من الحلال فتعذّر عليك أو صعب فانفسد عليك الوقت بالتّفرقة، و كذلك كلّ شيء يفرّق خاطرك بعد ما كان مجموعا، فإنّ هذا الإيثار المؤدّي إلى هذا لا ينبغي أن يفعل، و من أجل هذا ترى الصوفيّة يقتسمون القوت،/ و يجعل لكلّ واحد منهم نصيب، فمن شاء قدّم الغداء، و من شاء أخّره إن كان صائما، حتّى يجتمع خاطر الصوفيّ و لا يتفرّق في طلب القوت، و ينحفظ عليهم الوقت في التوجّه و الاشتغال بالمهمّ.

و يستطاع هذا بثلاث أشياء: بتعظيم الحقوق، و مقت الشحّ، و الرّغبة في مكارم الأخلاق.

قوله: بتعظيم الحقوق، يعني أنّ من عظمت الحقوق عنده قام بواجبها، و عظّم أمرها، و استهول إضاعتها، و التّفريط في أدائها، فحمله ذلك على الإيثار.

قوله: و مقت الشحّ، يعني أنّ الشحّ و هو البخل، إذا مقته العبد التزم الإيثار، فإنّه يرى أنّه إن لم يؤثر وقع في الشحّ الذي هو يبغضه، فلا يرى

للخلاص ممّا يكره إلاّ بالإيثار.

قوله: و الرّغبة في مكارم الأخلاق، يعني أنّ كلّ من كان محبّا في مكارم الأخلاق، فإنّه يؤثر على نفسه، لأنّ الإيثار من أحسن مكارم

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۵۱

الأخلاق، فبهذه الثلاثة يستطيع الإنسان أن يؤثر الخلق على نفسه، و معنى يستطاع يقدر.

[الدّرجة الثانية إيثار رضا الله تعالى على رضا غيره]

الدّرجة الثانية:

إيثار رضا الله تعالى على رضا غيره، و إن عظمت فيه المحن، و ثقلت به المؤن، و ضعف عنه الطول و البدن.

إيثار رضا الله تعالى على رضا غيره، هو أن يفعل و يعتقد ما يرضي الله تعالى، و لو كان سبب غضب سائر المخلوقين، و هذه درجة لم يقم بها حقيقة إلاّ الأنبياء عليهم السّلام، خصّها بنبيّنا محمّد صلّى الله عليه و سلم، فإنّه بعث إلى الأحمر و الأسود، فقاوم النّاس أجمعين، و دعا إلى الله تعالى الجنّ و الإنس، فقام برضا الله تعالى، و لم يلتفت إلى سخط من سخط، و لا رضا من رضي إلاّ الله عزّ و جلّ، حتّى أظهر الله تعالى دينه و لو كره الكافرون.

قوله تعالى: و إن عظمت فيه المحن، فإنّ البلاء به يمتحن الله تعالى عباده، أي يختبرهم ليعلم الصّابرين، مع أنّه أعلم بذلك قبل الامتحان، و لكن لتقوم الحجّة لله تعالى.

قوله: و ثقلت فيه المؤن، أي يؤثر رضا الله تعالى على رضا غيره، و لو ثقلت فيه المؤن، و المؤن جمع مئونة، و هي الكلفة، أي و لو تكلّف في ذلك ثقلا عظيما/ و كلفة شاقّة.

قوله: و ضعف عنه الطول و البدن، الطول هو الفضل، و المراد به هاهنا الفاضل هن القدرة.

قوله: و البدن، أي قدرة البدن، فكأنّه قال: و لو ضعفت عنه قدرته، و الزّائد عن قدرته، فإنّه مع ذلك يؤثر رضا الله على رضا غيره.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۵۲

و يستطاع هذا بثلاثة أشياء: بطلب العود، و حسن الإسلام، و قوّة الصّبر.

قوله: يستطاع، معناه يقدر عليه.

قوله: بطلب العود، يعني بطلب العود إلى الله تعالى، فإنّ الذي يؤثر رضا الله تعالى على رضا المخلوقين يتصدّى لمعاداتهم، فيسعون في إتلافه، فما يقدم على معاداتهم في رضا الله تعالى، إلاّ من يطلب الموت، و هو العود إلى الله تعالى.

قوله: و حسن الإسلام، يعني أنّ من حسن إسلامه طلب رضا الله تعالى، و إن سخط عليه العالم كلّه، و من لم يحسن إسلامه لم يستطع ذلك.

قوله: و قوّة الصّبر، يعني أنّ من كان ضعيف الصّبر عجز أن يطلب رضا الله تعالى بإسخاط عبيده، فإنّه يتعرّض للامتحان بالشّدائد و المصائب من جهة المخلوقين، و لا يقدر على طلب رضا الله تعالى إلاّ أهل الصّبر على البلاء، فهذه الدّرجة الثانية من الإيثار.

[الدّرجة الثالثة إيثار إيثار الله]

الدّرجة الثالثة إيثار إيثار الله، فإنّ الخوض في الإيثار دعوى في الملك، ثمّ ترك شهود رؤيتك إيثار الله، ثمّ غيبتك عن التّرك.

قوله: إيثار إيثار الله تعالى، هو أن ترى أنّك إذا آثرت غيرك بشيء، فإنّ الذي آثره هو الحقّ تعالى لا أنت، فهذا هو إيثار إيثار الله تعالى، كأنّك آثرت الله تعالى بنسبة إيثارك إليه.

ثمّ بيّن الشيخ ما سبب كونه ينسب الإيثار إلى الله تعالى لا إلى نفسه فقال: فإنّ الخوض في الإيثار دعوى في الملك، فمن ادّعى من العبيد

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۵۳

أنّه موثّر، فقد ادّعى ملك ما آثر به غيره، و الملك حقيقة إنّما هو للّه تعالى، لا إلى نفسه، فآثر إيثار اللّه تعالى على إيثار نفسه خروجا عن دعوى الملك، فهذا معنى قوله: إيثار إيثار اللّه، فإنّ الخوض في الإيثار دعوى في الملك، و يعني بالخوض في الإيثار التعرّض للإيثار.

قوله: ثمّ ترك شهود رؤيتك إيثار اللّه تعالى،/ يعني أنّك إذا آثرت إيثار اللّه تعالى بتسليمك مع الإيثار إليه، فيلزمك شرط آخر، و هو أن تعرض عن شهود رؤيتك إنّك آثرت الحقّ تعالى بإيثارك و إنّك نسبت الإيثار إليه لا إليك، فإنّ في شهود رؤيتك أنّك آثرته دعوى أخرى أعظم من دعوى الملك، و هي إنّك ادّعيت أنّ لك شيئا آثرت به اللّه تعالى، و إنّك قدّمت الحقّ تعالى على نفسك فيه بعد أن كان لك، و هذه الدّعوى أصعب من الأوّل، فإذا يجب عليك أن تترك شهود رؤيتك إيثار إيثار اللّه تعالى، فلا تعتقد أنّك آثرت اللّه تعالى إيثارا للّه، بل هو الذي آثر نفسه، و إنّ الأثرة واجبة بإيجابه إيّاها لنفسه، لا بإيجابك إيّاها له.

قوله: ثمّ غيبتك عن التّرك، أي تغيب أيضا عن ذلك التّرك، فإنّك إن لم تغب عن ذلك التّرك بقيت معك دعوى أخرى، و هي دعوى أنّك تملك التّرك، و هي دعوى كاذبة، إذ ليس للعبد شيء من الأمر، لا الفعل و لا التّرك.

و بهذا المقدار تعلم أنّ الأثرة تصحّ كرها، فإنّ الإيثار و الأثرة من اللّه إن اختار العبد أو لم يختره، ألا إلى اللّه تصير الأمور.

و معنى أنّ الأثرة للّه تعالى و لو كره العبد، هو أنّ الشّهود و الكشف يظهران الأثرة للّه تعالى أنّ العبد لم يكن له قطّ شيء أصلا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۵۵

[باب الخلق]

باب الخلق قال اللّه تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ الإشارة في الآية إلى الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم، و إنّما كان خلقه عظيما، لأنّه تخلّق بأخلاق مستفادة من القرآن العظيم. و من تخلّق بعظيم كان خلقه عظيما. و قالت عائشة رضي اللّه عنها في رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «كان خلقه القرآن»، يعني أنّه تأدّب بآداب القرآن. قال عليه السّلام: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي».

قوله: الخلق ما يرجع إليه المتكلّف من نعته، معناه أنّ خلق كلّ متكلّف فهو ما اشتملت عليه نعوته، يعني صفاته، فكأنّه يقول: الخلق هو الصّفات المجموعة في الإنسان، فإن كانت حسنة فهو على خلق حسن، و إن كانت سيّئة فهو على خلق سيّئ، و معنى ما يرجع إليه، أي ما يشتمل عليه،/ كما يقال: فلان يرجع إلى دين و مروءة، و فلان

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۵۶

يرجع إلى حسب و عقل، فلذلك قال الشيخ هنا: الخلق هو ما يرجع المتكلّف إليه من نعته، أي من صفته.

و اجتمعت كلمة النّاطقين في هذا العلم أنّ التصوّف هو الخلق يقول: إنّ المتكلّمين في هذا العلم يعني علم التصوّف قد أجمعوا على أنّ التصوّف هو حسن الخلق.

و جماع الكلام فيه يدور على قطب واحد، و هو بذل المعروف و كفّ الأذى.

القطب هو العمود الذي تدور عليه الرّحى، و هو مثل المركز للدّائرة، و مثل الأصل للفرع، و الشيخ ضرب ذلك مثلا لمحاسن الأخلاق في كونها ترجع كلّها إلى أصل واحد، و هو بذل المعروف الذي من جملته كفّ الأذى، فإنّ كفّ الأذى أيضا هو من جملة بذل المعروف، و لذلك أنّ اللّه تعالى جعل لمن نوى أن يفعل خطيئة ثمّ تركها من خشية اللّه تعالى أن تكتب له حسنة، و قد ورد في الحديث الصحيح: إنّ اللّه تعالى يقول: إنّما تركها من جرّاي، أي من أجلي، فبذل المعروف هو قطب التصوّف.

و أهل زماننا يجعلون له ثلاثة أصول، و هي: كفّ الأذى، و احتمال الأذى، و إيجاد الرّاحة، و أنا أقول: إنّ هذه الثلاثة يجمعها كلّها بذل المعروف، فلذلك اقتصر الشيخ عليه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۵۷

و إنّما يدرك إمكان ذلك في ثلاثة أشياء: في العلم، و الجود، و الصّبر.

قوله: في العلم، يعني إنّ العلم يرشده إلى مواقع بذل المعروف ليضعه في مواضعه بترتيب معتدل.

قوله: و الجود، يعني إنّ الجود يجذبه إلى المسامحة بحقوق نفسه، و يدعوه إلى بذل نفسه في حقوق غيره، فالجود هو أصل الخير كلّه.

قوله: و الصّبر، يعني إنّ من علم مواقع بذل المعروف، و كان جوادا به، فإنّه يحتاج إلى الصّبر، إذ المداومة على بذل المعروف مشقّة عظيمة تحتاج إلى أن يستعين عليها بالصّبر، فهذه الثلاثة أشياء بها يدرك التصوّف، و التصوّف فهو زاوية/ من زوايا السّلوك في الحقيقة، بل هو تزكية النّفس لتقبل بعد ذلك السّلوك، غير أنّ أهل هذا الطّريق يسمّون الصوفيّة، مع أنّهم فوق مقام التصوّف.

[درجات الخلق]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى أن تعرف مقام الخلق أنّهم بأقدارهم مربوطون، و في طاقتهم محبوسون]

الدّرجة الأولى:

أن تعرف مقام الخلق أنّهم بأقدارهم مربوطون، و في طاقتهم محبوسون، و على الحكم موقوفون، فتستفيد بهذه المعرفة ثلاثة أشياء: أمن الخلق منك حتّى الكلب، و محبّة الخلق إيّاك، و نجاة الخلق بك.

قوله: أن تعرف مقام الخلق أنّهم بأقدارهم مربوطون، يعني ان تعرف مقادير النّاس، ثمّ بعد معرفتك مقاديرهم تعلم أنّ كلّ أحد لا يخرج عن مقداره، فهم مربوطون بأقدارهم، فلا ينبغي أن تطلب من النّاقص كمالا ما دام ناقصا، و لا من الكامل نقصا ما دام كاملا. فإن فعل الكامل

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۵۸

النّقص فهو كامل بذلك النّقص، و إنّ ذلك النّقص كمال في حقّه، و تسميته نقصا مجاز، و إنّما يكون نقصا من النّاقص، و هذا المعنى يحتاج إلى بسط ليظهر معناه، و ليس هنا مكان ذكره، فهذا معنى قوله: أن تعرف مقام الخلق أنّهم بأقدارهم مربوطون.

و مقصود الشيخ أن يعرف المتصوّف كيف يعاشر النّاس، و هو أنّه يجب عليه أن يعرف مرتبة من يعاشره، فيأتيه من حيث يحبّ، و لا يعاشره بما يكره، و إن كان حسنا في نفس الأمر، فإنّه ربّما عجز عن معرفة ذلك.

قوله: و في طاقتهم محبوسون، يعني أنّهم لا يقدرون على موافقة من فوقهم على شيء، لأنّهم محبوسون فيما يطيقون، و الحقّ تعالى يقول: **لا يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**. فينبغي للمتصوّف الذي يطلب حسن الخلق ألاّ يطلب من أحد إلاّ ما يقدر عليه، و يعذره في عجزه عمّا هو محبوس عنه، فلا يطالبه به، بل يكون معه في طوره ما دام مصاحبا له.

قوله: و على الحكم موقوفون، يعني بالحكم القضاء و القدر، و إن كان جميع ما ذكره قبل هو أيضا من جملة القضاء و القدر، و إذا كانوا على حكم القضاء و القدر/ موقوفون، فكيف يلامون على ما يصدر منهم، بل يعذرون، فإن بدت منهم في حقّك هفوة فهي من أحكام القدر فيك و فيهم، فاغفر لهم ذلك و اشكرهم حتى تزيل عنهم وحشة الذّنب، و يستريحون من العذر، و ابذل لهم المعروف، و احمل عنهم الأذى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۵۹

قوله: فتستفيد بهذه المعرفة ثلاثة أشياء: أمن الخلق منك حتّى الكلب، و هذه الخصلة الواحدة هي كفّ الأذى.

قوله: و محبّة الخلق إيّاك، يعني أنّ مقتهم منك و بذل معروفك لهم يوجب محبّتهم إيّاك، و هذا أمر معروف.

قوله: و نجاة الخلق بك، يعني أن تبذل لهم معروفك الدنيويّ و الأخرويّ، فينجون منك، فلا يتأذّون، و ينجون بك إذا أرشدتهم إلى طريق سعادتهم الأخرويّة، فلا يشقون.

[الدّرجة الثانية: تحسين خلقك مع الحقّ و تحسينه منك]

الدّرجة الثانية:

تحسين خلقك مع الحقّ، و تحسينه منك، أن تعلم أنّ كلّ ما يأتي منك يوجب عذرا، و أنّ كلّ ما يأتي من الحقّ يوجب شكرا، و أن لا يرى له من الوفاء بدّا.

قال رضي الله عنه، إنّ تحسين خلقك مع الله تعالى هو أن تعلم أنّ النّاقص لا يأتي منه إلاّ النّقص، و العبد بالنسبة إلى ما يجب عليه لله تعالى ناقص، فكلّ ما يأتي به هو ناقص، و النّقص يجب العذر منه، فيفهم من هذا أنّه يجب على العبد أن يعتذر من كلّ ما يبدو منه حسنا كان أو سيّئا، فإنّ الحسن ناقص بالنّسبة إلى ما يجب عليه، فيكمله بالاعتذار، و هذا هو من حسن الخلق مع الله تعالى.

قوله: و إنّ كلّ ما يأتي من الحقّ تعالى يوجب شكرا، يعني أنّ الحقّ تعالى لا يفعل مع عباده إلاّ الخير، و لذلك قال صلّى الله عليه و سلم في مناجاته لربّه

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۶۰

عزّ و جلّ: «الخير كلّه بيديك، و الشرّ ليس إليك». و إذا كان كلّ ما يرد من الحقّ تعالى هو خير، فيجب الشّكر على العبد مقابلة لذلك الخير. و قد مضى شرح مقام الشّكر، فيشكر الله تعالى بالشّكر الذي ذكره الشيخ في مقام الشّكر بمقتضى الدّرجة التي تليق به.

قوله: و أن لا يرى له من الوفاء بدّا، يعني أنّ معاملته للحقّ تعالى بمقتضى الاعتذار/ من فعل نفسه، و الشّكر على فعل ربّه لا يرى بدّا من المداومة عليه، فإنّ ذلك هو الوفاء الذي ينبغي أن لا يجد منه بدّا.

[الدّرجة الثالثة التخلّق بتصفية الخلق]

الدّرجة الثالثة:

التخلّق بتصفية الخلق، ثمّ الصعود عن تفرّق التخلّق بمجاوزة الأخلاق.

التخلّق بتصفية الخلق، أي بتكميل ما ذكرناه في الدّرجتين الأوليين، ثمّ ينتقل عن ذلك إلى ما فوقه، ثمّ الصعود عن تفرّق التخلّق، يعني أن يشتغل بالسّلوك إلى الله تعالى، فإنّ التخلّق و التصوّف كما ذكرنا ليس هو من السّلوك، بل هو تفرقة عن السّلوك، و لذلك قال الشيخ رضي

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۶۱

الله عنه: ثمّ الصّعود عن تفرّق التّخلّق، و إنّما كان التخلّق تفرّقا لأنّ التخلّق اشتغال بالغير، و السّلوك يقتضي الاشتغال بالحقّ تعالى عمّا سواه.

قوله: ثمّ التخلّق بمجاوزة الأخلاق، يعني ثمّ أن يتّصف بالغيبة عن التخلّق و الأخلاق، و هذه الغيبة على مراتب، فأقلّها الاشتغال باللّه تعالى عن كلّ ما سواه، و أعلاها الفناء في الفردانيّة، و هي حضرة الجمع، و ما بين ذلك من المراتب، و كلّها لا نصيب قبلها للاكتساب، لكن العبد يتعرّض لنفحات المواهب الإلهيّة لعلّها تنفح، و ينتظر ليل الحجاب لعلّه يصبح:

تعرّض لأرام الصّريم لعلّها ... بألحاظها ترمي حشاك فتجرح
تعرّض لهبّات النّسيم صباحا ... فقد هبّ خيريّ الرّياح و فاحا

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۶۳

[باب التّواضع]

باب التّواضع قال الله تعالى: وَ عِبٰادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً.

التّواضع أن يتواضع العبد لصولة الحقّ.

الهون هو السّكينة و الخشوع و الوقار و الذلّ للحقّ، و لذلك قال الشيخ رحمه الله هنا: التّواضع هو أن يتواضع العبد لصولة الحقّ، و ما تقابل

صولة العزيز إلاّ بالذلّ، و قد يريد بالحقّ هنا ضدّ الباطل، و العبد ينبغي له أن يتلقّى الحقّ بالخضوع لسلطانه، فإنّ للحقّ صولة، قال عليه السّلام: إنّ لصاحب الحقّ مقالا، أي مقالا مسموعا مطاعا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٢٦۴

[درجات التواضع]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى: التّواضع للدّين]

الدّرجة الأولى:

التّواضع للدّين، و هو أن لا يعارض بمعقول منقولا، و لا يتّهم للدّين دليلا، و لا يرى إلى الخلاف سبيلا.

التّواضع للدّين، يعني بالتّواضع هنا حسن الأدب مع الدّين، و يعني بالدّين دين الإسلام، قال الله تعالى: **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلٰامُ**، و المقصود هنا طاعة الأمر تقليدا و إيمانا، من غير تعقّل شيء إلاّ كيفيّة العبادة، و قد ورد في موقف الأمر للشيخ محمّد بن عبد الجبّار رحمه الله، أوقفني و قال لي: إذا أمرتك بأمر فامض لما أمرتك به، و لا تنتظر بأمري علم أمري، إنّك إن تنتظر بأمري علم أمري تعص أمري. و قال لي: إذا لم تمض لأمري أو يبدو لك علمه، فلعلم الأمر أطعت لا الأمر. و كذلك قال الشيخ رضي الله عنه هنا، و هو أن لا يعارض بمعقوله منقولا، أي لا يعارض المنقول من الكتاب و السنّة بمعقول يخالف حكم الكتاب و السنّة.

قوله: و لا يتّهم على الدّين دليلا، أي يقبل أدلّة العلم الشرعيّ و لا يتّهمها، و ذلك هو محض الإيمان.

قوله: و لا يرى إلى الخلاف سبيلا، أي يكون إيمانه قويّا يحكم عليه حتّى لا يجد في باطنه إلى مخالفة الشّرع طريقا.

و مجموع ما ذكر في هذه الدّرجة، هو من التّواضع للحقّ الذي هو ضدّ الباطل.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٢٦٥

و لا يصحّ ذلك إلاّ بأن تعلم أنّ النجاة في البصيرة و الاستقامة بعد الثقة، و أنّ البيّنة وراء الحجّة.

البصيرة هي هنا العلم، و يريد العلم المنقول الشرعيّ لا العلم العقليّ، و المقصود أنّ العبد يعتقد أنّ نجاته في العلم الشرعيّ و العمل بمقتضاه.

قوله: و الاستقامة بعد الثقة، أي الاستقامة في العمل تحصل بعد الثّقة بصحّة العلم الشرعيّ إيمانا.

قوله: و أنّ البيّنة وراء الحجّة، معناه أنّ العبد بعد اعتقاده أنّ النجاة في البصيرة الّتي هي العلم، و بعد اعتقاده أنّ الاستقامة في العمل هي بعد الثّقة بالعلم أنّ النجاة فيه، يجب أن يعلم أيضا أنّ البيّنة/ و هو الاتّضاح هو وراء الحجّة، أي بعد الحجّة، يعني أنّه يجب على العبد أن يقبل حجّة الله تعالى على عباده قبولا مجرّدا عن الممانعة، بل محض الإيمان، و يعلم أنّه إذا فعل ذلك اتّضح له بعد العمل الصّالح ما كان قد أشكل عليه من وجه قيام الحجّة عليه لله تعالى، فإنّ العمل نور يجلو ظلمة الجهل، و لذلك قال تعالى: **وَ مَنْ يَتَّقِ اللهِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**، **إِنْ تَتَّقُوا اللهِ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقٰاناً**، أي نورا يفرق به بين الحقّ و الباطل، و بين الحجّة الواجبة و المعترضات الكاذبة.

فبهذا القدر يتبيّن لك أنّ البيّنة وراء الحجّة، أي بعدها، و لفظ وراء هنا يعطي معنى وراء و قدّام، كما قال تعالى: **وَ يَذَرُونَ وَرٰاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً**. أي قدّامهم، فالبيّنة على هذا الحكم تكون أمام الحجّة الّتي هي حجّة الله تعالى على عباده، و أنّ كلّ من قبل حجّة الله عليه إيمانا، فسوف يبيّنها الله تعالى له عيانا إذا عمل عمل أهل التّقوى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٢٦٦

[الدّرجة الثانية أن ترضى بمن رضي الحقّ به لنفسه عبدا من المسلمين أخا]

الدّرجة الثانية:

أن ترضى بمن رضي الحقّ به لنفسه عبدا من المسلمين أخا، و أن لا تردّ على عدوّك حقّا، و تقبل من المعتذر معاذيره.

قوله: أن ترضى بمن رضي الحقّ به لنفسه عبدا من المسلمين أخا، يعني أنّ من رضي الحقّ به عبدا، ينبغي أن ترضى أنت به أخا، أي تجعله أخا بشرط أن يكون مسلما، و لذلك قال: من المسلمين، و ذلك لأنّه يقبح على العبد أن يتكبّر على عبد مثله إذا كانا كلاهما عبدين لواحد، و المسلمون كلّهم عبيد لواحد الحقّ، و قد رضي أن يجعلهم عبيده، فلذلك يجب عليك أن ترضى بهم أن يكونوا أخوة لك موافقة للحقّ، و معرفة لقدر نفسك، إذ أنت عبد مثلهم، و الدليل على أنّ الله تعالى رضي بالمؤمنين أن يكونوا عباده قوله: **ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا، وَ أَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلىٰ لَهُمْ.**

قوله: و أن لا تردّ على عدوّك حقّا، أي لا توجب على من عاداك حقّا تطلبه منه، بل تهبه حقوقك، هذا بالنّسبة إلى من عاداك، فكيف من صادقك و أحبّك، و إذا كنت لا تطلب من عدوّك حقّا/ من حقوقك، فينبغي أن توجب حقوقه عليك، فتوصله إلى حقّه هذا، و هو عدوّك، فكيف حبيبك.

قوله: و تقبل من المعتذر معاذيره، يعني أنّك إذا أساء أحد إليك ثمّ جاء معتذرا، فيجب عليك أن تقبل عذره حقّا كان أو باطلا، فإنّ الشيخ قال: و تقبل من المعتذر معاذيره، و لم يفرق بين المعاذير الصادقة و الكاذبة، بل قال: تقبل معاذيره مطلقا، يعني حقّا كانت أو باطلا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۶۷

و هذه الدّرجة أيضا التّواضع فيها للحقّ الذي هو ضدّ الباطل.

[الدّرجة الثالثة: أن تتّضع للحقّ، فتنزل عن رأيك و عوائدك في الخدمة]

الدّرجة الثالثة:

أن تتّضع للحقّ، فتنزل عن رأيك و عوائدك في الخدمة، و رؤية حقّك في الصّحبة، و عن رسمك في المشاهدة.

قوله: تتّضع للحقّ، يعني بالحقّ هنا الحقّ تبارك و تعالى، فإنّ التّواضع في هذه الدّرجة يختصّ بالتّواضع لله تعالى.

قوله: فتنزل عن رأيك و عوائدك في الخدمة، يعني أن تخدم الحقّ تعالى و تعبده بما أمرك به على مقتضى ما أمرك به، لا على ما تراه أنت من رأيك، و المقصود أن لا تعبد الله تعالى إلاّ بمقتضى العلم الظّاهر، و تكون في العبادة خاليا من آرائك و عقلك، و كذلك تخرج من عوائدك التي تناقض الخدمة مثل كثرة الأكل، و كثرة النوم، و مصاحبة من يشغلك عن الخدمة.

قوله: و رؤية حقّك في الصّحبة، أي يجب عليك أن لا ترى لنفسك حقّا على الله تعالى لأجل عملك، فإنّ صحبتك مع الحقّ، أي مع خدمة الحقّ تعالى توجب عليك الأدب، و من جملة الأدب أن لا تطلب من الله تعالى حقّا أوجبه على نفسه لك، و كذلك أيضا لا تطلب حقّا من حقوقك من النّاس، و قد مضى شرح ذلك في الدّرجة الثانية. فمعنى قوله: و رؤية حقّك في الصّحبة، أي و تنزل عن رؤية حقّك في الصّحبة.

و قوله: و عن رسمك في المشاهدة، أي و من جملة التّواضع للحقّ نزولك عن رسمك في المشاهدة، و هو أن تترك رسمك لتفنيه الحقيقة، و إن كان هذا النزول هو غير متكسب، بل هو ذاتيّ، لأنّ التجلّي نور، و النّور ينفر الظلمة،/ و الرّسم كلّه ظلمة، فهي تنفر من النّور ضرورة،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۶۸

و تنعدم به حقيقة، لكن الشيخ رحمه الله سمّاه نزولا مجازا، لأنّ النّزول تارة يكون طوعا كالدّرجتين الأوليين، و تارة يكون كرها و طوعا كالدّرجة الثالثة، و إن كان في الحقيقة رجع الجميع إلى القهر الإلهيّ، فإنّه لا تتحرّك ذرّة إلاّ بإذنه، و الله غالب على أمره، فهذا هو النزول عن الرّسم في المشاهدة، و معنى الرّسم ذات العبد، و معنى النّزول عن الشيء تركه للغير ليتصرّف فيه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۶۹

[باب الفتوّة]

باب الفتوّة قال الله تعالى: إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدىً.

نكتة الفتوّة أن لا تشهد لك فضلا، و لا ترى لك حقّا.

الفتية جمع فتى، و قد يكون الفتى من الفتوّة، و قد يكون من الفتاء الذي هو الصّبي.

قوله: نكتة الفتوّة، أي خلاصة الفتوّة، و النكتة هي مثل النّاظر بالنّسبة إلى الحدقة، فإنّه هو أشرفها، و هو المقصود الذي لأجله خلقت العين، إذ به يكون الإبصار، و كذلك النكتة في القلب هي المهجة، و هو الدم الذي يكون في وسط القلب الذي به تكون الحياة بتقدير الله تعالى، فنكتة الفتوّة قلب الفتوّة، و إنسان عين الفتوّة.

و حقيقة قوله: أن لا تشهد لك، أي لنفسك فضلا، أي على أحد، و الفضل هو الزيادة.

قوله: و لا ترى لك حقّا، أي لا تطلب من أحد لنفسك، بل تعتقد أنّ الحقوق تجب عليك و لا تجب لك، و هذه هي الفتوّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۷۰

[درجات الفتوة]

و هي على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى ترك الخصومة، و التّغافل عن الزلّة، و نسيان الأذيّة]

الدّرجة الأولى:

ترك الخصومة، و التّغافل عن الزلّة، و نسيان الأذيّة.

ترك الخصومة، أن لا تخاصم أحدا على حقّك، بل تتركه له، و هو لم يرد بالخصومة إلاّ أن يتركها من قلبه، أي لا يجعل نفسه في مقابلة أحد، فإنّ كلّ من أردت أن تطلب حقّك منه، فقد جعلت نفسك خصما، و إن لم تنطق بالطّلب، فالمقصود أن لا تخاصم، و لا تخطر لك الخصومة أيضا على خاطر، و لا تنوي أن تقابل أحدا.

قوله: و التغافل عن الزلّة، يعني أنّ العبد الذي يروم الفتوّة إذا رأى زلّة من أحد و تحقّقها، أظهر أنّه ما رآها ليزول/ صاحبها عن الوحشة، و يريحه من العذر.

قوله: و نسيان الأذيّة، يعني أنّه يجب عليه أن يتناسى أذيّة من آذاه، حتى يصفو له قلبه، و تحسن معه عشرته.

[الدّرجة الثانية أن تقرّب من يعصيك، و تكرم من يؤذيك]

الدّرجة الثانية:

أن تقرّب من يعصيك، و تكرم من يؤذيك، و تعتذر إلى من يجني عليك سماحا لا كظما، و توادّا لا مصابرة.

قوله: أن تقرّب من يعصيك ظاهر، و المراد بتقريبه إلزام نفسك بمعاشرة الضدّ و الإحسان إليه حتّى يحصل حسن التخلّق بالفتوّة.

قوله: و تكرم من يؤذيك ظاهر أيضا، و المقصود منه مثل المقصود من الأوّل، و زيادة احتمال الأذى حتّى يصير عادة فيتخلّق بذلك تحقيقا للتفوّه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۷۱

قوله: و تعتذر إلى من يجني عليك، يعني أن تسبق الجاني بالعذر عن نفسه، فتقول له: عذرك كذا و كذا، و ربّما وجب عليك أن تعتذر على نفسك أيضا بأن تقول له: أنت معذور في أمري، لأنّك لو لم تر عندي من النّقص ما يوجب أكثر من هذا لما فعلت ما فعلت، فالذّنب إذا ذنبي، و أنت معذور.

قوله: سماحا لا كظما، و توادّا لا مصابرة، يعني، أنّ معاملتك للجاني باللّطف اجعلها سماحا و طيبة نفس، لا كظما للغيظ، فإنّ الكظم دليل على

أنّ في باطنك خلاف ما أنت عليه في ظاهرك، و المقصود إنّما هو الباطن، فإذا انصلح انصلح الظّاهر تبعا له.

و كذلك قوله: توادّا، أي يفعل ذلك للتودّد لا للمصابرة، أي تصبر على الأذى، بل تودّ من جنى عليك و تحبّ بقلبك، فإذا فعلت ذلك كانت ملاطفتك إيّاه من غير مشقّة تحتاج فيها إلى المصابرة على المكروه.

و مقصود الشيخ أن تجعل احتمال الأذى عندك محبوبا لا مكروها.

[الدّرجة الثالثة أن لا تتعلّق في المسير بدليل، و لا تشوب إجابتك بعوض]

الدّرجة الثالثة:

أن لا تتعلّق في المسير بدليل، و لا تشوب إجابتك بعوض، و لا تقف في شهودك على رسم.

قوله: ألّا تتعلّق في المسير بدليل، أي لا تستدلّ بدليل، يعني بالدّليل الأدلّة العقليّة، و يدلّ على أنّه ما أراد إلّا دليل العقل لا دليل المشايخ قوله في آخر هذا الباب: ثمّ في علم الخصوص من طلب نور الحقيقة/ على قدم الاستدلال لم تحل له دعوى الفتوّة أبدا، و أمّا الاستدلال بالمشايخ، فإنّه واجب عند هذه الطّائفة، بحيث يكون مع المشايخ بالأدب، و مع الله تعالى بصدق الطّلب، و كلّما جمعك على الله تعالى فافعله، و كلّما فرّقك عن الله تعالى فاتركه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۷۲

و الاستدلال بأدلّة المعقول و المنقول مفرّقة في الغالب، و إنّما يجمع القلب نور التعرّف الإلهيّ، **ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشٰاءُ**.

قوله: و لا تشوب إجابتك بعوض، يعني إنّك قد أجبت داعي الله تعالى، و سلكت طريقه، فلا تمزج هذه الإجابة بعوض من الله تعالى فضلا عن المخلوق، و ذلك لأنّك متى طلبت العوض من الله تعالى، فأنت طالب عرض، و لست عبدا على الحقيقة.

قوله: و لا تقف في شهودك على رسم، أي لا يكون منك نظر إلى السوي عند الشهود، و هذا المعنى قد كثر من الشيخ ذكره، و لم يبيّن أنّه غير مكتسب، لكن الشيخ رحمه الله اعتمد فيه على من يشرح كتابه، و إلّا فالشهود إذا صحّ محا الرّسوم في نظر المشاهد، فلا حاجة إلى أن يشترط عليه عدم الوقوف على الرّسوم، و الرّسوم هي الأغيار و عالم الخلق.

و اعلم أنّ من أحوج عدوّه إلى شفاعة، و لم يخجل من المعذرة إليه، لم يشمّ رائحة الفتوّة.

يقول: إنّ العدوّ إذا علم منك أنّك متألّم منه احتاج إلى الاعتذار إليك، فينبغي ألّا تتألّم منه حتّى لا تحوجه إلى العذر، ثمّ إنّك إن أحوجته إلى العذر و لم تخجل من كونك أحوجته إليه، لم تشمّ رائحة الفتوّة، أي لم يكن لك نصيب من الفتوّة، لا قليل و لا كثير.

ثمّ في علم الخصوص، من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال، لم تحلّ له دعوى الفتوّة أبدا.

الشيخ رضي الله عنه في هذا يردّ على المشتغلين بالمعقول، و فيه معنى لطيف، كأنّه يقول: إذا لم يجز لك أن تحوج عدوّك إلى العذر، فكيف تحوج الرّسول صلّى الله عليه و سلم أن ينزل إلى مقدار عقلك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۷۳

[باب الانبساط]

باب الانبساط / قال الله تعالى حاكيا عن كليمه عليه السّلام: أَ تُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ السُّفَهٰاءُ مِنّٰا، إِنْ هِيَ إِلاّٰ فِتْنَتُكَ.

الانبساط إرسال السجيّة، و التّحاشي من وحشة، و هو السير مع الجبلّة.

ظاهر الآية يقتضي انبساط الكليم عليه السّلام في قوله: **إِنْ هِيَ إِلاّٰ فِتْنَتُكَ**، الآية، و متى حمل لفظ الفتنة على الاختبار، لم يبق له ما يدلّ على الانبساط، لأنّ المعنى يعود إلى أنّه يقول: إن هي إلّا اختبارك لعبيدك، تضلّ بذلك من تشاء، أي تظهر بذلك الاختبار ضلال من تشاء، فيكون فيه من المجاز التغيّر بقوله تعالى: **تُضِلُّ**، أي تظهر الضّلال، و ذلك جائز.

قوله: الانبساط، إرسال السجيّة، معناه اطّراح التكلّف و التصنّع في الكلام و في الفعل و في السجيّة، و هي واحد السّجايا، و هي الطّباع.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۷۴

قوله: و التّحاشي من وحشة الحشمة، يعني بالتّحاشي التجنّب عن وحشة الحشمة، و المراد بالحشمة الحياء، و لا شكّ أنّ المستحيى مستوحش.

قوله: و هو السير مع الجبلّة، يعني أنّ الانبساط هو المشي مع ما جبل الله تعالى عليه العبد من الأخلاق من غير تكلّف.

[درجات الانبساط]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى الانبساط مع الخلق]

الدّرجة الأولى:

الانبساط مع الخلق، و هو أن لا تعتزلهم ضنّا على نفسك، أو شحّا على حظّك، و تسترسل لهم من فضلك و تسعهم بخلقك، و تدعهم يطؤونك، و العلم قائم، و شهود المعنى دائم.

قوله: و هو أن لا تعتزلهم ضنّا على نفسك، معناه ألّا تنعزل عنهم بخلا عليهم بنفسك، فإنّ الضنّ هو البخل.

قوله: أو شحّا على حظّك، يعني إنّك إذا كان لك حظّ في الخلوة، و راحة في العزلة، ينبغي أن تتركها تكرّما على جلسائك، بحضورك معهم، و تؤثر صحبتهم على حظوظك إن أردت أن تتخلّق بالانبساط، فهذا معنى قوله: أو شحّا على حظّك، أي لا تتركهم لأجل شحّك على حظوظك التي تحصل في الخلوة.

قوله: و تسترسل لهم في فضلك، الفضل هو الزيادة عمّا تحتاج إليه، و المراد بالاسترسال في الفضل/المواساة لهم بما فضل عن ضرورتك، و قد يريد بالفضل الإحسان مطلقا، و الأوّل أصحّ.

قوله: و تسعهم بخلقك، أي توسّع أخلاقك في احتمال ما يبدو منهم من سوء العشرة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۷۵

قوله: و تدعهم يطؤونك، أي يدوسونك، و هي إشارة إلى التّواضع لهم، بحيث لا تترك لنفسك بينهم رتبة يحترمونك لأجلها.

قوله: العلم قائم، يعني يكون تواضعك لهم و احتمالك على الحدّ المشروع، بحيث لا يخرج في مسامحتهم إلى أن يتعدّوا حدود الله تعالى، و يصلوا في الانبساط إلى ما لا يحلّ، فإنّ ذلك لا يجوز لك، فهذا معنى قوله: و العلم قائم، يعني و الشّرع قائم، كأنّه قال: و علم الشّريعة بينكم يحدّ لكم قدر الانبساط، حتّى لا تتعدّوه.

قوله: و شهود المعنى دائم، يعني و شهودك معنى الانبساط باق، كأنّه قال: لا يخرجك العلم إلى اليبس، و لا يخرجك الانبساط إلى المحرّمات، و هذا المعنى يشبه قول بعضهم: لا تكن ليّنا فتعصر، و لا يابسا فتكسر.

[الدّرجة الثانية الانبساط مع الحقّ]

الدّرجة الثانية:

الانبساط مع الحقّ، و هو أن لا يحبسك خوف، و لا يحجبك رجاء، و لا يحول بينك و بينه آدم و حوّاء.

قوله: أن لا يحبسك خوف، معناه ألّا يمنعك من الانبساط، و ذلك إنّك لا ينبغي في مقام الانبساط أن يحصل شيء من الاجتناب، و معناه بالنسبة إلى النّاس أنّ الخوف قد يكون سبب التجنّب في العادة، فإذا حضر الانبساط زال الخوف و التجنّب، و حقيقته بالنسبة إلى أهل هذه الطّريقة هو أنّ الانبساط لا يكون إلّا للعارفين و أهل التجليّات.

و قد تقدّم في مقام الخوف هو من مقامات العوامّ، لا من مقامات العارفين، و لا من مقامات أهل الخصوص، فالبسط لا يجتمع مع

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۷۶

الخوف، إذ هو نقيضه، لأنّ البسط من عالم الجمال، و الخوف من عالم الجلال، و أيضا فإنّ البسط من عالم الجمال من معاني الاسم الباسط عزّ و جلّ، و الخوف من أحكام الاسم القابض عزّ و جلّ، و بين معنييهما تقابل لا من جهة المسمّى بهما جلّت قدرته، فثبت أنّ الانبساط مع الحقّ تعالى لا يكون إلاّ مع تجنّب الخوف، و هو أيضا/ ألاّ يجيء بك إليه خوف.

قوله: و لا يحجبك رجاء، الرّجاء يحجب عن الانبساط من جهة أنّ صاحب الحاجة متملّق لأجل تحصيلها، و صاحب الانبساط غير تملّق، بل هو على حال الجبلّة و الخلقة من غير تكلّف.

[الدّرجة الثالثة الانبساط في الانطواء عن الانبساط]

الدّرجة الثالثة:

الانبساط في الانطواء عن الانبساط، و هو رحب الهمّة لانطواء انبساط العبد في بسط الحقّ جلّ جلاله.

الانبساط في الانطواء عن الانبساط قد فسّره الشيخ رحمه الله في قوله: و هو رحب الهمّة، لانطواء انبساط العبد في بسط الحقّ، و هذا الانطواء هو أن لا يرى العبد لنفسه بسطا و لا قبضا، ملاحظة لكون الحقّ تعالى هو الباسط من غير واسطة، فتضيع صفة العبد في صفة الحقّ جلّ جلاله من باب توحيد الأفعال.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۷۷

[قسم الأصول]

و أمّا قسم الأصول، فهو عشرة أبواب، و هي:

القصد و العزم و الإرادة و الأدب و اليقين و الأنس و الذّكر و الفقر و الغنى و مقام المراد

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۷۹

[باب القصد]

باب القصد قال الله تعالى: وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ، ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ.

القصد الإزماع على التّجريد للطّاعة،

[درجات القصد]

و هو على ثلاث درجات: المهاجر هو الذي هجر أرضه، و قصد أرضا أخرى.

قوله: القصد الإزماع هو ثبوت العزم على الحركة و الشروع فيها، و التّجريد للطّاعة معروف.

[الدّرجة الأولى قصد يبعث على الارتياض]

الدّرجة الأولى:

قصد يبعث على الارتياض، و يخلص من التردّد، و يدعو إلى مجانبة الأغراض.

يبعث على الارتياض، الارتياض هو الرّياضة، و يبعث يعني يحرّك العزم على الرّياضة، و قد تقدّم شرح معنى الرّياضة في بابه، و يخلص من التردّد، يعني يخلص القلب إلى الطّاعة، و يريحه من التوقّف عن الخدمة.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ۱، ص ۲۸۰

قوله: و يدعو إلى مجانبة الأغراض، يعني يجذب القلب إلى عبادة الحقّ بلا غرض، و يعني بالغرض غرض الرّياء و السمعة و شبه ذلك.

[الدّرجة الثانية قصد لا يلتقي سببا إلاّ قطعه، و لا حائلا إلاّ منعه]

الدّرجة الثانية:

قصد لا يلتقي سببا إلاّ قطعه، و لا حائلا إلاّ منعه، و لا تحاملا إلاّ سهّله.

يعني لا يلتقي سبب تعويض إلاّ قطعه، و لا حائلا دون العادة إلاّ منعه، و لا تحاملا و هو الصعوبة إلاّ سهّله، و يعني بالتّحامل صعوبة العبادة و مشقّتها.

[الدّرجة الثالثة قصد الاستسلام لتهذيب العلم، و قصد إجابة دواعي الحكم]

الدّرجة الثالثة:

قصد الاستسلام لتهذيب العلم، و قصد إجابة دواعي الحكم، و قصد اقتحام بحر الفناء.

الاستسلام هو الانقياد، يعني أن ينقاد إلى العلم ليتهذّب به، أي يصلحه العلم و ينقّيه من الجهل.

قوله: و قصد إجابة دواعي الحكم، يعني و قصد إجابة دواعي الحقّ تعالى في كلّ عمل صالح، فإنّ للحقّ تعالى في كلّ مسألة من مسائل العلم نداء ينادي به العبد للعمل اللائق بتلك المسألة. و هذا القصد هو إجابة ذلك النّداء، و ذلك هو إجابة دواعي الحكم، و يعني بالعلم علم الشّريعة، و الحكم في علم الشّريعة هو سرّ الله الدّاعي إليه دون سواه، و هو من مبادئ تعرّف الله تعالى إلى قلب عبده، و هو أوّل أبواب الميل إلى الفناء.

قوله: و قصد اقتحام بحر الفناء، يعني الانجذاب بنور التجلّي إلى الفناء في عين الجمع الذي هو باب الحضرة الإلهيّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۸۱

[باب العزم]

باب العزم قال الله تعالى: فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ.

العزم تحقيق القصد طوعا أو كرها.

[درجات العزم]

و هو على ثلاث درجات: العزم هو أوّل الشروع في الحركة لطلب المقصود، و هو معنى قوله: تحقيق القصد طوعا أو كرها. أمّا طوعا فظاهر، و أمّا كرها ففيه نظر.

[الدّرجة الأولى إباء الحال على العلم لشيم برق الكشف]

الدّرجة الأولى:

إباء الحال على العلم لشيم برق الكشف، و استدامة نور الأنس، و الإجابة لإماتة الهوى.

إباء الحال على العلم هو امتناع الحال عن طاعة العلم، لأنّ العلم يدعو إلى أحكام الغيبة و الحجاب، و الحال يدعو إلى أنس الكشف و الحضور، و ذلك هو أوّل درجات الانتقال عن مقام الأبرار إلى مقام من أوّل مقامات المقرّبين، و ذلك لشيم برق الكشف، و شيم البرق هو

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۸۲

النّظر إليه، و قد شبّه الكشف منّا/ بالبرق، لأنّ الكشف في هذه الدّرجة الأولى ضعيف، فهو يشبه البرق الذي يلوح ثمّ يروح.

قوله: و استدامة نور الأنس، يعني أنّ ذلك الكشف يدعو إلى الأنس، و هذا العزم هو استدامة ذلك الأنس.

قوله: و الإجابة لإماتة الهوى، إماتة الهوى هنا هو إماتة خاصّة بإماتة هوى البقاء في الحجاب، و ذلك أنّ بعض السّالكين إذا أشرفوا على الكشف أحسّوا بحالة تشبه الموت، و هي مبادئ الفناء، فتهوي أنفسهم العود إلى الحجاب خوفا من الانعدام لما جبلت عليه الأنفس من

كراهيّة الموت، فهذا الهوى إذا حصل العزم أميت، و لم يلتفت إليه رغبة في الفناء في الحضرة، فإنّ الحقيقة لا تبدو إلاّ بعد فناء البشريّة، لأنّ الحقّ تعالى لا يشهد بحضور سواه، بل لا يراه سواه.

[الدّرجة الثانية الاستغراق في لوائح المشاهدة]

الدّرجة الثانية:

الاستغراق في لوائح المشاهدة، و استنارة ضياء الطّريق، و استجماع قوى الاستقامة.

الاستغراق هو فقدان الإحساس بعين المشاهد في لوائح المشاهدة، يعني فيما يلوح من جمال المشهود.

قوله: و استنارة ضياء الطّريق، يعني ظهور الجادّة و وضوحها و اتّصالها بمحلّ المشاهدة، كمن يصل إلى قريب من المدينة و يرى الطّريق واضحة، إلى أن يتّصل بباب المدينة، فهو حينئذ قد أيقن بالوصل، و أمن من المعارض، و أيقن أنّه لا يضيع عن باب المدينة، و كذلك هذا السّالك، قد انقطعت عنه الموانع، و استبان له الطّريق، و أيقن بالوصلة

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۸۳

لظهور الدّلالة على حصول المقصود، كما يدلّ ظهور الشفق الأحمر على قرب طلوع الشمس، و لله المثل الأعلى في السّماوات و الأرض.

قوله: و استجماع قوى الاستقامة، يعني توافق ظاهره باطنه في الاستقامة على طريقة الوصول.

[الدّرجة الثالثة معرفة علّة العزم]

الدّرجة الثالثة:

معرفة علّة العزم، ثمّ العزم على التخلّص من العزم، ثمّ الخلاص من تكاليف ترك العزم، فإنّ العزائم لم تورث أربابها ميراثا أكرم من وقوفهم على علل العزائم.

معرفة علّة العزم هو مطالعة كون العزم من فضل الحقّ تعالى لا من العبد، فإذا نسب العزم/إلى نفسه، فتلك النسبة هي العلّة و المرض، فإذا لاح له لائح الكشف شهد توحيد الفعل، فاطّلع على أنّ تلك النّسبة كانت مرضا و علّة، فهذا هو معرفة علّة العزم.

قوله: ثمّ العزم على التخلّص من العزم، يعني إذا لاحت له علّة العزم كما سبق، عزم على ترك العزم ليخلص من تلك العلّة، و قد كان ذلك العزم حسنة للأبرار، فقد صار سيّئة في حقّه لانتقاله إلى المقرّبين، فهو يعزم الآن على ترك العزم.

قوله: ثمّ الخلاص من تكاليف ترك العزم، هو من فعل الله تعالى فيه، لا من فعله لنفسه، فإن أراد أن يترك العزم تعرّض إلى تكاليف ليست مطلوبة منه، فهو يطلب الخلاص من تكاليف ترك العزم، كما كان يطلب ترك العزم، و هذه اعتبارات لطيفة تكون لأهل الصّفاء من ذوي القرب.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۸۴

قوله: فإنّ العزائم إلى آخره، يعني أنّ حاصل العزم و ثمرته هو الوقوف على أنّ العزم علّة، و العزائم علل و أمراض، و جميع السّكون الذي يحصل للعارفين هو بهذا السّبب، و جميع النّهضة الّتي تحصل للعبّاد في اجتهادهم هو من غيبتهم عن هذه الحقيقة، و العامّة إذا رأوا اجتهاد العبّاد و سكون العارفين فضّلوا العبّاد على العارفين، و ذلك لعدم قدرتهم على الوقوف على حقائق السّلوك، و هم معذورون في ذلك.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۸۵

[باب الإرادة]

باب الإرادة قال الله تعالى: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شاكِلَتِهِ.

الإرادة من قوانين هذا العلم و جوامع أبنيته، و هي الإجابة لدواعي الحقيقة طوعا،

[درجات الإرادة]

و هي على ثلاث درجات: يعني بالآية أنّ المريد يعمل على شاكلة الإرادة طوعا، و الشّاكلة و الشّاكل واحد، و جوامع الأبنية هي الأصول التي يبنى عليها هذا العلم، و الإجابة لدواعي الحقيقة هو الانقياد إليها، و لا يكون إلاّ بجاذب نور الكشف، فإنّه كالمغناطيس يجذب ظلم الرّسوم إلى الانعدام بنور التجلّي الجمعيّ الفردانيّ.

[الدّرجة الأولى ذهاب عن العادات بصحبة العلم، و التعلّق بأنفاس السّالكين]

الدّرجة الأولى:

ذهاب عن العادات بصحبة العلم، و التعلّق بأنفاس السّالكين مع صدق القصد، و خلع كلّ شاغل من الإخوان/ و مشتّت من الأوطان.

يقول رضي الله عنه: إنّ الإرادة التي بها يقال للطّالب إنّه مريد، هي الذهاب عن العادات، يعني الخروج عن العادات.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۸۶

قوله: بصحبة العلم، يعني إذا خرج عن عادات نفسه و رعوناتها، جعل بدلا منها صحبة العلم، أي يقتدي بالعلم الشرعيّ في العمل، فهذه أوّل أقسام الإرادة.

قوله: و التعلّق بأنفاس السّالكين، قال ذلك احترازا من أنفاس العابدين، فإنّ العابدين ليسوا من أهل السّلوك، لكنّهم من أهل مقام الأعمال الصّالحة بمقتضى العلم الشرعيّ، غير أنّهم لا يتعرّضون إلى سلوك المقامات، فإنّ ذلك هو شأن المتصوّفة، و مقصود الشيخ أن يعرّفنا أنّ المريد هو المتقيّد بأنفاس السّالكين في المقامات، لا الواقفين في مقام واحد، و هو مقام العبادة، فهذا قوله: و التعلّق بأنفاس السّالكين.

قوله: مع صدق القصد، يعني مع الإخلاص و السلامة من الرّياء، و قد شرحنا باب الصّدق، و عرفت معناه.

قوله: و خلع كلّ شاغل عن الإخوان، و مشتّت من الأوطان، يعني إنّ السّالك لا يصحّ له اسم الإرادة حتّى يخلع صحبة كلّ شاغل من إخوانه فيفارقه، و كلّ مشتّت أي مفرّق للخاطر من الأوطان فيفارقه، فهو يفارق أوطانه و إخوانه، و حينئذ يسمّى مريدا.

[الدّرجة الثانية يقطع بصحبة الحال، و ترويح الأنس، و السير بين القبض و البسط.]

الدّرجة الثانية:

يقطع بصحبة الحال، و ترويح الأنس، و السير بين القبض و البسط.

قوله: يقطع بصحبة الحال، أي ينقطع إلى صحبة الحال، و هو التمسّك بالتعرّف الوارد على القلب، المغيّر لوصف التّقليد بوصف

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۸۷

المكاشفة، و النقل من مقام الإيمان إلى مقام العيان الجزئيّ، و ذلك هو حال المتوسّطين من أهل الإرادة.

قوله: و ترويح الأنس، أي ينتقل من تعب أهل التّكليف التقليديّ إلى ترويح القلب بعمل أهل الأنس، فإنّ لكلّ مقام عملا يليق به.

قوله: و السير بين القبض و البسط، يعني أنّ صاحب هذه الدّرجة من المريدين ما يخلو من السير بين القبض/ و البسط.

أمّا القبض فمن جانب العلم، و أمّا البسط فمن جانب المعرفة، و الإشارة بهذا إلى أنّه و إن كان من أهل الأنس الكلّي الذي هو عالم البسط، قد يرد عليه شيء من بقايا عالم القبض، و الله يقبض و يبسط في هذه الدّرجة الثانية، و إليه ترجعون في الدّرجة الثالثة.

[الدّرجة الثالثة ذهول مع صحّة الاستقامة، و ملازمة الرّعاية على تهذيب الأدب.]

الدّرجة الثالثة:

ذهول مع صحّة الاستقامة، و ملازمة الرّعاية على تهذيب الأدب.

الذهول هنا هو الغيبة في المشاهدة بالحال الغالب و السّكر، غير أنّه مع صحّة الاستقامة، و يعني بالاستقامة هنا أن تنحفظ عليه الأوقات، أعني

أوقات أداء الفرائض.

قوله: و ملازمة الرّعاية، أعني بالرّعاية هنا رعاية حقّ الله تعالى، و رعاية حقّ شيخه، و رعاية وقته حتّى يصفو مشربه بتهذيب الأدب، و الأدب مع الله تعالى و مع الخلق.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۸۹

[باب الأدب]

باب الأدب قال الله تعالى: **وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ الله**.

الأدب حفظ الحدّ بين الغلوّ و الجفا بمعرفة ضرر العدوان.

[درجات الأدب]

و هو على ثلاث درجات: حدود الله تعالى أحكام الشّرع، و فيه الأدب كلّه.

قوله: حفظ الحدّ بين الغلوّ و الجفاء، يعني أن يتأدّب مع الخلق، و يحفظ في الأدب معهم طريقا وسطا بين الغلوّ في إكرامهم و الجفا عليهم، أمّا الغلوّ، فهو أن يفرط في إكرامهم بما لا يجوز في الشّرع، كما أفرطت النّصارى في الأدب مع السيّد المسيح عليه السّلام، فأطروه حتّى كفروا بذلك، و لهذا قال النبيّ صلّى الله عليه و سلم: «لا تطروني كما أطرت النّصارى المسيح بن مريم، و لكن قولوا عبد الله و رسوله». و لهذا قال الله تعالى: **قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ**.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۹۰

و أمّا الجفاء، فهو أن تعامل الخلق باطّراح الأدب معهم، و تضييع حقّهم، و تسميتهم بأبغض أسمائهم إليهم، مثل الألقاب، قال الله تعالى: **وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ**. فالطّريق السّالكة هي الحدّ بين الغلوّ و الجفاء، فمن حفظ هذا الحدّ فقد قام بالأدب.

قوله: بمعرفة ضرر العدوان، يعني أنّ حفظ هذا الحدّ لا يمكن إلاّ بمعرفة ضرر العدوان، يعني/ بالعدوان هنا سوء الأدب، لأنّ العدوان هو التعدّي، و التعدّي له مراتب كثيرة، فمن جملتها التعدّي في مراتب السّلوك عن حدود المقامات، و سنذكر ذلك.

[الدّرجة الأولى منع الخوف أن يتعدّى إلى الإياس، و حبس الرّجاء أن يخرج إلى الأمن]

الدّرجة الأولى:

منع الخوف أن يتعدّى إلى الإياس، و حبس الرّجاء أن يخرج إلى الأمن، و ضبط السّرور أن يضاهي الجرأة.

منع الخوف أن يتعدّى إلى الإياس، يعني أن لا يحكم على قلبه الخوف من العقوبة، بحيث ييأس من الرّحمة، فإنّ هذا ممّا يزري بالأدب، و صاحب هذا ناقص، لأنّه نسي أنّ رحمة الحقّ تعالى تغلب غضبه.

شعر:

لا تحظر العفو إن كنت امرأ حرجا　　　فإنّ حظركه بالدّين إزراء

و المراد بالدّين في هذا البيت الأدب، مع أنّ قائل هذا البيت مسرف على نفسه، و الله يغفر لنا و له.

قوله: و حبس الرّجاء أن يخرج إلى الأمن، يعني مراعاة الطّرف الآخر، و هو الرّجاء، فلا يبلغ في الرّجاء أن يأمن من العقوبة، إنّه لا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۹۱

قوله: و ضبط السّرور أن يخرج إلى مشابهة الجرأة، فإنّ المضاهاة هي المشابهة، و الجرأة هي الانهراق في الإدلال، و الاندلاق في الاسترسال، و ترك التحفّظ بالإهمال.

[الدّرجة الثانية: الخروج من الخوف إلى سيران القبض، و الصعود عن الرّجاء إلى ميدان البسط]

الدّرجة الثانية:

الخروج من الخوف إلى سيران القبض، و الصعود عن الرّجاء إلى ميدان البسط، ثمّ الترقّي عن السّرور إلى ميدان المشاهدة.

ذكر في الدّرجة الأولى كيف يحفظ الحدّ بين المقامات حتّى لا يحصل التعدّي الذي هو سوء الأدب، و ذكر في هذه الدّرجة صورة الترقّي عن ذلك، و هو أن يرتقي عن مقام الخوف، و الرّجاء إلى أصولهما، فإنّ أصل الخوف القبض، و أصل الرّجاء البسط، و هذان الأصلان بالنّسبة إلى صدور الأشياء عن الحقّ في عالم الخلق، أمّا بالنّسبة إلى السّلوك، فإنّ الخوف جسم، و القبض روحه، و الرّجاء جسم، و البسط روحه، فالقلب في الخوف و الرّجاء بين لمّة الملك و لمّة الشّيطان، و القلب في القبض و البسط بين إصبعين من أصابع الرّحمن، و قد ورد الخبر في المعنيين معا.

[الدّرجة الثالثة معرفة الأدب، ثمّ الفناء عن التأدّب بتأديب الحقّ]

الدّرجة الثالثة:

معرفة الأدب، ثمّ الفناء عن التأدّب/ بتأديب الحقّ، ثمّ الخلاص من شهود أعباء الأدب.

قوله: معرفة الأدب، يعني الاطّلاع على معناه في الدّرجات الثلاث.

و إنّما يكون ذلك بحصوله في الدّرجة الثالثة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۹۲

قوله: ثمّ الفناء عن التأدّب بتأديب الحقّ، يعني: أن يغلب عليه شهود من أقامه في الأدب، و هو الحقّ تعالى، فينسب الأدب إلى فعل الحقّ تعالى، و يفنى عن رؤية نفسه، فذلك هو الفناء عن التأدّب بتأديب الحقّ.

قوله: ثمّ الخلاص من شهود أعباء الأدب، يعني أنّه يفنى عن مشاهدة الأدب أصلا و رأسا، و ذلك لاستغراقه في شهود الحقيقة في حضرة الجمع التي غيّبته عن الأدب فيها هو الأدب حقيقة، فيستريح من كلفة حمل الأدب و أعبائه، و الأعباء هي الأثقال، و إنّما ينحطّ عنه حمل الأدب إذا فني رسمه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۹۳

[باب اليقين]

باب اليقين قال الله عزّ و جلّ: وَ فِي الْأَرْضِ آيٰاتٌ لِلْمُوقِنِينَ.

اليقين مركب الأخذ في هذا الطّريق، و هو غاية درجات العامّة، و قيل: أوّل خطوة الخاصّة.

قوله: مركب الأخذ في هذا الطّريق، يعني مركب الشّروع في هذا الطّريق، كما تقول: أخذ فلان يتكلّم، أي شرع يتكلّم، و استعار ذكر المركب لليقين لأنّ المركب هي التي تحمل المسافر، و كذلك اليقين هو الذي يحمل الطّالب على السّفر و ارتكاب الأهوال، و لو لا اليقين ما ثبت قدم أحد في السّلوك إلى الله تعالى.

قوله: و هو غاية درجات العامّة، يعني أنّ العباد إذا ترقّوا، فإليه ينتهون.

قوله: و قيل: أوّل خطوة الخاصّة، يعني أنّ قوما من أهل الطّريق يرون أنّه أوّل خطوة الخاصّة، و ليس هو أوّل مقام، لكن منه يبتدئ السّلوك، فهو مبدأ الخطوة الأولى من سلوك الخاصّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۹۴

[درجات اليقين]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى: علم اليقين]

الدّرجة الأولى:

علم اليقين، و هو قبول ما ظهر من الحقّ، و قبول ما غاب للحقّ، و الوقوف على ما قام بالحقّ.

علم اليقين قد فسّره الشيخ رحمه الله بقوله: هو قبول ما ظهر من الحقّ، و يعني به قبول ما جاءت به الرّسل صلوات الله عليهم، و ذلك هو الذي ظهر من الحقّ بالمعجزات.

قوله: و قبول ما غاب للحقّ،/ يعني قبول ما أخبرتنا به الرّسل عليهم السّلام من أمر الدّار الآخرة، و من كلّ أمر غائب عنّا، فإنّا إنّما قبلناه للحقّ تعلى أو لأجل الحقّ تعالى الذي ظهر لنا بالمعجزات أيضا.

قوله: و الوقوف على ما قام بالحقّ، يعني بالوقوف هنا الكشف الصوريّ، و هو مثل المنامات و الرؤيا الصّادقة، و مبادئ أنوار توحيد الأفعال، و ما؟؟؟ تبع ذلك من الأخبار بالمغيّبات ممّا فيه خرق عادة بطريق الكرامات، فإنّ الوقوف على الأمور إنّما هو بالحقّ.

[الدّرجة الثانية عين اليقين]

الدّرجة الثانية:

عين اليقين، و هو المعنى بالاستدراك عن الاستدلال، و عن الخبر بالعيان، و خرق الشّهود حجاب العلم.

عين اليقين هي مثل عين الماء بالنّسبة إلى جريان الماء، فهو مثل علم اليقين، و ما هو في نفس المنبع قبل انفصاله منه، فهو مثل عين اليقين، فعلوم اليقين يجري فيها النّقل و الاستدلال، و عين اليقين لا يجري فيها إلاّ الكشف، و هو معنى قوله: و هو المغني بالاستدراك، أي الإدراك، و الكشف عن الاستدلال و هو النّقل و التّقليد.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۹۵

قوله: و عن الخبر بالعيان، هذا معلوم ممّا تقدّم، يعني بالعيان الكشف، و بالخبر النّقل عن غائب.

قوله: و خرق الشّهود حجاب العلم، يعني أنّ المعارف التي تحصل لصاحب هذه الدّرجة هي من الشّهود الخارق حجاب العلم، لأنّ العلم حجاب عن المشهود، لكنّه كشف عن العلوم، و لا يكون العلم إلاّ في الغيبة، فلذلك لازمته الحجابيّة.

[الدّرجة الثالثة حقّ اليقين]

الدّرجة الثالثة:

حقّ اليقين، و هو إسفار صبح الكشف، ثمّ الخلاص من كلفة اليقين، ثمّ الفناء في حقّ اليقين.

يعني بإسفار صبح الكشف، تحقّقه و ثبوته، و مفارقة طور العلم بالكلّية إلى الاستغراق في المشهود بالفناء عن الرّسم المحدود.

قوله: ثمّ الخلاص من كلفة اليقين، يعني أنّ اليقين له حقوق يجب على صاحبه أن يؤدّيها، فإذا فني في التّوحيد ارتفع عن طورها، فقامت به أمور أخرى هي أعلى منها، يصير فيها محمولا بعد أن كان حاملا، فيزول عنه كلفة حمله لها.

قوله:/ ثمّ الفناء في حقّ اليقين، يعني بالفناء ذهاب الرّسم كما تقدّم شرحه مرارا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۲۹۷

[باب الأنس]

باب الأنس قال الله تعالى: **وَ إِذٰا سَأَلَكَ عِبٰادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ.**

و الأنس عبارة عن روح القرب،

[درجات الأنس]

و هو على ثلاث درجات: الرّوح هو الرّاحة، و لا شكّ أنّ الأنس راحة، و الوحشة تعب.

[الدّرجة الأولى الأنس بالشّواهد]

الدّرجة الأولى:

الأنس بالشّواهد، و هو استحلاء الذّكر، و التغذّي بالسّماع، و الوقوف على الإشارات.

يعني الأنس بحصول الشّواهد التي تشهد بأنّه قد تقدّم في سلوكه، و يحجب آماله في طريقه، مثل أنّه يصير يستحلي الذّكر بعد أن كان لا يستحليه، فهذا شاهد على تقدّمه في السّلوك، و هو من مبادئ الأنس.

قوله: و التغذّي بالسّماع، يعني أنّ السّماع يصير له كالغذاء يقوى به جسمه و روحه، حتى يكاد يشتغل في أكثر أوقاته بالسّماع عن الأكل و الشرب.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۱، ص ۲۹۸

و السّماع لا يختصّ بالغذاء، بل هو اعتبارات يفهمها أهل الصّفاء من السّالكين، و معان تتمعّنها القلوب المشرقة بنور الأنس، فيجد فيها لذّة روحانيّة يصل نعيمها إلى القلوب و الأرواح، و ربّما نعيمها إلى الأجسام، فيجد من اللذّة ما لا تجده من لذّات المحسوسات، و شهوات البشريّات.

قوله: و الوقوف على الإشارات، هي معان تشير إلى الحقيقة من بعد، و من وراء حجاب شفّاف، و تلك المعاني تفهم من كلّ مسموع، و من كلّ منظور، و من كلّ مشموم، بل من كلّ محسوس، و سبب إدراك الإشارات هو صفاء يحصل بالجمعيّة يلطّف الحسّ، فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة، كأنّ حسّه يكثف عن إدراكها، فلمّا لطف حسنه بصفاء التوجّه أدركها.

[الدّرجة الثانية الأنس بنور الكشف]

الدّرجة الثانية:

الأنس بنور الكشف، و هو أنس شاخص عن الأنس الأوّل، يشوبه صولة الهيمان، و يضربه موج الفناء، و هو الذي غلب قوما على عقولهم، و سلب قوما طاقة الاصطبار، و حلّ عنهم قيود العلم، و في هذا ورد الخبر بهذا الدعاء، أسألك شوقا إلى لقائك من غير ضرّاء مضرّة، و لا فتنة مضلّة.

قوله:/ الأنس بنور الكشف، يعني الأنس بسبب نور الكشف، و ليس معناه الأنس بنفس نور الكشف، و ذلك لأنّ نور الكشف هو حسن صورة لا صورة حسن، و صاحب هذه الدّرجة هو في صورة الحسن، لا في حسن الصورة.

قوله: و هو أنس شاخص عن الأنس الأوّل، هذا تفسير لقوله: الأنس بنور الكشف، و معنى قوله: شاخص، أي خارج و ظاهر و باد و شبه

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد۱، ص ۲۹۹

ذلك، و من هذا المعنى قول النّاس: شخص فلان للسّفر، أي برز للسّفر، و ليس معنى قوله: شاخص هنا، هو من معنى قولهم: شخص بصره، إلّا أن يعنوا به ظهر ما تحت جفونه، فهو أيضا يعود إلى ما ذكرناه، و أمّا قوله: عن الأنس الأوّل، فإنّه يعني عن الأنس المذكور في الدّرجة الأولى، أي هذا الأنس المخصوص بهذه الدّرجة الثانية، هو بارز عن الأنس المخصوص بالدّرجة الأولى، و لا يجوز أن يعني بالأنس الأوّل الأنس الرّاجع إلى الأزل بمعنى السّابقة، فإنّ ذلك لا يليق بالدّرجة الثانية، و إن تحقّق معناه فإنّما يرجع إلى معاني الدّرجة الثالثة، فهذا معنى قوله: و هو أنس شاخص عن الأنس الأوّل.

قوله: يشوبه صولة الهيمان، يعني أنّ هذا الأنس المذكور يكون مبدؤه كشف عن معنى الجمال، الذي يوجب البسط الغالب، ثمّ يقوى إلى أن

يستغرق عقل المشاهد فيمتزج بالهيمان، و جعل للهيمان صولة، و هي القهر، لأنّه يقهر العقل، و معنى الهيمان هو الحيرة و الحركة إلى كلّ جهة من غير عقل و لا تمييز، قال الله تعالى: **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ**، أي في كلّ ناحية. و هذا مثل لمن عقله متحيّز، و معنى قوله: يشوبه أي يمازجه.

قوله: و يضربه موج الفناء، يعني أنّ هذا الأنس الذي يمازجه الهيمان، يضربه أيضا موج الفناء، و هذا مثل و استعارة، و المراد أنّ صاحب هذا الأنس يطالع مبادئ الفناء محيطة به، فهي تقلّبه كما يقلّب الموج الغريق، و ذلك قبل استيلاء سلطان الفناء على وجوده.

قوله: و هو الذي غلب قوما على عقولهم،/أي غلبهم فلم يقدروا أن يمنعوه من سلب عقولهم، تقول: غلبت فلانا على ثوبه، أي سلبت

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۰۰

ثوبه، و هنا سرّ، و هو أنّ العقل لم ينسلب، لكنّه رأى معاني فوق ما ألف إدراكه، فانخرم عليه القياس، و شاهد مدركات شريفة معشوقة، فاشتغل بها عن إدراك الحواسّ، و هؤلاء هم المولّهون في جمال الحضرة، و هم في عداد الملائكة المهيّمة الذين يقال فيهم: إنّهم لا يعلمون أنّ الله تعالى خلق آدم لاشتغالهم به عمّن سواه، و أهل هذه الدّرجة المولّهون مع استغراقهم في جمال المشهود و دوامهم في الغيبة عن كلّ موجودهم، دون أهل التّمكين في المقام الذين صحوا بعد السّكرة، و عادوا بالحقّ إلى الحقّ، غير أنّ العامّة تفضّل المستغرقين على الصحاة الهادين لجهلهم بحقائق المقامات، و هم معذورون.

قوله: و سلب قوما طاقة الاصطبار، يعني أنّ هذا الأنس الممزوج بالهيمان الغالب على عقول الضعفاء من أهل الكشف بما لاح لأقوام أقوياء لم يسلبهم عقولهم، لكنّه سلبهم الاصطبار عنه لما يبدو لهم من معانيه العرفانيّة، و لما يستولي عليهم من جواذب أنوار الجمال الأقدس.

قوله: و حلّ عنهم قيود العلم، يعني بالقيود التقيّدات بأحكام العلم، انتقالا عنها إلى التقيّدات ببواطنها و حقائقها، فإنّ لكلّ حقّ حقيقة، كذلك قال عليه السّلام.

و حاصل المعنى يرجع إلى أنّ أحكام العلم للأبرار، و أحكام باطن العلم للعارفين، و أحكام الحقائق للمقرّبين، و ليس فوق ذلك إلّا الفناء في الجمع، و مع ذلك فمن حفظ عليه في سلوكه صورة العلم إلى أن يصل إلى مقام التّمكن و التّحقيق، و لم ينحل عنه ظاهرا قيود العلم، فهو الذي أيّده الله تعالى بتأييد من عنده، خلّصه به ممّا يحكم العلم عليه بأنّه فتنة مضلّة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۰۱

قال الشيخ رضي الله عنه: و في هذا ورد الخبر بهذا الدعاء: أسألك شوقا إلى لقائك من غير ضرّاء مضرّة، و لا فتنة مضلّة.

قوله: شوقا إلى لقائك، يريد مشاهدتك، و لا يقال: إنّه طلب الموت لتكون المشاهدة في الدّار الآخرة، فإنّ الموت/أو الحياة لا يكونان سبب لقاء الله تعالى، لأنّ لقاء الله تعالى لا يكون له سبب غير الموهبة، و لا يكونان مانعين من لقاء الله تعالى، فإنّ الله تعالى قادر على ما يشاء، فلا يمتنع من مواهبه مانع.

قوله: من غير ضرّاء مضرّة، معناه على ما يفهم من مقصود الشيخ أن يحصل له الشوق الذي لا يغلبه على عقله، فإنّ ذلك ضرّاء مضرّة، و لا يغلبه على محافظته على أحكام العلم، فإنّ ذلك أيضا فتنة مضلّة.

[الدّرجة الثالثة أنس اضمحلال في شهود الحضرة]

الدّرجة الثالثة:

أنس اضمحلال في شهود الحضرة، لا يعبّر عن عينه، و لا يشار إلى حدّه، و لا يوقف على كنهه.

الاضمحلال هو الانعدام، و شهود الحضرة هو الفناء في المشهود.

قوله: لا يعبّر عنه، يعني أنّ العبادة لا تكون إلّا عن محدود، و لا حدّ لهذا المعنى، و تسميتي له معنى هو أيضا مجاز، و معنى عينه أي حقيقته.

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ١، ص ٣٠٢

قوله: و لا يشار إلى حدّه، فإنّ الحدّ هو الدالّ على الحقيقة، و يراد بالحدّ أيضا أطراف الشيء الذي يحيط به، و هذا الأنس المذكور لا يحاط به، فلا يشار إلى حدّه، إذ لا حدّ له، و أمّا كونه لا يشار إلى معناه، فإنّ حقيقته تستغرق المشير و الإشارة، فتذهب الثنويّة.

قوله: و لا يوقف على كنهه، أي إذا ظهر أفنى الأغيار، فلا يبقى من يقف على كنهه، و ليس أيضا كنهه ممّا يدرك بهذه الحقيقة، و جميع ما قلناه نحن في هذه الدّرجة إنّما هو سلوب، و لسنا نتكلّم في هذا المقام، إذ ليس عنه عبارة، و لا إليه إشارة، و في العجز عنه يقول بعضهم:

فألقوا حبال مراسيهم و غطّوا فغطّاهم و انطبق

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ١، ص ٣٠٣

[باب الذّكر]

باب الذّكر قال الله تعالى: وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ.

يعني إذا نسيت غيره، و نسيت نفسك في ذكرك، ثمّ نسيت ذكرك في ذكره، ثمّ نسيت في ذكر الحقّ إيّاك كلّ ذكر.

الشيخ رضي الله عنه ذكر اعتبارات/إذا الظنّ إدراك أهل السّلوك إذ صفت أسرارهم مع الحقّ تعالى، و شرعوا في نسيان ما سواه شيئا بعد شيء، فلزمهم إدراك تلك الاعتبارات لزوما واجبا، هذا إذا كانوا أهل تمكين في السّلوك، و لم يرد الشيخ رحمه الله تفسير هذه الآية بمقتضى العلم، لكن بمقتضى الواردات الأحوال، فلا يؤخذ كلامه على معنى الشرح للآية، لكن على معنى الإشارة، و أيضا فإنّ خطابه يختصّ بطائفة مخصوصة، فلا يؤخذ على الإطلاق.

قوله: إذا نسيت غيره، يعني غير الحقّ تعالى إلاّ نفسك، و لا يمكن أن تكون نفسك منسية في هذه الرّتبة الأولى، و إن كانت غير الحقّ لأجل إنّك ناس، و لا تكون أنت ناسيا إلاّ و نفسك ثابتة حتّى يثبت لك وصف النّسيان، فإنّ النّسيان صفة لا تقوم إلاّ بموصوف، فإذا نسيت غيره إلاّ

شرح‌منازل‌السائرين‌إلى‌الحق‌المبين، جلد ١، ص ٣٠٤

نفسك، فقد ذكرت ربّك بأوّل درجات الذكر لا بتمامه، و يعني بالذّكر هنا وجدان المذكور، لا ذكره بالنّسيان، فإنّ ذكره بالنّسيان من جملة الغير الذي ينساه، فدلّ على أنّ المراد بالذّكر هنا وجدان المذكور باللّطيفه المدركة من الذّاكر.

قوله: و نسيت نفسك، أي عدمت إدراكها بوجدان الشّهود المذكور، و الشيخ رحمه الله سمّى هذا نسيانا، و إن كان النّسيان دون هذا، و النّسيان المذكور أوّلا هو أيضا عدم ما سواه في وجوده، و هذا يعني قوله: نسيت نفسك في ذكرك، أي عدمت نفسك في وجدانه، فإنّ معرفة الاصطلاح تدلّ على أنّ هذا هو مقصوده.

قوله: ثمّ نسيت ذكرك في ذكره، يعني نسيت أنّك ذكرته تعدمها أيضا في وجدان ذكره لك، و لم يبق بعد هذا إلاّ نسيانك كلّ ذكر في ذكر الحقّ إيّاك، يعني أن تشهد قيام حقيقة الصّفا كيف صدورها عن فعل الواحد الحقّ لا غير، فلا يكون معه سواه، و هذا هو وجدان المذكور في الذّكر و الذّاكر، أي يشتمل حقيقة الجمع على النّسب و الإضافات، فيجتمع الشتات/و تنقطع العبارات و الإشارات.

و الذّكر هو التخلّص من الغفلة و النّسيان،

[درجات الذكر]

و هو على ثلاث درجات: هذا واضح ما يحتاج إلى شرح، و نبيّن أيضا بما سيأتي.

[الدّرجة الأولى الذّكر الظّاهر من ثناء أو دعاء أو رعاية.]

الدّرجة الأولى:

الذّكر الظّاهر من ثناء أو دعاء أو رعاية.

يعني بالثّناء مثل قوله: سبحان الله، و الحمد لله، و لا إله إلاّ الله، و الله أكبر، و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم، فإنّ هذه الكلمات كلّ كلمة منها فيها ثناء على الله تعالى، فهذا ذكر فيه ثناء، و هو ذكر ظاهر.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۰۵

و أمّا الذّكر الذي فيه دعاء، فمثل الآية في قوله تعالى: **رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا**، الآية، فهذا أيضا ذكر ظاهر فيه دعاء.

و أمّا الذّكر الذي فيه الرّعاية، فمثل قولك: الله معي، الله ناظر إليّ، الله يراني، ممّا يستعمل لتقوية الحضور مع الله تعالى. فهذا ذكر ظاهر، و فيه رعاية لمصلحة القلب، و لحفظ الأدب مع الله تعالى، و فيه رعاية التحرّز من الغفلة، و الاعتصام من الشيطان، و ربّما دخل تحت معنى الرّعاية حضور القلب مع العبادات بأنّه ذكر بالقلب، و فيه رعاية لحقوق الله تعالى، فهذه الأشياء و ما أشبهها هي من الذّكر الظّاهر، و فيه الخلاص من الغفلة و النّسيان.

[الدّرجة الثانية الذّكر الخفيّ]

الدّرجة الثانية:

الذّكر الخفيّ، و هو الخلاص من الفتور، و البقاء مع الشّهود، و لزوم المسامرة.

قوله: الذّكر الخفيّ، أي الذّكر بغير اللّسان، بل بالقلب، و بما يعرض للقلب من الواردات، و قد جعل الشيخ رحمه الله ذلك ذكرا، و إن كان هو ثمرة الذّكر، و الشيء قد يسمّى باسم الشيء إذا كان بينهما ارتباط، فقوله: الخلاص من الفتور، يعني من الغفلة و النّسيان، و الحجب الحائلة دون الشهود.

قوله: و البقاء مع الشّهود، أي ملازمة المشاهدة.

قوله: و لزوم المسامرة، أي التزام الحضور، و عبّر عنه بالمسامرة، لأنّ المسامرة لا تكون إلاّ بالحضور، فسمّى الحضور مسامرة، إذ هي لا تكون غالبا إلاّ في اللّيل، فشبّهها الشيخ بها مجازا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۰۶

[الدّرجة الثالثة الذّكر الحقيقيّ]

الدّرجة الثالثة:

الذّكر الحقيقيّ، و هو شهود ذكر الحقّ إيّاك، و التخلّص من شهود ذكرك، و معرفة افتراء الذّاكر في بقائه مع الذّكر.

قوله: الذّكر الحقيقيّ، معنى الذّكر هو صادر من الذّاكر حقيقة، و ذلك هو الذّكر المنسوب إلى الحقّ تبارك و تعالى. و أمّا الذّكر المنسوب إلى العبد فليست هذه النّسبة حقيقة، فإذا ذكر العبد ليس هو الذّكر الحقيقيّ، فهذا معنى قوله: الحقيقيّ.

قوله: و هو شهود ذكر الحقّ إيّاك، هذه المسألة لها مقامان أنزلهما شهود ذكر الحقّ إيّاك، بمعنى إنّه ذكرك فيمن اختصّه و أهله للقرب، و فيه إشارة إلى السّابقة التي عليها تنبني الخاتمة، و المقام الثاني عزيز شهوده، بعيد وجوده، قليل من يدرك من العبارة معناه إلاّ بنور من الله، فلا جرم أضربنا عن ذكره.

قوله: و التخلّص من شهود ذكرك، يعني استغراقك في شهود توحيد الفعل حتّى لا ترى صدور الذّكر إلاّ من الحقّ الذي عن قدرته صدر كلّ شيء، و هذا المعنى يريح العبد من رؤية النّفس، و ينعمه برؤية الحقّ.

قوله: و معرفة افتراء الذّاكر في بقائه مع الذّكر، يعني أنّ الباقي مع الذّكر يشهد على نفسه أنّه يرى الفاعل، و هذا هو افتراء على الحقّ تعالى بالنّسبة إلى حقيقة الأمر، و في نظر المشاهد لا في مقام العلم يثبت ذلك، و مقام الشهود ينفيه، و من شهد ذلك حكم بأنّ الواقف مع الذّكر الباقي معه هو مفتر، فهذا معنى قوله: و معرفة افتراء الذّاكر في بقائه مع الذّكر، و قد ورد في المواقف: أوقفني و قال لي: أنا أقرب إلى اللّسان

من نطقه إذ نطق، فمن شهد لم يذكر. و من ذكر لم يشهد. و هذا هو معنى لفظ الشيخ بعينه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۰۷

[باب الفقر]

باب الفقر قال الله عزّ و جلّ: **يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ إِلَى اللهِ** الفقر اسم للبراءة من الملكة.

قوله: الفقر، يعني عدم الملك، فهذا/ معنى قوله البراءة من الملكة، و نفس الإنسان ليست له، فإن لم يخرج عنها لله تعالى فقد ادّعى فيها الملك، فلا يصحّ له وصف الفقر، و هذه مسألة إجماع بين هذه الطّائفة.

[درجات الفقر]

و هو على ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى فقر الزهّاد]

الدّرجة الأولى:

فقر الزهّاد، و هو قبض اليد عن الدّنيا ضبطا أو طلبا، و إسكات اللّسان عنها مدحا أو ذمّا، و السّلامة منها طلبا أو تركا، و هذا هو الفقر الذي تكلموا في شرفه.

قوله: قبض اليد، يعني طهارة اليد من عرض الدّنيا و وسخها.

قوله: ضبطا أو طلبا، أمّا الضّبط فهو البخل بالدّنيا، و قبض اليد عن الضّبط هو بذل ما ملكت يده من كلّ ملك على اختلاف أنواعه.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۰۸

و أمّا الطّلب فهو أن يتسبّب في حصول الدّنيا، و قبض اليد عن ذلك هو أن لا يقبل شيئا منها و لا يتعرّض إليه.

قوله: و إسكات اللّسان عنها، أي لا يتكلّم في الدّنيا بكلمة واحدة.

قوله: مدحا أو ذمّا، أي يسكت اللّسان عن ذمّها، كما يسكته عن مدحها، فإنّ التعرّض إلى ذكرها بوجه ما هو تعرّض إليها، و الفقير لا يجوز له ذلك، و إلاّ خرج من الفقر.

قوله: و السّلامة منها، يعني بالسّلامة منها، أن لا تحجبه عن مقصوده بوجه من الوجوه الظّاهرة و لا الباطنة.

قوله: طلبا أو تركا، يعني أن يسلم من تبعات تركها، كما يسلم من تبعات طلبها، و من جملة تبعات تركها أن يعرض لقلبه العجب بكونه تركها، و إن لحق قلبه الرّياء كان أشدّ، و إذا كان تركها مضرا فكيف يكون طلبها، و ضرره أكثر؟ فإذا السّلامة المطلوبة هي من طلبها و من تركها، فإذا حصلت السّلامة منهما جميعا.

قال الشيخ رضي الله عنه: فهذا هو الفقر الذي تكلّموا في شرفه، و أمّا الذي فوق هذا، فالشيخ يتكلّم فيه.

[الدّرجة الثانية: الرّجوع إلى السبق بمطالعة الفضل]

الدّرجة الثانية:

الرّجوع إلى السبق بمطالعة الفضل، و هو يورث الخلاص من رؤية الأعمال، و يقطع شهود الأحوال، و يمحّص من أدناس مطالعة المقامات.

قوله: الرّجوع إلى السّبق، يعني إلى السّابقة.

قوله: بمطالعة الفضل، أي يعلم أنّ وجود الإنسان هو صدقة من الله تعالى، و فضل منه، إذ لا يستحقّ العبد من ذاته أن يخلق، لكنّ الحقّ تعالى رجّحه للوجود، فذاته هي من فضل الله تعالى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۰۹

قوله: و هو يورث الخلاص من رؤية الأعمال، يعني أنّ العبد إذا علم أنّ ذاته من فضل الله تعالى، فكيف عمله؟ فإنّ العمل هو من لواحق الذّات، فهو أيضا من فضل الله تعالى من باب الأولى، فإذا طالع الفضل أورثه ذلك الخلاص من رؤية أنّ له عملا، و هذا القدر هو خلاص من رؤية العمل، و الشيخ رحمه الله يحذّر من رؤية العمل، فإنّها مضرّة، فلا جرم أنّه جعل ترك رؤية العمل خلاصا.

قوله: و يقطع شهود الأحوال، يعني أنّ مطالعة سابقة الفضل الإلهيّ تقطع أيضا شهود الأحوال، فلا يرى صاحب الحال أنّ له حال سريعا يعتمد عليه، لأنّه يرى ذلك ليس منه بل من فضل الله تعالى، فهو لا يعتدّ به على الله تعالى، بل يلقى الله تعالى بالفقر من الأعمال و من الأحوال.

قوله: و يمحّص من أدناس مطالعة المقامات، هو التّمحيص و هو التّفريق، لذلك قيل: يمحّص الذنوب، أي تفريقها بالمغفرة، و قد قال: محّصت الذهب، أي سكبته حتّى أخرجت منه الخبث فيطّهر من الدنّس.

و الشيخ رضي الله عنه يرى أنّ مطالعة المقامات أدناس، لأنّها تدلّ على أنّ صاحبها له غرض، و هو علوّ المقامات، و لذلك طالعها، و لو كان خاليا من هذا الغرض لما طالعها، فإذا متى طالع سابقة الفضل، و أنّ المقامات صدقة من الله تعالى لم يعتدّ بها، و إذا لم يطالعها تمحّصت أدناسها عنه، أي تفرّقت، و الأدناس هي الأوساخ، فإذا المقامات أوساخ عند الفقير في الدّرجة الثانية، و إنّه متى تدنّس بها لم يكن فقيرا.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٣١٠

[الدّرجة الثالثة الاضطرار و الوقوع في يد المنقطع الوحدانيّ]

الدّرجة الثالثة:

الاضطرار و الوقوع في يد المنقطع الوحدانيّ، و الاحتباس في بيداء قيد التّجريد، و هذا فقر الصّوفيّة.

الاضطرار هو شهود أنّ العبد مضطرّ إلى الإذعان بالدّخول في يد المنقطع الوحدانيّ و يعني بالمنقطع الوحدانيّ حضرة الجمع التي لا يشهد فيها أغيار بوجه ما، و سمّاه منقطعا لانقطاع/ الأغيار فيه، و سمّاه وحدانيّا لذلك لأنّها حضرة وحدانيّة.

قوله: و الاحتباس في بيداء قيد التّجريد، يعني تجريد الفردانيّة عن السّوى، و سمّاها بيداء، لأنّ الرّسوم تبيد فيها، أي تنعدم، كما أنّ البيداء التي هي الأرض القفرة يبيد فيها السّالك، أي يموت، فكذلك هذه الحضرة، ليس فيها وجود لسوى المشهود الحقّ.

قوله: و هذا هو فقر الصوفيّة، يعني الصوفيّة على الحقيقة، و إن كان التصوّف هو دون هذا المقام بكثير، لأنّ الفقر فوق التصوّف، و قد مضى ذكر نسبة هذا، و هو في باب الخلق، إذا التصوّف خلق.

و أمّا الفقر فحقيقته فقد الأنانيّة في وجود حقيقة الحقائق، و ذلك فوق كلّ فوق.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ١، ص ٣١١

[باب الغنى]

باب الغنى قال الله تعالى: وَ وَجَدَكَ عٰائِلاً فَأَغْنىٰ.

الغنى اسم للملك التّام،

[درجات الغنى]

و هو ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى غنى القلب]

الدّرجة الأولى:

غنى القلب، و هو سلامته من السّبب، و مسالمته للحكم، و خلاصه من الخصومة.

قوله: غنى القلب، أراد الغنى المختصّ بالقلب، فإنّ قوما كثيرين أغنياء بالمال و هم فقراء لشدّة تعلّق قلوبهم بالزّيادة على ما في أيديهم،

فالمراد هو غنى القلب لا غنى اليد.

قوله: و هو سلامته من السّبب، أي سلامته من التعلّق بالأسباب، فإنّ ذلك فقر، و إنّما كان السّبب عند العامّة الجهّال غنى، لأنّ النّفس تطمئنّ إليه و تسكن، كما تسكن إلى الأموال و أهل الصّنائع يقولون:

الصّنعة مال لا ينفد، و هو غلط، و إنّما القول: الصناعة مال لا ينفد، و يقولون:

الصنعة في اليد أمان من الفقر، فيجعلون الصّنعة غنى تسكن النّفوس إليه،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۱۲

و الشيخ رضي الله عنه يرى أنّ كلّ ما سكنت النفس إليه فهي مفتقرة إليه و إنّما الغنى الذي لا فقر فيه، هو أن لا تسكن النّفس إلى شيء، و قد ورد في المواقف في أثناء كلام: ثمّ انظر إلى قلبك، فأينما ما وقف،/ فهو من أهل ما وقف فيه، إنّ لي قلوبا لا تقف في شيء، و لا يقف فيها شيء، هي بيوتي، و فيها أتكلّم بحكمتي، و منها أتعرّف إلى خليقتي، فهذه القلوب هي قلوب الأنبياء صلوات الله عليهم، و بقدر ما يرث الوارثون من ذلك يكون نصيبهم، و الذي يخصّ هذه الدّرجة هو الكلام الأوّل، لا ما ورد في المواقف.

قوله: و مسالمته للحكم، المسالمة هي ضدّ المحاربة، و الحكم على معنيين:

أحدهما: مسالمة القلب بحكم الله في قضائه و قدره، فلا يعارضه، أي لا يريد سوى مراد الله تعالى فيما قضى و قدّر.

و الغنى الثاني للحكم الذي في كلّ مسألة من مسائل العلم، و ذلك أنّ في كلّ مسألة من مسائل العلم حكم تعلّق بجانب الحقّ لا إلى نفسه، من باب توحيد الأفعال، و قد مرّ نظير هذا كثيرا.

و فيها أيضا تعلّق بجانب العبد، و هو نسبة العمل بها إلى العبد لا إلى الحقّ، فمن نسب العمل بتلك المسألة إلى فضل الله و فعله لا إلى نفسه، فقد سالم الحكم الإلهيّ، و لم يحاربه بالمقاومة.

فبهذين المعنين يفهم الحكم و مسالمته.

قوله: و خلاصه من الخصومة، يعني، أنّ العبد إذا سالم حكم الله تعالى في مخلوقاته، لم يخاصم أحدا من المخلوقات، فهذا هو معنى الغنى في الدّرجة الأولى.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۱۳

[الدّرجة الثانية غنى النّفس]

الدّرجة الثانية:

غنى النّفس و هو استقامتها على المرغوب، و سلامتها من الحظوظ، و براءتها من المراياة.

جعل الدّرجة الأولى للقلب للمعاني المختصّة به في الغنى، و جعل هذه الدّرجة الثانية للنّفس، و كأنّ الشيخ رحمه الله أراد بالنّفس هنا النّفس المطمئنّة، و خصّها بهذه الدّرجة الأولى، و لم تبق إلا النّفس الأمّارة، و هي خارجة عن مقامات السّائرين، لأنّها تختصّ بأهل الغفلة، فإذا لا يخاطب بمقامات السّلوك إلاّ النّفس اللوّامة و المطمئنّة، و غنى كلّ واحدة من هاتين النّفسين هو بما ذكر في الدّرجتين، و يبقى الغنى الثالث و هو الغنى بالحقّ، و ليس هو من قبيل ما يكتسب، بل هو موهبة من الله تعالى.

قوله: غنى النّفس، استقامتها/ على المرغوب، المرغوب هو طلب الحقّ تعالى، و قطع المنازل بالسّير إليه، و الاستقامة هي دوام الطّلب.

قوله: و سلامتها من الحظوظ، الحظوظ في اصطلاح هذه الطّائفة هي شهوات الأنفس، و تعلّقاتها الظّاهرة و الباطنة، فإذا سلمت النّفس من ذلك مع استقامتها على المرغوب، حصل لها نصيبها من الغنى.

قوله: و براءتها من المراياة، أي خلاصها من المراياة، كما تقول:

فلان بريء من العيوب و النقائص، أي مخلّص منها، و المراياة هي الرّياء في العمل، و طلب السّمعة، نعوذ باللّه من ذلك، فإنّه أقبح الأمراض، و هو من الشّرك الخفيّ الذي لا يغفر إلاّ بالخروج عنه.

[الدّرجة الثالثة الغنى بالحقّ]

الدّرجة الثالثة:

الغنى بالحقّ، و هو على ثلاث مراتب: الغنى بالحقّ يتفسّر في الثلاث مراتب المذكورة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۱۴

المرتبة الأولى: شهودك ذكره إيّاك.

و الثانية: دوام مطالعة أوّليته.

و الثالثة: الفوز بوجود.

شهودك ذكره إيّاك تقدّم شرحه في باب الذّكر.

الثانية: مطالعة أوّليته، و أمّا المراد بمطالعة الأوّلية هنا هو ما ذكر عن بعضهم أنّه قال: ما رأيت شيئا إلاّ و رأيت اللـه قبله، و ورد في المواقف قوله: أدنى علوم القرب أن ترى آثار نظري في كلّ شيء، فيكون أغلب عليك من نظرك إليه، و معنى هذا الكلام أنّ العبد إذا غلب عليه أدنى مراتب القرب، كان نظره إلى الحقّ أسبق إليه من نظره إلى الخلق، و يكون نظره و مطالعته إلى الخلق، فقد عرفت بهذا معنى قول الشيخ: دوام مطالعة الأوّلية.

الثالثة قوله: الفوز بوجوده، و معنى هذا هو أن يغيب العبد بالفناء، و يظهر الحقّ بالبقاء، و هي حضرة الجمع بعد ثبت أسمائها.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۱۵

[باب المراد]

باب المراد قال الله تعالى: وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى‌ إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلاَّ رَحْمَةً من رَبِّكَ.

أكثر المتكلّمين في هذا العلم جعلوا المريد و المراد اثنين، و جعلوا مقام المراد فوق المريد، و إنّما أشاروا باسم المراد/ إلى الضنائن الذين ورد فيهم الخبر.

يقول: إنّ أكثر المتكلّمين في هذه الطّريقة يروا أنّ المراد هو غير المريد، فهذا معنى قوله: جعلوا المراد و المريد اثنين.

قوله: و جعلوا مقام المراد، يعني أنّ المراد أعلى مرتبة من المريد، و قد تقدّم شرح مقام المريد في باب الإرادة في قسم الأصول، و أمّا المراد، فهو بابه، و نحن نشرح مقامه إن شاء الله تعالى.

قوله: و إنّما أشاروا باسم المراد إلى الضنائن الذين ورد فيهم الخبر، ورد في الخبر عن سيّد البشر صلّى الله عليه و سلم أنّه قال: إنّ للّه ضنائن من خلقه،

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۱۶

يحييهم في عافية، و يميتهم في عافية، أي خصائص، يقال: فلان ضنّتي من بين إخوتي، أي أتخصّص به، و أضنّ بمودّته أن أضيّعها، و معنى قوله عليه السّلام: يحييهم في عافية، أي يعصمهم من معاصي الله عزّ و جلّ من أوّل صباهم، كما ورد أنّ الشابّ التّائب حبيب اللـه، فلذلك ألهمه التّوبة في صباه، ليعصمه و يجعله من ضنائنه، أي خصائصه.

قوله: و يميتهم في عافية، أي يميتهم على ما كانوا عليه.

[درجات المراد]

و للمراد ثلاث درجات:

[الدّرجة الأولى أن يعصم العبد]

الدّرجة الأولى:

أن يعصم العبد و هو يستشرف للجفاء اضطرارا بتبغيض الشهوات، و تعويق الملاذ، و سدّ مسالك المعاطب عليه إكراها.

قوله: أن يعصم العبد و هو يستشرف للجفاء، يعني أنّ العبد المراد للحضرة في أوّل بدايته قد يكون ممّن يميل قلبه للمعاصي، و يعصمه الله تعالى منها حفظا له، فتكون عصمته اضطرارا لا اختيارا، هذا معنى قوله:

أن يعصم العبد و هو يستشرف للجفاء، أي يميل للجفاء، و يعني بالجفاء الشّهوات المحرّمة.

قوله: بتبغيض الشّهوات و تعويق الملاذّ، و سدّ مسالك المعاطب عليه إكراها، تبغيض الشّهوات بالعصمة عنها، و تعويق الملاذّ، أي تعويق أسبابها، و سدّ مسالك المعاطب، أي سدّ طرق المعاصي عنه إذ هي معاطب، فيحميه الحقّ تعالى من سلوكها.

قوله: إكراها، أي/ يعصمه و هو كاره، كلّ ذلك عناية به.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۱۷

[الدّرجة الثانية أن يضع عن العبد عوارض النّقص، و يعافيه من سمة اللائمة]

الدّرجة الثانية:

أن يضع عن العبد عوارض النّقص، و يعافيه من سمة اللاّئمة، و يملّكه عواقب الهفوات، كما فعل بسليمان عليه السّلام في قتل الخيل، حمله على الرّيح الرّخاء، فأغناه عن الخيل، و فعل بموسى حين ألقى الألواح، و أخذ برأس أخيه، و لم يعتب عليه كما عتب على آدم و نوح و داوود و يونس عليهم السّلام.

عوارض النّقص، أي أسباب النّقص، فإنّها إذا عرضت للعبد استحقّ اللاّئمة، و هي العتب، فإذا وضعها الحقّ تعالى عن عبده، لم يعتبه عليها، و لم يلمه، و ذلك دليل على أنّه من ضنائن الله تعالى.

قوله: و يعافيه من سمة اللائمة، السمة هي العلامة، يعني أنّ الحقّ تعالى يعافي العبد المراد من المعصية، إذ هي علامة اللاّئمة، و اللاّئمة هي اللّوم.

قوله: و يملّكه عواقب الهفوات، يعني أنّ الهفوة إذا صدرت ممّن هو مراد، كانت العاقبة فيها زيادة خير له، و سبب سعادة، فكأنّ الحقّ تعالى يجعل له في كلّ قضاء خيرة، حتّى يجعل ذنبه سبب توبة تجدّد له من القرب أضعاف ما كان قبل الذّنب، و هذه عناية الله تعالى بالضّنائن من عباده.

قوله: كما فعل بسليمان عاقبة الهفوة حين جعل هفوته عليه السّلام سببا لركوبه متن الرّيح، و ذلك أنّه اشتغل بعرض الخيل و النّظر إليها

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۱۸

حتّى غابت الشمس و لم يصلّ، فلذلك قوله تعالى حكاية عنه: **إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ**. فقال: إنّي أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّي حتى توارت بالحجاب، فلمّا رأى عليه السّلام أنّ الخيل قد عاقته عن ذكر ربّه عزّ و جلّ قال: **رُدُّوهَا عَلَيَّ، فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ**، أي ضرب أعناقها بالسّيف، و قطع سوقها، أي أيديها و أرجلها، فكانت هفوة منه، و هي كونه اشتغل بالخير، أي الخيل عن ذكر ربّه، فجعلها الحقّ تعالى له سببا لتوبته، و قتل الخيل العائقة له عن ذكر ربّه، فعوّضه/ الله تعالى عنها ركوب ظهر الرّيح تجري بأمره حيث شاء غدوّها شهر، أي تسير به من أوّل النّهار إلى نصفه مسيرة شهر، و رواحها شهر، أي و تسير به في بقيّة النّهار مسيرة شهر، فقد ملّكه الله تعالى عاقبة هذه الهفوة، بأن جعلها سبب هذه المنزلة، و الرّيح الرّخاء هي اللّيّنة، و هي ضدّ الرّيح الزعزع.

قوله: و فعل بموسى، أي، و كما فعل بموسى حين ألقى الألواح و أخذ برأس أخيه يجرّه إليه، أي، يعني أنّ هذه الفعلة من موسى عليه السّلام لم يعتبه الله تعالى عليها، كما عتب على آدم و نوح و داود و يونس.

فأمّا عتبه آدم عليه السّلام، فهو قوله تعالى: **أَ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ، وَ أَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ، قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا**. و القصّة مشهورة.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۱۹

و أمّا عتبه نوحا عليه السّلام، فهو قوله تعالى: **إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ، فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ، قالَ: رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ**، الآية.

و أمّا عتبة داود عليه السّلام، فهو في قضيّة المرأة التي قيل إنّه نظر إليها فأعجبته، و إنّه مال إليها، و أراد أن يستحلّها لنفسه بعد موت زوجها، و هي قصّة مشهورة، فأوحى الله تعالى إليه: **وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**، و أتاه ملكان يعرّضان له بذكر المرأة، و إنّه لم يكن لبعلها سواها، و إنّ لك تسعا و تسعين امرأة، فهلاّ استغنيت بهنّ عن امرأته، و ذلك قوله تعالى: **إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ، قالُوا: لا تَخَفْ، خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ**، إلى قوله: **وَ لِي نَعْجَةٌ واحِدَةٌ، فَقالَ: أَكْفِلْنِيها وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ، قالَ: لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ**، فشهد على نفسه أنّه ظنّ أن قد وقع في الفتنة **فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ راكِعاً وَ أَنابَ**، فهذه الموافقة من الملائكة له بالتعرّض هو عتب من جناب الحقّ تعالى له.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۲۰

و أمّا يونس عليه السّلام، فقد قيل: إنّه/لمّا أنبت الله عليه شجرة من يقطين، فلمّا ذهبت حزن عليها، فقيل له: أ تحزن على شجرة و قد دعوت إلى مائة ألف أو يزيدون و لم تحزن؟ فهذا عتب.

و قد قيل أيضا: إنّه وقع عليه لوم، و ذلك قوله تعالى: **فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ**، و المليم هو الذي فعل ما يلام عليه.

[الدّرجة الثالثة اجتباء الحقّ تعالى عبده، و استخلاصه إيّاه بخالصته]

الدّرجة الثالثة:

اجتباء الحقّ تعالى عبده، و استخلاصه إيّاه بخالصته، كما ابتدأ موسى و قد خرج يقتبس نارا، فاصطنعه لنفسه. و أبقى منه رسما معارا.

اجتباه يعني اصطفاه، و استخلاصه إيّاه، أي جعله له خالصا لا يشارك فيه بخالصته، أي بسابقته في الفضل من غير استحقاق، بل ابتداه بالفضل، كما ابتدأ موسى عليه السّلام، إذ قال لأهله: **امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ، فَلَمّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ**. فقد ذهب ليقتبس نارا فناداه النّور جلّت قدرته، و خاطبه و اصطنعه لنفسه.

قوله: و أبقى منه رسما معارا، أي بقيّة، و هي التي فضله بذهابها محمّد صلّى الله عليه و سلم: «أنا سيّد ولد آدم و لا فخر»، و إن كان نبيّنا صلّى الله عليه و سلم قد أمرنا بالأدب مع موسى عليه السّلام.

شرح منازل السائرين إلى الحق المبين، جلد ۱، ص ۳۲۱

و قد قيل: إنّ موسى عليه السّلام أعطي عالم الجلال، و هو عالم القبض و القهر، و لذلك قاسى بنو إسرائيل ما قاسوا، و قتلوا أنفسهم، و حرّمت عليهم الشحوم، و لم تحلّ لهم الغنائم، و قد بلوا بالانتقام، و مسخوا قردة و خنازير، إلى غير ذلك.

و أعطي عيسى عليه السّلام عالم الجمال، و هو عالم البسط، لذلك كان عيسى عليه السّلام منبسطا دمث الأخلاق، لا يقابل و لا يقاتل، و لذلك قيل: إنّ النّصارى يحرم عليهم القتال، و إذا قاتلوا كانوا عصاة، إلاّ أنّ بعضهم استند إلى شبهة، و قال: نحن نقاتل على البلاد التي كانت في

أيدينا، فلنا عذر، و لم يأت السيّد/المسيح بما فيه مشقّة، لكن النّصارى كلّفوا أنفسهم ما لم يشرع لهم، و في ذلك يقول تبارك و تعالى:

وَ رَهْبٰانِيَّةً ابْتَدَعُوهٰا ما كَتَبْنٰاهٰا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ رِضْوٰانِ الله، فَمٰا رَعَوْهٰا حَقَّ رِعٰايَتِهٰا.

و أمّا نبيّنا صلّى الله عليه و سلم فأعطي عالم الكمال، و هو المقام الجامع للمقامين، لأنّ مقام الكمال يجمع الجلال و الجمال.